

تأليف

دكتور / رأفت عنيني الشنخ
أستاذ التاريخ الحديث المعاصر
عميد كلية الآداب - جامعة الزقازيق

التاريخ المعاصر

للأمة العربية الإسلامية

١٤١٢ - ١٩٩٢

دار الثقافة للنشر والتوزيع
مسجد سيف الدين المبراني بالعجالة
القاهرة ٩٠٤٦٩٦

01333400



Bibliotheca Alexandrina

B5

التاريخ المعاصر

للأمة العربية الإسلامية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

12365

909.04927-082

٢٠
٢٠

المكتبة الاسكندرانية
909.04927-082
٢٠
رقم ١٦٠٤٨

التاريخ المعاصر

للأمة العربية الإسلامية

تأليف

دكتور / رافت عنيشي الشنج

أستاذ التاريخ الحديث المعاصر
عميد كلية التربية - جامعة الزقازيق



Central Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢٠ ميدان سيف الدين الهرافى - البحيرة

القاهرة ٩٠٤٦٩٦/٢٠

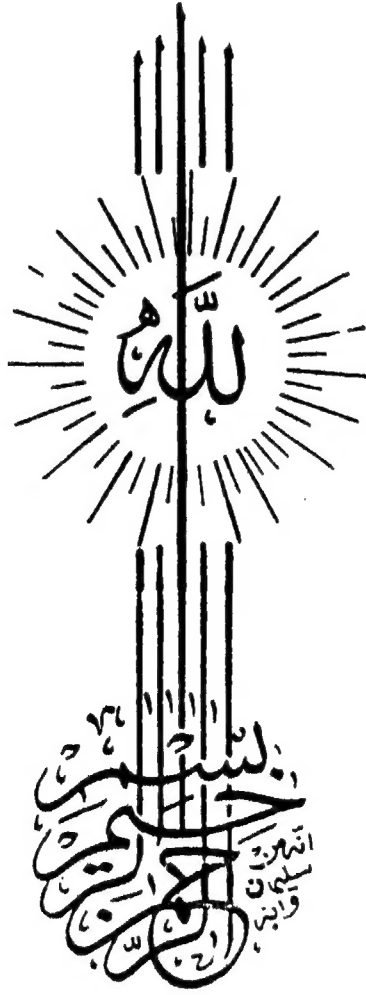
909.04927

Handwritten text, possibly a title or heading, appearing as a series of connected loops and curves.

Handwritten text, appearing as a series of connected loops and curves.

Handwritten text, appearing as a series of connected loops and curves.

Handwritten text, appearing as a series of connected loops and curves.



قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



Page 1 of 1

مقدمة

أحمد الله أن هياً لهذه الموضوعات أن تكامل وتخرج إلى القراء سواء من أبنائنا الطلاب أو من محبي الدراسات التاريخية الجادة ولقد دارت هذه الموضوعات حول فكرة إرباط العروبة بالإسلام منذ ظهرت الرسالة المحمدية.

وعلى هذا فإن موضوعات هذا الكتاب تنقسم إلى ثلاثة أبواب، يناقش الباب الأول موضوع الأمة العربية الإسلامية من خلال العصر الإسلامي المبكر والعصر العثماني، ويتناول الباب الثاني عصر استقلال الأقطار العربية سواء عن الاستعمار البريطاني أو الاستعمار الفرنسي أو الاستعمار الإيطالي.

كما يتناول الباب الثالث الأقطار العربية المعاصرة كالمملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمان، ثم العلاقات العراقية الكويتية. وهكذا تأتى هذه الموضوعات في تاريخ العرب المعاصر لتلبى حاجة في المكتبة العربية تقوم على تكامل وتتابع التاريخ المعاصر للأقطار العربية.

وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق

الزقازيق ٥ أكتوبر ١٩٩١

دكتور رافت غنيمي الشيخ

1. The first part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

2. The second part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

3. The third part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

4. The fourth part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

5. The fifth part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

6. The sixth part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

7. The seventh part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

8. The eighth part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

9. The ninth part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

10. The tenth part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic.

الباب الأول

الأمة العربية الإسلامية

■ مقدمة

■ الفصل الأول: العصر الإسلامي المبكر

■ الفصل الثاني: العصر العثماني

■ الفصل الأول ■

العصر الإسلامي المبكر

— مقدمة

— الأمة العربية الإسلامية:

- عوامل قوة الدولة العربية الإسلامية.
- عوامل تفكك الدولة العربية الإسلامية.

في تاريخه من سنة ١٠٠٠ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ
 وهو من تاريخه من سنة ١٠٠٠ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ
 وهو من تاريخه من سنة ١٠٠٠ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ
 وهو من تاريخه من سنة ١٠٠٠ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ
 وهو من تاريخه من سنة ١٠٠٠ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ

مقدمة

يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه المسمى بـ "مقدمة ابن خلدون"
 وديوانه الذي بدأ في تحرير أيام العرب والمسلمين وحياتهم وعصرهم من تاريخ
 السلطان الأكبر إلى تاريخ السلطان الصغير

وابن خلدون في أيامه والآن في أيامنا لا تقوم على مبدأ واحدة
 ومبادئ مشتركة إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى
 حال، وكلها يفتقر ذلك في الأشخاص والأوقات والأمكنة، فذلك يقع في
 الأفاق والأقطار والأزمنة والدول، سنة الله التي خلت في عباده.

وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والبربريون والنبط والبيانية
 وبنو إسرائيل والقيبط، وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم
 وسبلاتهم ومساكناتهم ولغاتهم وأصطلاحاتهم ومبادئهم مع أبناء
 دولهم وأحوال أعضائهم للأقاليم، ثم جاء من بعدهم
 الفرس الثانية والروم والعرب، فبدلت تلك الأحوال، وانقسمت بها العوالم
 إلى ما جازيتها أو بناسها وإلى ما رايها أو بسبلها، ثم لا يزال التبدل في
 الجماعة حتى ينتهي إلى المباشرة بالحملات.

وهذا يعني تناوب الدول والحضارات متاعاً دورياً حيث أن الإنسان
 حياته الاجتماعية بصورة دائمة ثم يعود بها حتى يصل إلى حد من التطور في
 حالة الحضارية ثم ينهار إلى حالة التدهور والانهيار...

وفي ذلك يقول ابن خلدون: إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصبح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهذاه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه.

ويضيف ابن خلدون بأنه لابد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه.

ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه، وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة (٥).

ومعنى هذا أن ابن خلدون يفسر قيام الدول ونشوء المجتمعات بحاجة الأفراد إلى التجمع من أجل تحقيق التكامل في المأكل والملبس والسكن، وما يترتب على ذلك من ظهور صناعات ومن قبول سلطة أعلى تنظم العلاقات وتتولى قيادة الأفراد من أجل تحقيق الاحتياجات ومن أجل الدفاع، هذه السلطة تتمثل في يد الملك أو الحاكم الذي يرأس الدولة التي تكونت لتلبية احتياجات الأفراد.

ويحدد ابن خلدون الأطوار التي تمر بها الدول في ثلاثة أطوار متعاقبة أودورية تبدأ بالبداوة ثم يكون طور التحضر، ثم طور التدهور. وقد نظر ابن خلدون إلى الدولة على أنها كائن حي يولد وينمو ثم يهرم ليفنى، فللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تماما، وقد حدد عمر الدولة بمائة وعشرين سنة، وهي تتكون من ثلاثة أجيال. وفي ذلك يقول: أن الدولة في الغالب

(٥) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة.

لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ، والجبل هو عمر شخص واحد من العمر المتوسط
فيكون أربعين الذي هو انتهاء العمر والنشوء (١) .
والأطوار التي تمر بها الدول والحضارات هي :

أولاً - طور البداوة :

يطلق ابن خلدون طور البداوة في حياة الأمم والشعوب والدول على
البدو الذين يعيشون في قبائل بالصحراء ، والبربر الذين يسكنون الجبال في
جاعات عشائرية وأسرية ، والتتار الذين يسكنون السهول في عصابات
قوية ، وهؤلاء لا يخضعون لقوانين متحضرة ولا تحكمهم سوى حاجاتهم
وعاداتهم ، وهم يعيشون مرحلة من الحياة البشرية تسبق مرحلة التحضر .

وأن اجتماع هؤلاء (البدو ، البربر ، التتار) إنما هو للتعاون على تحصيل
معاشهم والابتداء بما هو ضروري منه قبل الكمال ، ويكون تعاونهم بالمقدار
الذي يحفظ الحياة ، وتحكم أفراد البدو رابطة العصبية حيث نصرة ذوي
الأرحام والأقارب وما يلزم عنها من تعاقد وتناصر ، وكلما كانت القرابة
بين الأفراد البدو أكثر أصالة وأشد نقاوة ، كانت العصبية فيهم أقوى ،
وبالتالي الرياسة فيهم على سائر البطون والقبائل التي تختلط فيها الأنساب ،
وتحتفظ القبيلة بالسلطة ما احتفظت بعصبيتها ، ويدعم العصبية عاملان :
احترام القبيلة لشيخها ثم حاجتها للدفاع والمجور .

ويذكر ابن خلدون أن حياة التقشف تسبغ على البدو أخلاقاً فاضلة
كالدفاع عن النفس والنجدة والشهامة والغيرة على الاستقلال ، وتهدف رابطة
العصبية فيهم إلى الملك أي التغلب والحكم بالقهر ، فإن كانت بيوتات
متفرقة وعصبية متعددة فلا بد أن تغلب أقوى عصبية فتلتحم بها سائر
العصبية ثم تطلب الغلبة على القبائل القاصية حتى تستبعضها وتلتحم بها .

(١) نفس المرجع .

ويضيف ابن خلدون إذا اتسعت أحوال القبائل البدوية وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والترف دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، ثم تزيد أحوال الترف والدعة فيتخذون القصور والمنازل، وهؤلاء هم الحضرة (٢).

ثانياً - طور التحضر:

وفي هذا الطور يتحقق الملك وتؤسس الدولة وينتقل المجتمع من الحياة البدوية الخشنة أو من العمران البدوي إلى الحياة المدنية المترفة أو العمران الحضري، وتم ذلك بعد تغلب القبيلة بالعصبة الصاعدة على دولة مجاورة في دور هرمها يصير الملك لها.

ويحدد ابن خلدون عوامل قيام الدول وتحضرها فيما يلي:

(أ) عامل الدين:

يدفع عامل الدين أهل القبيلة إلى البذل من أجل تحقيق غايتهم فضلاً عن أنه يذهب التنافس ويزيل الاختلاف فيحصل التماسك. ويضرب ابن خلدون المثل على أثر عامل الدين فيذكر أنه بينما تكون الدولة المغلوبة في طور هرمها نتيجة فتور الإيمان في نفوس أهلها، ويتخاذلون عن الدفاع حرصاً على الحياة ويزيدها ضعفاً إن كانت الدولة مؤلفة من شعوب متباينة، ولذا فإن فتح المسلمين للشام والعراق وفارس ومصر مع خضوع هذه الأقاليم لدولتين عظيمتين هما الفرس والروم كان أيسر من فتح شمال أفريقيا التي يسكنها بربر لهم عصبية متينة، بل لم يستطع الرومان قبل ذلك إخضاعهم (٣).

ويفسر ابن خلدون نجاح العرب في الفتح الإسلامي فيذكر أن العرب (البدو) لا يحصل لهم الملك إلا بصفة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، حيث يعمل الدين أن يؤلف كلمتهم لظهور الحق، ويتم إجتماعهم ويحصل لهم التغلب والملك.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع.

(ب) عامل السياسة:

إن الدعوة السياسية أو المذهب السياسى تدفع القبيلة إلى الفتح والتغلب على الأمصار. ذلك أن أهل القبيلة بعضهم اقتدروا على دولة مجاورة في دور هرمها بفقدان الحامية فهي نهب لهم وطعمة لأكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولة عليهم إلى أن يصبح أهلها مغلبين لهم.

(ج) عامل الاقتصاد:

إن الحاجة الاقتصادية التى تدفع القبيلة إلى الدفاع عن نفسها أولاً ثم إلى الغزو ثانياً هى التى تدفعها حين تستقر إلى أن تحسن وسائل هذا العيش، ومن مظاهر ذلك أن تتخذ لها مقراً ثابتاً، ومن ثم فإنه بعد تأسيس الدولة تلجأ إلى تشييد المدن، وتأسيس الدولة سابق على تشييد المدن لأنه يحتاج إلى المال والأدوات وقوى عاملة ضخمة لا يمكن أن يسخرها إلا الملك. ومعنى هذا أن الناحية الاقتصادية هى التى تحدد طبيعة الحياة الاجتماعية^(١).

ويتوقف تقدم الحضارة فى الدولة على ثلاثة أشياء هى:

١- مزايا الأرض:

اعتبر ابن خلدون الأرض مصدر الانتاج، وأن التحضر يأتى نتيجة عمل منظم متواصل لنشاط الإنسان المتمركز فى استثمار الأرض، وأن المزارعين فى الأرض السهلية والجبلية أهم قسم من أقسام الشعوب فى الانتاج، ويأتى بعدهم البدو الرحل ثم سكان المدن.

٢- مزايا الحكومة:

يعتبر ابن خلدون الحكومة القوية أساساً آخر من أسس التحضر، ذلك أن الإنسان المستقر يحتاج إلى التنظيم والحماية حتى يطمئن على ثمار عمله فيزيد من إنتاجه، كما أنه يحتاج إلى حكومة عادلة تحقق الأمان والعدالة وإلى حكومة قوية تستطيع الدفاع عن مصالحه، وإلى حكومة واعية بأهمية التجارة الخارجية فتشجعها وتحميها.

(١) نفس المرجع.

ان حكومة هذه الموصفات تساعد على الاستقرار في الوطن وإلى تماسك المواطنين وإلى إنصرافهم إلى الإنتاج، وبالتالي تصبح الدولة من الغنى ما يجعلها تسعى إلى تحديث وسائل إنتاج ومعيشة المواطنين، أى بمعنى آخر توصف بأنها دولة متحضرة إنتقلت من طور البداوة إلى طور التحضر.

٣- كثرة السكان:

يرى ابن خلدون أنه إذا كانت الحكومة تدعم قيام الحضارة فإن كثرة السكان تخلقها لأن إجتماع عدد من السكان وتنسيق جهودهم وتوزيع العمل بينهم يجعل ثمرة جهودهم تفوق حاجاتهم فلا يستهلكون إلا جزءا يسيرا، ويزيد الباقي عن حاجاتهم يستثمرونه في الترف كثر التناسل فتقوى العصبية (*).

ثالثا - طور التدهور:

يحدث تدهور الدولة أو الحضارة عندما تتوفر العوامل الآتية:

(أ) العصبية والموالى:

يعتبر ابن خلدون العصبية والموالى والصنائع من عوامل تدهور الدولة، وفي ذلك يقول: حيث أن بالعصبية تتم الرياسة والملك فأن صاحب الرياسة يطلب بطبيعته الانفراد بالمجد، إذ أن من الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والأنفة، فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيها، ويحىء خلق التآله الذى فى طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام فيجدع حينئذ أنوف العصبيات.

ويضيف ابن خلدون أنه حين الانفراد بالملك فإنه يدافع الأقارب مستعينا بالأبعاد فيركب صعبا من الأمر، أنه أمر فى طبائع البشر لا بد منه من كل الملوك الذين يستظهرون على عصبيتهم بالموالى والمصطنعين. وعلى هذا يمكن القول أن الحاكم إذا استخدم الموالى والصنائع وقدمهم على أهل عصبيته كان هؤلاء الموالى والصنائع من عوامل ضعف الدولة لأن أهل عصبيته سيصبحون من بعض أعدائه فيحتاج فى مدافعتهم عن الأمر إلى أولياء

(*) نفس المرجع.

آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولا هم دونهم ، فيكونون أقرب إليه من سائرهم فيستमितون دونه في مدافعة قومه عن الأمر الذى كان لهم فيستخلصهم صاحب الدولة ويخصهم بمزيد من التكرمة والأيثار ويقلدهم جليل الأعمال والولايات (٦).

وهنا يكون الخطر، ذلك أن الموالى والصنائع الذين أصبحوا أقرب إلى الحاكم من عصبيته يكونون خطرا على الدولة، ويكون ذلك مؤذنا — كما يقول ابن خلدون — باهتضام الدولة، وعلامة المرض المزمن فيها لفساد العصبية التى كان بناء الغلب عليها، ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتحان وعداوة السلطان فيترصبون به الدوائر، ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء لأنه مامضى يتأكد في الأعقاب إلى أن يذهب رسمها (٧).

(ب) الترف :

يذكر ابن خلدون أنه إذا كان للموالى والصنائع دور في إنبهار الدولة، فإن الترف هو العامل الحاسم في ضعف الدولة وتدهور الحضارة. ويفسر لنا ابن خلدون دور الترف في تدهور الدولة من خلال العوامل الاقتصادية والأخلاقية والنفسية.

فالعامل الاقتصادى يتمثل في الإسراف في الترف من حيث النزوع إلى رقة الأحوال في المطعم والملبس والفرش والآنية، ومن حيث تشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتمة والهياكل المرتفعة، ومن حيث إجازة الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل مع التوسعة في الأعطيات على الصنائع والموالى وإدراار الأرزاق على الجند، وقد يستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضر بها على البياعات ليفى الدخل بالخزاج حتى تثقل المغارم على الرعايا ويكسد الأسواق، ولا يزال الأعمار في نقص والترف في ازدياد حتى ينتقص العمران ويعود وبال ذلك على الدولة.

(٦) نفس المرجع.

(٧) نفس المرجع.

كما يتمثل العامل الأخلاقي النفسى فى عوائد الترف تؤدى إلى العكوف على الشهوات وتثير مدمومات الخلق، فتذهب عن أهل الحضرة طباع الحشمة ويقذعون فى أقوال الفحشاء، فضلا عن أن الترف يذهب خشونة أهل البداوة ويضعف العصية والبسالة حتى أنغمسوا فى النعيم فأنهم يصبحون عيالا على الدولة كأنهم من جملة النسوان والولدان المحتاجين إلى المدافعة عنهم. كما أن الترف مفسد لبأس الفرد ولشكيمة الدولة، والترف مفسد للخلق بما يحصل فى النفس من ألوان الفساد والسفه، والترف مظهر لحياة السكون والدعة ودليل ميل النفس إلى الدنيا والتكالب على تحصيل متعها حتى يتفشى الخلاف والتحاسد، ويفت ذلك فى التعاضد والتعاون ويفضى إلى المنازعة ونهاية الدولة (٨).

■ الأمة العربية الإسلامية ■

هذه صفحات لابن خلدون سقتها كفاتحة ومقدمة توضيحية لهذا الكتاب الذى أحاول فيه التعمق فى تاريخ الأمة العربية الإسلامية الحديث والمعاصر ومحاولة استقرار أحداثه لإبراز أن دوام الحال من المحال وأن الدول والحضارات تمر بمراحل وأطوار فى حياتها، فالدولة تبدأ صغيرة ثم تنمو وتقوى حتى تصبح أكثر تحضرا وأقوى تنظيما، ثم تتجه نحو التدهور والإنهيار بفعل عوامل متعددة.

لقد صدق ابن خلدون فى كثير مما ذكره فى مؤلفه القيم، وهذا شىء طبيعى لأن ابن خلدون استنتج ما توصل إليه من أفكار من دراسته للتاريخ وللأمم والشعوب التى عرفها أو خبرها ومن هنا وجدنا فى تاريخ العرب فترات ازدهار وفترات تدهور وإنهيار كما هو حال تاريخ الأمم والشعوب الأخرى فى العالم.

لما كان لكل جادة أواقعة بداية وذروة ونهاية، ونهاية الحادثة أو الواقعة بداية لأخرى فإن تاريخ الأمة العربية الإسلامية الحديث يستند إلى بداية

(٨) نفس المرجع.

تكوين الدولة العربية الإسلامية زمن الرسول محمد بن عبد الله عليه صلاة الله وسلامه منذ أربعة عشر قرناً .

واستناداً إلى ماجاء في كتاب الله الكريم في قوله سبحانه وتعالى : « والله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيباً » .. صدق الله العظيم .. فان كل دولة تبدأ صغيرة شأنها شأن الطفل من حيث الضعف وقلة الامكانيات ولكنها متطلعة إلى الكبر والقوة والاتساع وكثرة الامكانيات ، وعندئذ تصل إلى مرحلة القوة وكالشباب والإنسان في دور الرجولة الكاملة بالنسبة للفتى والأنوثة الكاملة بالنسبة للفتاة فتصبح الدولة من القوة وتوفر الامكانيات ما يتيح لها التوسع وفرض السلطة والنفوذ على الدول المجاورة الأضعف واستيعابها أوهاضمها كما يقول ابن خلدون .

ولما كان الإنسان بعد الفتوة والشباب والاكتمال يسير نحو الهرم والشيخوخة وهى سنة الله في خلقه ، فكذلك الدولة تسير بعد قوتها واتساعها إلى الهرم والإنهيار وعندئذ تكتمل دورة النمو لهذه الدولة لتبدأ دورة نمو أخرى لدولة أو حضارة أخرى ..

■ عوامل القوة :

ومن هنا نقول أن الدولة العربية الإسلامية بدأت صغيرة متمثلة في حكومة الرسول محمد بن عبد الله عليه صلاة الله وسلامه وتميزت باجتماع السلطتين الدينية والزمنية في يد هذه الحكومة المستندة إلى دستور سماوى هو القرآن الكريم بتعاليمه .

ولكن هذه الحكومة العربية الإسلامية الصغيرة ما لبثت أن كبرت وقويت واتسعت لتشمل أقطاراً عديدة كانت تخضع لامبراطوريات قديمة وأعنى بها امبراطورية الروم في الغرب وامبراطورية الفرس في الشرق . وتميزت هذه الدولة العربية الإسلامية الكبيرة بالامتداد لتشمل أقطاراً في آسيا وأفريقيا وأوروبا ، كما تميزت بالتحضر حيث نفى العرب عصر البداوة لبناء دولة متحضرة سبقت العالم المعاصر آنذاك وأصبحت دمشق

وبغداد والقاهرة على سبيل المثال حواضر متمدينة تموج بالعلماء فى مختلف فروع المعرفة وبالعمران البشرى والمادى ..

ولنا أن نتساءل عن العوامل المسؤلة عن وصول الدولة العربية الإسلامية الصغيرة البدوية إلى مرحلة القوة والتحضر.. وللإجابة نحدد هذه العوامل فىما يلى :

أولاً- عدم التناقض بين العقيدة الإسلامية والعلم والحديث :

يمتلىء القرآن الكريم بالآيات التى تتناول المعرفة الإنسانية وتحض على التعلم وسر أغوار العلم الحديث من ذلك « إقرأ بأسم ربك الذى خلق » و« علم الإنسان ما لم يعلم » و« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » و« أفن يعلم كمن لا يعلم » . ومن هنا أخذ المسلمون بكثير من العلوم العقلية حتى التى عرّها علماءهم عن اليونان والرومان وغيرهم ، ولم يكذبأت القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى - حتى كانت الحضارة الإسلامية قد وصلت أوج عظمتها ، وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التى اعتنقت الدين الإسلامى فى المشرق والمغرب الإسلاميين (١) .

ويمكن لنا إدراك أهمية ذلك وأثره إذا عرفنا موقف الكنيسة الغربية فى روما العدائى من مناهج المدارس الفلسفية وإحراق مؤلفاتها وإصدار قرارات الحرمان ضد مؤلفيها ، ومنع جامعات العصور الوسطى من تدريسيها .

ثانياً- الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة :

كان اعتراف الإسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقة عليه واعتبارها من التنزيلات الإلهية واحترام وتقدير رسلها وأنبيائها من بين العوامل التى حببت الكثيرين من أصحاب هذه الديانات فى الإسلام وتوجيههم إلى اعتناقه والأخذ بمبادئه .

وقد ساعد على تفهم كثير من الشعوب لمبادئ العقيدة الإسلامية واعتناقها إنتشار اللغة العربية بانتشار الفتوحات الإسلامية وتعلم هذه

(١) د. عبد الشافى غنيم ود. رأفت الشيخ : قضايا إسلامية معاصرة ص ١٦ .

الشعوب لها وقراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتب الفقه والشرعة .

ثالثاً - النظرة الشمولية للحياة في الإسلام :

تناول القرآن الكريم وتناولت السنة النبوية الشريفة كل ما يمس جوانب حياة الناس والعلاقات بين الأفراد والمجتمع مع الأهتمام بالجوانب الخلقية والسلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المسلمة مع التركيز على تقنين وتنظيم كل هذه المعاملات في إطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهج العلمى الصحيح . ومن هنا وجدت الشعوب في الإسلام سلطة واحدة تشرف على الشؤون الدينية والزمنية معا (١٠) .

رابعاً - الافادة من الحضارات السابقة وامتصاصها :

إيماننا بأن الأحتكاك الحضارى بين الشعوب يؤدى إلى التقدم لم يفرض الإسلام والمسلمون ماسبق من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية ، بل لقد استفادت الدولة الإسلامية من كل النظم والحضارات السابقة ، واضطر علماء المسلمين في سبيل ذلك إلى إجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية ونقل تراث ومؤلفات هذه الحضارات والثقافات إلى اللغة العربية ، ولم يكتف المسلمون بمجرد ترجمة ونقل هذا التراث وإنما أضافوا وحفظوا وابتكروا كثيراً من الحقائق والمعلومات .

خامساً - الأخذ بمبادئ العدل والحرية والمساواة :

كان إصرار رسول الله محمد بن عبد الله عليه صلاة الله وتسليمه منذ فجر الدعوة على تحرير المسلم من عبودية الجاهلية بمختلف صورها أول دروس الإنسانية في إدراك مفهوم العدالة والحرية والمساواة ، ذلك الشعار الذى بدأ المفكرون في نشره منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى . ويرجع كثير من المستشرقين المنصفين دوافع إنتشار الإسلام بهذه السرعة المذهلة إلى هذا المبدأ الأساسى من مبادئ الدولة في الإسلام (١١) .

(١٠) نفس المرجع ص ١٧ - ١٨ .

(١١) نفس المرجع ص ١٨ - ١٩ .

سادسا - الدور الذاتى فى الدعوة إلى الإسلام:

لم تعتمد العقيدة الإسلامية فى إنتشارها فى أرجاء القارات على مؤسسات منظمة وبعثات تبشيرية مخطط لها وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس لاعتناق الإسلام، ولكنها إعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة فى قلوب أصحابها فخص من هؤلاء علماء الإسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والمعلمون المسلمون كما اعتمدت أيضا على إهتمام التجمعات الإسلامية فى كل الأمصار بإنشاء المساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الأبنية الدينية والتعليمية التى كانت تقوم أساسا على الجهود الذاتية والتبرعات المادية والعينية.

ولعل مما يثير التساؤل عند المفكرين ظاهرة عمق العقيدة الإسلامية فى بلاد لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد فى شرق وغرب وجنوب أفريقيا وجنوب آسيا، حتى أن هؤلاء المسلمين خاضوا ومازالوا يخضون لعدة قرون حروبا ضد المستعمرين والأغليات المسيحية المتعصبة والوثنيين على الرغم من عدم التكافؤ فى المال والسلاح (١٢).

سابعا - غلبة الإيمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية:

تأثرت القوة السياسية للدولة الإسلامية سلبا بظهور حركات انفصالية فى العصر العباسى الثانى خاصة بعد أن سيطرت على عاصمة الخلافة بغداد عناصر تركية، ولكن هذا التأثير لم تمتد إلى الجوانب العقيدية والفكرية، حتى أن القيادات الإدارية والتنظيمية للدويلات الإسلامية فى المشرق والمغرب الإسلاميين كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الإسلامية، حيث أنها تعتبر هذا الإيمان جسرا بقائها واستمرارها فى قواعدها. وكانت وسيلتها إلى تمكين هذا التعبير تكمن فى كثرة إهتمامها ببناء المؤسسات الدينية واجتذاب الفقهاء وغيرهم من علماء الدين، والأهتمام بنشر الديانة الإسلامية.

(١٢) نفس المرجع ص ٢٠.

ثامنا - وحدة مصادر التشريع في الإسلام :

كان القرآن الكريم وكانت السنة النبوية السريّة ٢٠ - التشريع الموحد في الدولة الإسلامية ، ولذلك لم يتأثر بالضعف السياسي الذي إنتاب الدولة في بعض مراحل وجودها وإنما كان في كثير من الأحيان يشكل عامل التوازن بين الصعود والأفول في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بل إنه كان الزاد الذي تنهل منه الأقليات الإسلامية أينما وجدت .

تاسعا - التكوين الحضارى للشخصية الإسلامية :

حين يصل المسلم إلى حقيقة التعرف على شخصيته في إطار عقيدة تحترم وجوده وكيانه وإستقلاله وحرية يصعب على أية قوة مهما كان حجمها أن تقف في طريقه ، وهكذا كان إكتشاف المسلمين لحقيقة شخصياتهم في ظل الإسلام عاملا أساسيا في ظاهرة التوسع الإسلامى الشامل عقيدا وسياسيا وعسكريا وحضاريا (١٣) .

عالم التفكير :

ولكن الدولة الإسلامية العربية تعرضت منذ العصر العباسى الثانى لعوامل تفكك سياسى من داخل الدولة ومن خارجها أدى بها للمرور في طور الهرم والتدهور، وهذه العوامل هى :

أولا - العوامل الداخلية :

تمثلت العوامل الداخلية التى أصابت الدولة الإسلامية العربية وعرضتها للضعف والتدهور في :

١ - الخلافات الحزبية والمذهبية :

رغم ما بذله رسول الله محمد بن عبد الله صلاة الله عليه وسلامه من جهود لتحقيق وحدة العقيدة للمسلمين وتغليب العقيدة الإسلامية على ماعداها من الصرعات الحزبية أو الماطامع الدنيوية فإن الدولة الإسلامية العربية بعده تعرضت لظهور بعض الاتجاهات الحزبية والمذهبية مثل

(١٣) نفس المرجع ص ٢١ - ٢٥ .

السبئية^(١٤) والكيسانية والقرامطة والشيعة والخوارج وغيرها مما أثر في وحدة العقيدة الإسلامية العربية سياسياً ولم يؤثر في وحدة العقيدة عند المسلمين.

٢- العصبية القبلية:

أكد الإسلام على ضرورة التغلّي عن العصبية وإحلال الوحدة العقيدية والإيمانية مكانها، ولكن هذه العصبية ظهرت في عهد الأمويين متمثلة في إنقسام المسلمين بين يمينين ومضريين ذلك الانقسام الذي أدى إلى تدهور الدولة الإسلامية العربية والذي امتد ليشمل المشرق العربي والمغرب العربي وفي الأندلس^(١٥).

٣- الشعوبية:

هي حركة عدائية للعرب والعروبة وتزعمها الفرس والترك، وأخذت الشعوبية تنتقل من مجرد نقد العرب والتحدث عن مثالبهم إلى محاولة الخط من شأنهم والحديث عن جهالتهم وجلافتهم وسوء تدبيرهم، وأخذت كتب الشعوبيين في مثالب العرب ونقائصهم تبرز إلى الوجود، ثم تطور الأمر إلى إنتقال الشعوبية إلى مرحلة الزندقة والتطاول على الديانة الإسلامية ونقد القرآن الكريم، والعودة إلى إيقاظ الديانات والمذاهب المجوسية القديمة، وظهور الحركات العدائية للإسلام والمسلمين وفي مقدمتها حركات البابكية والخرمية والمقنعية والخراسانية الفاطمية التي تنتمي إلى فاطمة بنت الخراساني، وغير ذلك من الحركات الهدامة في جسم الدولة.

٤- طموحات العناصر الداخلية:

وقد تمثلت هذه العناصر بطموحاتها في زعماء الخراسانيين ثم تسلط الأتراك والبويهيين وغيرهم الذين تحولوا بعيداً عن سماحة الإسلام وعلم التمييز

(١٤) السبئية تنسب إلى عبدالله بن سبأ وهو يهودي من أصل يمني ادعى الإسلام وبدأ يستغل المرأة التي كانت عند بعض العلويين الذين كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا علي بن أبي طالب في الخلافة وينحرف بها إلى منطقات واتجاهات رفضها الإمام علي وكذلك أنصاره ومن بين مانادي به ابن سبأ مبدأ الترجمة والوصاية والحلولية والفراد علي بالإمامة، وقد انضوى تحت لوائه كثير من السطوحيين المتعصبين الذين لعبوا دوراً كبيراً في إثارة الأمصار الإسلامية على الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

(١٥) المرجع السابق ص ٢٠-٢٢.

بين المسلمين بسبب اللون أو الجنس أو اللغة ، إلى أدوات لإضعاف نظام الدولة الإسلامي حتى إنتهى الأمر بإضعاف الخلفاء العباسيين وإنهاء الدولة العباسية على المغول عام ٦٥٦ هـ الموافق عام ١٢٥٨ م . ولقد كانت أطماع قيادات هذه العناصر في العصر العباسي الثاني عاملا ليس فقط في إضعاف أمر الخلفاء العباسيين وإنما في المساعدة على خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الإسلامية (١٦) .

٥ - ظهور العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة:

كان من نتيجة الحركات الشعبية وطموحات زعامات العناصر الدخيلة أن تفككت عرى وحدة الدولة الإسلامية العربية شرقا وغربا وأخذت الصراعات تقوم بين هذه الدول وبعضها ، وما يقال عن الدويلات الإسلامية في المشرق العربي يقال عن مثيلاتها في المغرب العربي التي كانت مظهرا لتفكك الدولة الإسلامية الكبرى ، وهي الأندلس خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية الأندلسية عام ٤٢٢ هـ الموافق ١٠٣٠ م وقيام الدويلات المستقلة في ظل نظام إقطاعي أتاح في النهاية للقوى المسيحية المعادية إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس .

٦ - عدم الإدراك الواعي لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين:

الدين الإسلامي دين شمولي يجمع بين الدين والدنيا مصداقا لقول صلى الله عليه وسلم : «أعمل لدينك كأنك تموت غدا وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا» . وهذا التصور الشمولي غاب عن البعض الذين أعتقدوا أن الدين الإسلامي يقتصر على مجرد العبادات الظاهرة وأنه يتعارض مع مظاهر التطور العلمي والفكري الإنساني .

ونحن لا ننكر على الدولة العثمانية مثلا دورها القيادي في الذود عن كثير من الأراضي الإسلامية ضد الهجمات الصليبية الآتية من جانب الأسبان والبرتغال ، ولكن عدم الإدراك الحقيقي لفلسفة وفكر الإسلام وقف حائلا دون عمليات التطور الفكري والحضاري ، في وقت بدأت فيه الحركات السياسية والانقلابات الصناعية تحتاج أوروبا مما أدى إلى إصابة

العالم الإسلامى بظاهرة التخلف الحضارى، وقد أتاح ذلك للإستعمار الأوروبى استغلال هذا التخلف والجمود لىسط ظلاله على كثير من البلاد الإسلامية الواقعة فى إطار الدولة العثمانية (١٧).

ثانيا - العوامل الخارجية:

من المعلوم أن الضعف الداخلى يجذب القوى الخارجية لتحقيق أهدافها، وبمعنى آخر أن تفكك المجتمع من الداخل يتيح للغزو الخارجى فرصة لتحقيق أطماعه، فجسم الإنسان الضعيف قليل المناعة يتيح للميكروبات أن تنفذ إلى الجسم فتصيبه بالعلل والأمراض، وضعف الوحدة الوطنية فى دولة ما ييسح للأعداء بالوثوب لاحتلال البلاد، ولبنان حاليا خير مثل على صدق هذه المقولة.

وحين توفرت داخل الدولة الإسلامية عوامل رأيناها تصيب وحدة هذه الدولة فى مقتل، فقد ظهرت عوامل خارجية استفادت من العوامل الداخلية لكى تساهم فى تدهور الدولة وإنهارها سياسيا وإن كانت قوة العقيدة الإسلامية قد عصمت الدولة الإسلامية من الأنهار الشامل الكامل.

وأهم العوامل الخارجية هى:

١ - العدوان الصليبي:

ظهرت فى أوروبا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الإسلامى، وهى ذات أهداف إستعمارية وإن اتخذت الصليب شعارا لتجمع الناس حولها. وقد وجهت هذه الموجة أول ضرباتها فى المغرب العربى الإسلامى وفى الأندلس فى محاولة للقضاء على الوجود الإسلامى فى شبه جزيرة ايبيريا وملاحقته فى المغرب العربى الإسلامى.

وفى نفس الوقت كانت الحملات الصليبية العسكرية تتابع واحدة بعد الأخرى بدعوى السيطرة على الأماكن المقدسة بفلسطين وتخليصها من أيدي المسلمين. ورغم عدم نجاح المسلمين فى الوقوف ضد العدوان الاستعمارى الصليبي فى شبه جزيرة ايبيريا عام ١٤٩٢ م، فقد نجح المسلمون فى وقف

(١٧) نفس المرجع السابق ص ٣٥-٣٦.

المد الصليبي في المشرق العربي الإسلامي بل وتصفية الوجود الصليبي هناك على يد صلاح الدين الأيوبي ثم على يد سلاطين المماليك حكام مصر وبلاد الشام .

٢- العدوان المغولي:

تعرضت الدولة العربية الإسلامية في القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي لعدوان المغول الزاحفين من وسط آسيا على جناح الدولة في المشرق والذين دمروا بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ الموافق عام ١٢٥٨م (١٨).

ورغم نجاح المغول في الإستيلاء على الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية وسقوط الخلافة العباسية في بغداد بعد أن استمرت في الحكم نحو خمسة قرون ونصف مما أدى إلى إنتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة، إلا أنهم - أي المغول - فشلوا في الإستيلاء على بلاد الشام والامتداد إلى مصر وإلى بقية أقطار الدولة الإسلامية بالمغرب العربي، بسبب وقفة السلاطين المماليك حكام مصر وبلاد الشام الذين استطاعوا هزيمة المغول في موقعة عين جالوت بفلسطين عام ٦٥٨هـ الموافق لعام ١٢٦٠م فأوقفوا زحفهم وإن لم يقضوا على خطرهم القضاء الكامل . وظل تدعيم المغول لبغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية علامة على تدهور وإنهار الدولة العربية الإسلامية سياسيا .

وقد هيأت العوامل الداخلية المسؤولة عن تفكك الدولة الإسلامية سياسيا للعوامل الخارجية التي سقناها - وأعنى العدوان الصليبي والعدوان المغولي - أن تضرب ضربات مؤثرة في جسم الدولة حتى رأينا دولة سلاطين المماليك في مصر والشام التي نجحت في الوقوف أمام العدوان الصليبي ثم العدوان المغولي ينهار عام ١٥٠٩م أمام سفن البرتغاليين في المحيط الهندي أمام مدينة بومباي الهندية فيما عرفت بموقعة ديو البحرية، كما انهارت أمام زحف العثمانيين إلى بلاد الشام عام ١٥١٦م وإلى مصر عام ١٥١٧م .

(١٨) نفس المرجع السابق ص ٤٦-٤٧ :

■ الفصل الثانى ■

العصر العثمانى

— مقدمة

— أولا: الحكم العثمانى فى الوطن العربى:

أ— نظام الحكم العثمانى

ب— تأثيرات نظام الحكم العثمانى:

• التأثيرات الإيجابية .

• التأثيرات السلبية .

— ثانيا: العصبيات المحلية :

أ— العصبيات المحلية فى المشرق العربى .

ب— العصبيات المحلية فى المغرب العربى .

ج— العصبيات المحلية فى مصر .

■ مقدمة ■

يضم الوطن العربى الوحدات السياسية المعروفة حاليا فى قارتى آسيا وأفريقيا فى جناحين يشتمل الجناح الأسيوى على ماعرف بالهلال الخصيب وماعرف بالمربع العربى ، والهلال الخصيب يتكون من : الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية اللبنانية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، فلسطين ، ويتكون المربع العربى من : المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية اليمنية (الشمالية) ، جمهورية اليمن الديمقراطية (الجنوبية) وقد اتحدتا تحت أسم الجمهورية اليمنية ، سلطنة عمان ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، دولة قطر ، دولة البحرين ، دولة الكويت .

أما الجناح الأفريقى من الوطن العربى فيضم كلا من : جمهورية مصر العربية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، جمهورية الصومال الديمقراطية ، جمهورية جيبوتى ، الجماهيرية العربية الليبية ، الجمهورية التونسية ، الجمهورية الجزائرية ، المملكة المغربية ، الجمهورية الموريتانية الإسلامية .

ورغم هذا التعدد فى الوحدات السياسية العربية فإن الوحدة الثقافية التى تظلل أقطار الوطن العربى من أهم عوامل الوحدة بين تلك الأقطار ، ذلك أن اللغة العربية هى لغة كل العرب وهى اللغة السائدة فى مشرق الوطن العربى ومغربه ، أى فى جناحه الأسيوى والأفريقى ، ولا يقلل من

قوة عامل اللغة وجود لهجات محلية مشتقة من اللغة العربية ذاتها ولهجات أخرى كتلك التي يتكلم بها الأكراد في شمال العراق وسوريا وتلك التي يتحدث بها البربر في المغرب العربي.

كما أن الدين الإسلامي دين غالبية العرب في الوطن العربي حيث تصل نسبة المسلمين العرب أكثر من ٩٠٪ من عدد سكان الوطن العربي، وبذلك يعتبر الدين الإسلامي عاملاً ثقافياً من عوامل الوحدة بين الأقطار العربية، ورغم وجود أقلية مسيحية وأقلية يهودية من سكان الوطن العربي، فإن ذلك لم يقلل من الوحدة العربية حيث يتحدث المسيحيون واليهود اللغة العربية كالمسلمين.

وكانت الوحدة الثقافية العربية مستندة إلى الأسس التالية :

- ١- الوحدة الروحية التي تجمع شعوب المنطقة العربية الإسلامية.
- ٢- إرتباط السلطة الدينية بالسلطة الزمنية، فقد كان الخليفة هو الزعيم السياسي إلى كونه الزعيم الديني للمسلمين.
- ٣- شيوع مبادئ الأخاء والمساواة التي تحطم الحواجز بين الناس دون النظر إلى جنس أو لون، وهذه المبادئ تستند إلى شرائع الدين الإسلامي.

وتعتبر حضارة الوطن العربي الإسلامية العربية خلاصة تفاعلات بين ثقافات واتجاهات وأجناس وشعوب مختلفة تألفت وامتزجت في ظل الخلافة الإسلامية التي ظهرت أولاً في شبه الجزيرة العربية عندما ظهر الإسلام وأنتشر في عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين، ثم في ظل دمشق عاصمة الخلافة الأموية في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ثم في ظل القاهرة عاصمة آخر خلافة عربية.

وقد تعرض الوطن العربي لانقسامات داخلية بعد ضعف الخلافة العباسية حيث رأينا دويلات إسلامية تقوم هنا وهناك في أنحاء الوطن العربي ولكنها لم تنفصل عن الخلافة الإسلامية، كما لم يضع حكام هذه الدويلات أية قيود أو حواجز تحول دون انتقال المواطن العربي من قطر عربي لآخر أو تحول دون إتصال العرب في المغرب بأخوتهم عرب المشرق،

بل استمرت وحلة العرب الشعبية وإن اختلفت حكوماتهم وتعددت دولهم
فبلاد العرب لكل العرب .

وفي الوقت الذي أخذت الأمانة العثمانية تتكون بآسيا الصغرى وتتوسع
على حساب الامبراطورية البيزنطية في البلقان قبل أن تتجه إلى الشرق
العربي كانت أقطار الوطن العربي تعيش مرحلة من التفتت والضعف ،
حيث كانت سلطنة المماليك في القاهرة تحكم كلا من مصر وبلاد الشام
والحجاز واليمن ، وقد بدأ الضعف يدب في هذه السلطنة حتى هزم أسطولها
أمام سفن البرتغاليين ببياه الهند عام ١٥٠٩م ، بعد أن كانت هذه السلطنة
قد نجحت في طرد بقايا الصليبيين من فلسطين ، وهزمت المغول في عين
جالوت بفلسطين عام ١٢٦٠م .

كما أن العراق الذي ظل تحت حكم المغول منذ عام ١٢٥٨م سقط في
قبضة الشاه إسماعيل الصفوى شاه فارس عام ١٥٠٨م ، بينما ظلت مشيخات
الخليج العربي تعيش في ظل التنظيمات القبلية ، حيث مارست القبائل
العربية النازحة من وسط شبه الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج حياة
الرعى والتجارة والنوص على اللؤلؤ . وكان الائمة الزيديون يحكمون اليمن
يعترفون لسلطين مصر بالسيادة عليهم شأنهم في ذلك شأن أشراف مكة في
الحجاز ، وكانت نجد والأحساء تعيش في ظل تنظيمات قبلية ولم تخضع
لسلطة سياسية من دولة خارجية .

وفي الجناح الأفريقى من الوطن العربى ، ظهرت بالسودان أول سلطنة
إسلامية في سلطنة الفونج في سنار عام ١٥٢٢م التى حاولت توحيد كل
أقاليم السودان في دولة إسلامية عربية بعد أن تعددت مملكاته . وفي ليبيا
سادتها دويلات صغيرة حتى احتلها الأسبان عام ١٥١٠م ثم أهدها
لفرسان القديس يوحنا في مالطة عام ١٥٣٥م إلى أن طردهم منها الأتراك
والعثمانيون عام ١٥٥١م .

وفي تونس حكمتها الأسرة الحفصية من عام ١٢٢٨م التى امتدت سلطتها
في بعض فترات التاريخ شرقا إلى طرابلس وإلى الأندلس غربا حتى سارت
ولاية عثمانية منذ عام ١٥٣٤م ، وأما الجزائر فقد حكمتها أسرة بنو عبد الويد
الذين اتخذوا من تلمسان مركزا لدولتهم منذ عام ١٢٣٥م . وأما مراکش

فقد عاشت تحت حكم أسرة بنى واطس ومركزهم مدينة قاس عام ١٤٧٠م ومارسوا الجهاد البحري الإسلامى ضد سفن الأسبان وفرسان القديس يوحنا .

نظر العرب إلى انتصارات الأتراك العثمانيين على البيزنطيين نظرة فرح واستبشار وعدوها انتصارات للمسلمين ، وعندما سقطت مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية فى أيدى العثمانيين عام ١٤٥٣م سرت رنة الفرح وسرور بين العرب وأقيمت الاحتفالات فى كل من القاهرة ودمشق ، وغيرها من المدن العربية .

ولكن مع أوائل القرن السادس عشر تحول العثمانيون للزحف نحو المشرق العربى والسيطرة على كل من العراق وبلاد الشام ومصر والحجاز، ثم امتداد السيطرة العثمانية على كل من الجزائر وتونس وليبيا من أقطار المغرب العربى وإن لم ينجحوا فى فرض سيطرتهم على مراكش أو موريتانيا .

فلماذا كان هذا الزحف العثماني والسيطرة على أقطار الوطن العربى ؟ أوبعبارة أخرى ماهى الأسباب التى دفعت العثمانيين إلى التحول لفرض السيادة العثمانية على أقطار الوطن العربى فى المشرق والمغرب ؟ سوف نحاول الإجابة على هذه التساؤلات فى الصفحات التالية :

وما هو نظام الحكم الذى وضعه سلاطين آل عثمان وبصفة خاصة سليمان بن سليم الأول الذى عرف بسليمان القانونى ؟ وما شكل هذا الحكم وتنظيماته فى الوقت الذى كانت فيه الأقطار العربية التى خضعت للحكم العثماني وتنظيماته — وفى مقدمة هذه الأقطار، مصر بطبيعة الحال أكثر تحضرا من الدولة العثمانية ؟ الإجابة على هذه التساؤلات ستظهر فى الصفحات التالية :

وهل التنظيمات التى وضعها العثمانيون لحكم الأقطار العربية تعد أثرا من تأثيرات بيئة الأتراك العثمانيين الأصلية فى وسط آسيا أم دخلت عليها تأثيرات من حضارات أخرى احتك بها العثمانيون فى انتقالهم من وسط آسيا إلى هضبة الأناضول بآسيا الصغرى ، كالحضارة الفارسية والحضارة البيزنطية والثقافة العربية الإسلامية ؟ الإجابة على هذه التساؤلات سنراها فى الصفحات التالية :

خضعت الأقطار العربية للحكم العثماني حوالى أربعة قرون من ١٥١٤ إلى ١٩١٤م، فهل كانت تأثيرات العثمانيين طوال هذه الفترة إيجابية كلها أو سلبية كلها؟.. سوف نحاول الإجابة على هذا التساؤل في الصفحات التالية :

فلنحاول في هذا الفصل الإجابة على كل التساؤلات المثارة في هذه المقدمة على أمل استجلاء الحقائق وتوضيح الأمور بموضوعية ..

أولا الحكم العثماني في الوطن العربي

تنسب الدولة العثمانية إلى الأمير عثمان الأول مؤسسها بوسط آسيا الصغرى في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى — وبالتحديد عام ١٢٩٩م وهو عام ارتقاء عثمان الأمانة — وفي عصورها الأولى أطلق عليها المؤرخون العثمانيون اسم «دولت عليه» أى الدولة العلية، ثم أطلقوا عليها اسم : «سلطنة سنية» أو السلطنة السنية، كما أطلق عليها بعد إتساع ممتلكاتها في أوروبا وآسيا وأفريقيا اسم «امبراطور لى عثمانلى» أى الامبراطورية العثمانية، وعرفت أيضاً بالاسم الذى ارتاح له الأتراك العثمانيون وهو «دولت عثمانلى» أى الدولة العثمانية. وكان العثمانيون يتمسكون بكلمتى «عثمانى» و«عثمانيين» لقباً مميزاً لهم تعبيراً عن إعترازهم بانتسابهم إلى عثمان الأول — كما ذكرنا — من ناحية، وستلاء على هذه الأجناس التركية الآسيوية المتبربرة في نظرهم من ناحية أخرى. وظل ذلك الموقف العثماني من لفظة تركى حتى أوائل القرن العشرين، على الرغم من أن لغتهم كان يطلق عليها في جميع العصور التاريخية التركية (١).

لقد جاء بناء الدولة العثمانية الفتية، أوروبا، حيث أنطلقت من جزيرة آسيا الصغرى وانقضت على الدولة البيزنطية الهرمة المتاخمة لها في شبه جزيرة البلقان، وأخذت تهزمها في كل الميادين حتى إستطاع السلطان محمد

(١) د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية .. ص ١١ — ١٢ .

الثانى فتح مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣م واتخذها عاصمة لدولته وأطلق عليها أسم استانبول (٢). ولم يتوقف العثمانيون فى زحفهم بشرق أوروبا إلا بعد أن وصلوا إلى أبواب مدينة «فيينا» عاصمة النمسا عام ١٥٢٩م.

وكانت أقطار الوطن العربى والإسلامى تنتظر إلى إنتصارات العثمانيين وفتوحاتهم على حساب الامبراطورية البيزنطية نظرة ملؤها الاحترام والحماس والتأييد، فى الوقت الذى جعلت هذه الانتصارات العثمانيين ينظرون إلى أنفسهم نظرة حماة الدين الإسلامى والأقطار الإسلامية.

ولكن الدولة العثمانية بعد أن زادت فى التوسع غربا توقف الزحف أوكاد، وفى مقابل ذلك وجدناها تتجه شرقا وترحف نحو أقطار الوطن العربى لتستولى عليها.. وإذا كانت ظروف الدولة العثمانية القوية قد هيأت لها التوسع، فإن ظروف أقطار الوطن العربى قد سهلت على الدولة العثمانية تحقيق إتجاهها للتوسع.

فقد كانت كل من فارس والعراق تعاني من الدمار والنقوص نتيجة للاغارات المغولية الشىء الكثير حتى استطاعت الدولة الصفوية فى أوائل القرن السادس عشر (١٥٠٨م) تكوين وحدة سياسية من العراق وفارس على أساسى دينى شيعى يعادى المذهب السنى الذى تدين به الدولة العثمانية الفتية.

وإذا كانت مصر وأقطار الشام قد نجت من الاغارات المغولية المخربة على يد سلاطين المماليك، إلا أن دولة المماليك رغم ضخامتها — حيث كانت لها السيادة على الحجاز إلى جانب كل من مصر وأقطار الشام — كانت فى أوائل القرن السادس عشر قد وصلت إلى حالة من الأعياء الشديد بسبب تحول تجارة الهند والشرق الأقصى عن طريق مصر والبحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وبسبب حروب المماليك المستمرة وبصفة خاصة ضد الزحف البرتغالى على منافذ البحار العربية الجنوبية، وليس أدل على ضعف

(٢) د. الشناوى: المرجع السابق ص ١٦-١٧.

المماليك من هزعتهم أمام البرتغاليين في مياه الهند فيما عرف بمعركة ديو البحرية عام ١٥٠٩م - كما ذكرنا -، ولذلك كانت مقاومتهم للزحف العثماني نحو أقطار الشام ومصر مقاومة غير عنيدة بل كانت قوتهم مفككة.

أما أقطار الوطن العربي في شمال أفريقيا : الجزائر، طرابلس الغرب، تونس، فقد دخلت تحت السيادة العثمانية دون مقاومة من سكانها بل رغبة من بعض أهلها للتخلص من تهديدات أسبانيا ذات السياسة انصليبية، وتهديدات فرسان القديس يوحنا القراصنة، بل ورغبة من مواطني هذه الأقطار العربية في أن تقضى الدولة العثمانية الإسلامية الفتية على السيطرة المسيحية في مياه هذه الأقطار العربية وبعض شواطئها.

وقد سارعت الدولة العثمانية إلى بسط سيادتها على أقطار الوطن العربي الثلاثة المشار إليها - الجزائر، طرابلس الغرب، تونس - في المغرب العربي حتى تحكم الحلقة حول البحر الأبيض المتوسط، وتكتمل السلسلة العربية من الأقطار الداخلة في حوزة السلطنة العثمانية سواء المشرقية أو المغربية.

حدث إذن زحف وتوسع عثماني على الأقطار العربية، نتيجة توفر عوامل أوظفوها هيأت لهذا الزحف والتوسع سواء في داخل الدولة العثمانية أو أقطار الوطن العربي، وقد استمرت السيطرة العثمانية طوال أربعة قرون تعرضت فيها الأقطار العربية لتطورات وعوامل داخلية وخارجية كظهور العصبية المحلية وسيطرتها على الحكم في بعض الأقطار العربية، وقيام الدعوات السلفية ذات البرامج الإصلاحية الدينية اصطدم بعضها بالدولة العثمانية، إلى جانب الثورات المحلية ضد الحكم العثماني، بالإضافة إلى الزحف الاستعماري الأوروبي على معظم أقطار الوطن العربي التي هي ولايات عثمانية.

أما المدة التي بقيت فيها أقطار الوطن العربي خاضعة للحكم العثماني، فإنه رغم أن السيطرة العثمانية استمرت لمدة أربعة قرون كما ذكرت، إلا أن استمرار هذه السيطرة العثمانية طوال هذه القرون الأربعة حدثت في أقطار دون أخرى وأعنى في الأقطار التي لم تتعرض لغزوات استعمارية

أوروبية والتي بقيت تحت السيطرة العثمانية حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

أ- نظام الحكم العثماني:

وضع السلطان سليمان القانوني أو المشرع لحكم الولايات العثمانية — ومنها الأقطار العربية نظاما للحكم يقوم على توزيع السلطة بين ثلاث قوى كانت على النحو الآتي:

- ١- الوالي وهو نائب السلطان في حكم الولاية.
- ٢- رؤساء الجند وهم قادة الفرق أو الأوجاقات العثمانية.
- ٣- العصبية المحلية وتتمثل في الزعمات المحلية التي حكمت البلاد قبل مجيء العثمانيين مثل المماليك في مصر والتبائل العربية في الشام.

ب- تأثيرات نظام الحكم العثماني:

كان العرب يشكلون الجزء الإسلامي الأكبر في مجموعة ولايات الدولة العثمانية، وبذا كانوا أكثر الولايات العثمانية تأثيرا بالتنظيمات العثمانية إيجابا وسلبا، وكان العرب ينظرون إلى الدولة العثمانية قبل زحفها وتوسعها شرقا نظرة إكبار وفخار لما كسبته للمسلمين من فتوحات في بلاد الروم، كما ظل العرب بعد خضوعهم للحكم العثماني ينظرون إلى العثمانيين باعتبارهم حماة الدين الإسلامي، بل وباعتبارهم المحافظين على الخلافة الإسلامية.

وقد تأثر العرب بنظام الحكم العثماني بتأثيرات إيجابية وتأثيرات سلبية نسوقها بإيجاز على النحو الآتي:

التأثيرات الإيجابية:

يمكننا أن نحدد التأثيرات الإيجابية لنظام الحكم العثماني على العرب فيما يلي:

- ١- الوحدة السياسية الإسلامية.
- ٢- مواجهة الصفويين الشيعة في إيران.
- ٣- التصدي للبرتغاليين في المياه الجنوبية.

- ٤- التصدى للإسبان وفرسان القديس يوحنا في البحر المتوسط.
 - ٥- منع المراكب المسيحية من دخول البحر الأحمر.
 - ٦- تقوية الحياة الإسلامية في نفوس العرب.
 - ٧- تأخير الغزو الإستعماري الأوربي للأقطار العربية.
 - ٨- كان الحكم العثماني للوطن العربي حكما غير مباشر.
- وباستعراض التأثيرات الإيجابية للحكم العثماني على أقطار الوطن العربي خلال أربعة قرون يتضح ما يلي :
- ١- لم يكن الحكم العثماني سيئا بالصورة التي ألصقها به أعداؤه، بدليل أن الأقطار العربية استفادت بصورة أوبأخرى وبدرجات متفاوتة من هذا الحكم كما رأينا.
 - ٢- أن معظم التأثيرات الإيجابية للحكم العثماني على الأقطار العربية لم تكن مقصودة أو مخطط لها لخدمة تلك الأقطار وإنما حدثت لخدمة الدولة العثمانية كإمبراطورية تمتلك أو تفرض سيادتها على تلك الأقطار.
 - ٣- أن الدولة العثمانية ظلت قوية طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر في ممارسة سلطتها على ولاياتها العربية وغير العربية، ومن هنا كانت تأثيراتها الإيجابية قوية ومؤثرة، وعندما بدأ انضعف يدب في أوصال الدولة ابتداء من القرن الثامن عشر وظهور العصبية المحلية في الأقطار العربية ضعفت التأثيرات الإيجابية للدولة على الأقطار العربية.
 - ٤- أن بعض التأثيرات الإيجابية للحكم العثماني في الوطن العربي لم تكن إيجابية تماما وإنما شابها سلبية أضعفت من إيجابيتها كالوحدة السياسية، وتقليد منع المراكب المسيحية من دخول مياه البحر الأحمر.. وغيرها..

التأثيرات السلبية :

يمكن لنا تحديد التأثيرات السلبية لنظام الحكم العثماني على أقطار الوطن العربي في النقاط الآتية :-

- ١- الفهم القاصر والناقص لوظائف الدولة ومسؤوليات الحكومة .
- ٢- تقسيم المجتمع إلى طبقتين : طبقة الحكام الأتراك وطبقة المحكومين

العرب

- ٣- الشك وعدم الثقة في ممثلى السلطة بالولايات .
- ٤- الرجعية وعدم التجديد سمة الحكم العثمانى .
- ٥- الطابع العسكرى لنظام الحكم العثمانى .
- ٦- سوء الادارة العثمانية .
- ٧- الامتيازات الأجنبية للأوروبيين فى الأقطار العربية .
- ٨- فرض العزلة على الأقطار العربية .

مما سبق يتضح ما يأتى :

- أ- أن الحكم العثمانى فى الوطن العربى لم يكن إيجابيا كله وسلبيا كله .
- ب- أن معظم التأثيرات السلبية للحكم العثمانى فى الوطن العربى لم تكن مقصورة ولا مباشرة وإنما حدثت بسبب ظروف العصر الذى وجدت فيه .
- ج- أن التأثيرات السلبية للحكم العثمانى فى الأقطار العربية كانت أبقى أثراً وأشد تأثيراً من التأثيرات الإيجابية وهذا مادعا البعض إلى القول بأن العثمانيين سبب تخلف العرب .
- د- ساعد على سلبية الحكم العثمانى فى المجتمعات العربية أن العثمانيين لم يكن لهم رصيد حضارى يقدموه للحياة العلمية فى الولايات العربية ، فلم يتعلم العرب اللغة التركية ولم يدخلوا اللغة التركية فى الكتابيب (٣) .

ثانيا : العصبية المحلية

رأينا فى الصفحات السابقة كيف أدت تأثيرات الحكم العثمانى السلبية على أقطار الوطن العربى إلى ضعف وتخلف هذه الأقطار بل والعودة بها إلى التفكك كما حدث للخلافة العباسية فى العصر العباسى الثانى حيث ظهرت دويلات فى المشرق الإسلامى ودويلات فى المغرب الإسلامى ..

(٣) د. محمد أنيس : أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ج ٣ ص ١١٠٧ .

ونتج عن هذه التأثيرات السلبية ظهور العصبيات المحلية في الولايات الخاضعة للحكم العثماني تلك العصبيات التي لم تكن لتظهر لولا ما أصاب الدولة العثمانية من مظاهر الضعف والإفلاس الإداري والفقر الحضاري .

ويذكر بعض المؤرخين أن ظهور العصبيات المحلية يرجع إلى ظلم الولاة العثمانيين وثقل وطأة الحكم العثماني ورجاله على الشعوب العربية ، مما دفع بالبعض من المغامرين أو المتطلمين إلى الزعامة إلى إستغلال ضيق الشعوب فأظهروا الرغبة في التصدى للمظالم الواقعة على العرب بهدف الحصول على مساندة أهالي الولايات لارتقاء كرسى الباشوية .

كما يذكر البعض الآخر من المؤرخين أن ظهور العصبيات المحلية في الأقطار العربية يرجع إلى نزعات فردية ومطامع شخصية تتصل برغبة أصحابها في السيطرة على أقليم من الأقاليم العربية لتحقيق مكاسب مادية والحصول على سلطة كاملة تحقق له أملا أو حلما راوده منذ صغره كما في حالة الممالك .

ومما يجب ملاحظته أن معظم العصبيات المحلية كانت تركية الجنسية على الرغم من قيامها في ولايات عربية ، باعتبار القائمين بها أتراكا يعملون في خدمة الدولة العثمانية وطمعوا في حكم وراثي طويل .

ومع التسليم بهذا القول فقد كانت هناك حركات عربية تمثلت في ثورات القبائل العربية في الولايات ضد الحكم العثماني ، وثورات دروز لبنان ، وحركة الشيخ ظاهر العمر في جنوب سوريا وهذا في نظر بعض المؤرخين دليل على حيوية الشعوب العربية وعدم استسلامها لسلبات الحكم العثماني .

ومما تجب ملاحظته كذلك أن معظم العصبيات المحلية ظهرت في العالم العربي خلال القرن الثامن عشر الميلادي وهو القرن الذي شهد إنهار التوازن الذي حرص على وجوده السلطان سليمان القانوني في تشريعات الحكم بين الوالي من ناحية والعصبيات المحلية وقادة الأوجاقات العثمانية من ناحية أخرى .

وقد ظهرت عصبية محلية في المشرق العربي تمثلت في ثورة المعنيين بجبل لبنان، وآل العظم في بلاد الشام والشيخ ظاهر العمر في جنوب سوريا وحكم الماليك في العراق.

كما ظهرت عصبية محلية في مصر - قلب المنطقة العربية ودارة الولايات العربية تحت الحكم العثماني - تمثلت في حركة علي بك الكبير، ثم أسرة محمد علي.

ولم تكن سياسة الدولة العثمانية حيال هذه العصبية المحلية سوى تعبير عن الأفلاس الذي أصاب الحكم العثماني، فكانت تلجأ إلى إرسال الحملات العسكرية للقضاء على ثورات القبائل العربية، وإذا فشلت في ذلك لجأت إلى سياسة تغيير الباشوات أو تضطر إلى تثبيت الباشا لمدة طويلة وتقبل حكم أسرته وراثيا إذا أثبت أفراد هذه الأسرة طاعة وخضوعا وقدموا الأموال الكافية للسلطان العثماني ورجال دولته.

كما أن الشعوب العربية لم تعضد هذه العصبية المحلية نظرا لأن هذه الشعوب لم تجد فارقا كبيرا بين زعماء هذه العصبية وبين الحكم العثماني المباشر، ولذلك نجد أهالي الولايات العربية كانوا يطلبون من السلاطين العثمانيين - عندما تفسد الأمور في بلادهم في ظل هذه العصبية - عزل أصحاب هذه العصبية.

أ - العصبية المحلية في المشرق العربي:

شهد المشرق العربي في ظل الحكم العثماني ظهور عصبية محلية متعددة في جبل لبنان وبلاد الشام والعراق وجنوب سوريا ونحن لسنا في مجال ذكر هذه العصبية في تلك الأقطار العربية تفصيلا، بل نورد لها لتدل على سلبية الحكم العثماني ومساوئ التنظيمات العثمانية في المشرق العربي.

- ١ - المعنويون والشهابيون في جبل لبنان ١٥١٦ - ١٨٦٤ م.
- ٢ - آل العظم في الشام من ١٧٢٤ - ١٧٨٦ م.
- ٣ - ظاهر العمر في فلسطين من ١٧٣٣ - ١٧٧٥ م.
- ٤ - أسرة حسن باشا وماليك العراق من ١٧٠٤ - ١٨٣١ م.

- بـ العصابات المحلية في المغرب العربي:
- شهدت منطقة المغرب العربي الكبير عصابات محلية كان أبرزها الحسينيون في تونس والقرمانليون في ولاية طرابلس الغرب (ليبيا).
- ١- الأسرة الحسينية في تونس من ١٧٠٥-١٩٥٨ م.
- ٢- الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب من ١٧١١-١٨٣٥ م.
- جـ العصابة المحلية في مصر:
- ١- حركة علي بك الكبير من ١٧٦٣-١٧٧٣ م.



الباب الثانى

عصر الاستقلال

■ مقدمة

■ الفصل الثالث: استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار
البريطانى

■ الفصل الرابع: استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار
الفرنسى

■ الفصل الخامس: استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار
الإيطالى

■ مقدمة ■

تعرضت أقطار الوطن العربي في القرن التاسع عشر لأطماع الدول الأوروبية بهدف استعمار هذه الأقطار لمصلحة الدول الاستعمارية ، وقد تسابقت الدول الأوروبية لأقتطاع أجزاء من قارتى آسيا وأفريقيا العربية وغير العربية والسيطرة عليها واستغلال إمكاناتها الطبيعية والبشرية .

وفد حدثت حركة الاستعمار الأوروبى في القرن التاسع عشر نتيجة توفر عوامل في أوروبا وفي الدولة العثمانية وفي الأقطار العربية ذاتها ، فقد كان لازدهار التصنيع في أوروبا أثره في بحث الدول الأوروبية عن أماكن لجلب المواد الخام منها ولتسويق المصنوعات ، فجاءت حركة الاستعمار لتحقيق مطالب الدول الصناعية الكبرى في أوروبا .

كما كان لظهور عوامل الضعف التي ألمت بالدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر نتيجة لإفلاس نظام الحكم العثماني وضعف القوة العثمانية وتخلف نواحي البناء العثماني السياسي والاقتصادي والثقافي في مواجهة الحضارة الأوروبية المزدهرة .. كان لكل ذلك أثره في إغراء الدول الإستعمارية لاقتطاع الأقطار العربية الخاضعة للحكم العثماني تحت مقولة أن الدولة العثمانية صارت في القرن التاسع عشر رجل أوروبا المريض .

كما كان للضعف الذي ألم بالأقطار العربية سواء تلك التي خضعت للحكم العثماني أو تلك التي لم تخضع منذ القرن التاسع عشر أثره في إغراء الدول الأوروبية لاستعمار تلك الأقطار التي لم تكن لديها القوة المادية لمقاومة الاستعمار وإفشال خططه .

وعلى هذا تحققت السيطرة الاستعمارية البريطانية على مصر والسودان والصومال الشمالى والعراق وأقطار الخليج والجنوب العربى ، كما تحققت تلك السيطرة على كل من فلسطين وشرق الأردن .

كما فرضت فرنسا سيطرتها الاستعمارية على كل من الجزائر وتونس ومراكش وموريتانيا وجيبوتى وسوريا ولبنان خلال مائة عام تقريبا من عام ١٨٣٠ م إلى عام ١٩٢٠ م . وأما إيطاليا فقد فرضت سيطرتها الاستعمارية على كل من أريتريا والصومال الجنوبى وولاية طرابلس الغرب (ليبيا) .

وفى هذا الباب نعالج جذور السيطرة الاستعمارية الأوروبية على الأقطار العربية ، وكيفية مقاومة الشعوب العربية ضد السيطرة الإستعمارية حتى تحقق الإستقلال لهذه الشعوب وظهور دول عربية مستقلة ذات سيادة لها مكانتها الدولية .



■ الفصل الثالث ■

استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار البريطاني

— مقدمة

— أولا : مصر والسودان .

— ثانيا : العراق .

— ثالثا : أقطار الخليج والجنوب العربى .

— رابعا : الأردن .

■ مقدمة ■

كانت بريطانيا أول دولة أوروبية يتحقق فيها الازدهار الصناعي نتيجة نجاح الثورة الصناعية فيها منذ القرن الثامن عشر حتى عرفت بريطانيا بأنها مصنع العالم، ومن ثم كانت أولى الدول التي اتجهت لتكوين مستعمرات لها فيها وراء البحار من أجل ضمان الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة لتشغيل مصانعها، وفتح أسواق للمصنوعات البريطانية.

وهكذا ركزت السياسة الاستعمارية على الأقطار التي تحقق ضمان المواد الخام والأسواق للمصنوعات البريطانية، فكان الاستعمار البريطاني لكل من مصر والسودان والصومال الشمالي والعراق وأقطار الخليج والجنوب العربي وكلها ترتبط بالمصالح الإستعمارية البريطانية في الهند وشرق أفريقيا، هذا إلى جانب فلسطين والأردن.

ومن الثابت أن هذه الأقطار العربية حصلت على استقلالها بعد كفاح طويل ضد الاستعمار البريطاني حتى تحققت لها السيادة الكاملة على أرضها وتمتلك إرادتها السياسية وإمكاناتها الاقتصادية التي مكنت لها مكانة دولية.

وفي الصفحات التالية عرض لجذور الإستعمار البريطاني في الوطن العربي وكفاح شعوب الأقطار العربية التي خضعت لهذا الأستعمار حتى تم الاستقلال الكامل لهذه الأقطار.

أولاً : مصر والسودان

فترة الاستعمار:

كانت انجلترا أسبق الدول الأوروبية اهتماماً بالمنطقة العربية وبالتالي فرض السيطرة الاستعمارية على أجزاء كثيرة في الوطن العربي . ففي مصر تم تعيين أول قنصل لانجلترا عام ١٦٩٧م بالقاهرة ووكيلاً له بالاسكندرية ، وحصل الانجليز على امتيازات من السلطان العثماني في مصر، ومن ثم دخل الانجليز في منافسة مع الفرنسيين في مصر. وفي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ازداد اهتمام انجلترا بمصر لا على أنها سوق تجارية ولكن لعاملين جديدين الأول ضعف الدولة العثمانية وهزائمها المتكررة في البلقان وظهور الأطماع الفرنسية في مصر بما يوحى بقرب غزو فرنسا لمصر، والعامل الثاني هو ظهور أهمية مصر كحلقة في طريق المواصلات البرية والبحرية بين أوروبا وأفريقيا، فقد انتزعت انجلترا من فرنسا أكبر مستعمراتها في الهند في صلح باريس عام ١٧٦٣م، واتجه الاهتمام إلى تيسير المواصلات بين انجلترا وامبراطورتها الهندية، ومن هنا انبعث التفكير إلى إحياء الطرق البرية القديمة وأهمها البحر الأحمر ومصر، وطريق الخليج والفرات (١).

وقد حاول الانجليز إحياء طريق التجارة عبر البحر الأحمر ومصر، وقاموا بمحاولات متعددة لذلك بعضها مع الباب العالي وبعضها مع أمراء المماليك، وبصفة خاصة على بك الكبير الذي كان قد استولى على الحجاز فرحب بالفكرة لأنها ستدر عليه دخلاً كبيراً بوصول السفن التجارية الهندية إلى السويس ثم تمر عبر الأراضي المصرية إلى الإسكندرية حيث تحملها السفن إلى انجلترا.. وهذا المرور سوف ينعش مصر بعد أن تحولت التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح منذ أوائل القرن السادس عشر.

وهكذا تحكم في السياسة الانجليزية نحو مصر والبحر الأحمر ما عرف بالعامل الهندي Indian Factor الذي استخدم الطريق البري عبر مصر إلى الهند، وقد كان ذلك سبباً يدفع السياسة الخارجية الانجليزية إلى تقدير أهمية مصر من الناحية الجغرافية وتقدير أهمية موقعها بالنسبة

(١) د. عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ص ٢٢١.

للالامبراطورية البريطانية في الهند (٢). ولكن اضطراب الأحوال في مصر في عهد سيطرة الأميرين إبراهيم بك ومراد بك على الأمور دفع الانجليز إلى التخلي مؤقتاً عن الاهتمام بمصر وبالطريق البرى عبرها.

ولكن حدوث الغزو الفرنسى لمصر عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٠١ م قد نبه انجلترا إلى ضرورة الاهتمام بمصر، كلنا يذكر موقف انجلترا من هذا الغزو ومشاركتها في إجلاء الفرنسيين عن مصر بالقوة عام ١٨٠١ م، ثم محاولتها أن يكون لها النفوذ الأعلى في مصر في أوائل القرن التاسع عشر لدرجة تحتضن فيها فريقاً من الأمراء والمماليك على رأسهم محمد بك الألفى ليكونوا رجالها وعملاءها في مصر. وقد حاول الانجليز مع السلطان العثماني أن يعهد بالحكم في مصر لمحمد بك الألفى، ولكن دون جدوى حتى توفي الألفى في يناير ١٨٠٧ م، ثم محاولة انجلترا احتلال مصر فيما عرف بحملة فرير عام ١٨٠٧ م أيضاً التى فشلت وانسحبت تحت ضغط المقاومة الشعبية المصرية، ولكنها لم تقف مكتوفة اليدين أووقفت موقف المتفرج للبناء الحديث الذى يشيده محمد على معتمداً على الخبرة الفرنسية في المقام الأول، إذا أنها أخذت ترقب الموقف إلى أن تنبأ لها الفرصة لتضرب ضربتها.

ورغم أن محمد على شجع انجلترا على إعادة فتح الطريق عبر مصر والبحر الأحمر إلى الهند، فإن إبراهيم باشا عارض مشروعاً انجليزياً عام ١٨٣٦ م باستخدام السفن الانجليزية في نهر الفرات لأن ذلك سوف يحد من امتداد الحكم المصرى إلى العراق، وكان ذلك من عوامل سوء العلاقة بين انجلترا ومحمد على، كما زاد العلاقة سوءاً اتصال إبراهيم باشا بأمراء المشيخات العربية في الخليج والجنوب العربى وحثه إياهم على توثيق العلاقات السياسية والحربية والاقتصادية مع مصر. ومن ثم توترت العلاقات بين الطرفين حتى أُنذرت الحكومة الانجليزية بأنها لن تقف مكتوفة اليدين إزاء زحف من جانب محمد على تجاه بغداد والخليج. وأن أى اعتداء على عدن

التي احتلتها إنجلترا عام ١٨٣٩م، يعد اعتداء على جزء من الأملاك البريطانية (٣).

واستمرت محاولات إنجلترا من أجل فرض النفوذ في مصر، ولم تكن هذه المحاولات تستقيم مع مشروعات محمد علي الداخلية والخارجية، ولذلك اتخذت إنجلترا موقف المعارض لفكرة محمد علي بإعلان الاستقلال بمصر والانفصال عن الدولة العثمانية وأنها ترى من المستحيل تنفيذ هذه الفكرة وترى من نتائجها المحققة الدمار للبasha (٤) وقد استطاعت إنجلترا أن تستغل رغبة محمد علي في تحسين علاقته معها في توسيع تجارتها مع مصر، ذلك أن المصانع الإنجليزية اعتمدت على القطن المصري منذ عام ١٨٢١م. وقد أصبحت تجارة مصر مع إنجلترا منذ عام ١٨٣٠م تفوق تجارتها مع أى بلاد أخرى، حتى أنه في سنة ١٨٤٩م، التي توفي فيها محمد علي بلغ ما استوردته مصر من بريطانيا ٤١% من وارداتها، وما أرسلته إليها ٤٩% من صادراتها (٥).

ورغم ذلك وقفت إنجلترا موقفا عدائيا ضد مصر في معركة نوارين البحرية، وفي حروب الشام إلى جانب السلطان العثماني، وعملت على تأليب الدول الأوروبية ضد مشروعات محمد علي حتى انتهى الأمر بفرض معاهدة لندن عام ١٨٤٠م على محمد علي والتي أفقدته جهوده ومشروعاته العربية بل والدخالية بتخليه عن بلاد الشام والحجاز وكريت، وبقتل التجربة الصناعية المصرية الحديثة والنهضة التعليمية العسكرية.

استطاعت إنجلترا في عهد عباس باشا أن تحصل على امتياز مد خط حديدى بين القاهرة وكل من الاسكندرية والسويس، رغم كراهية الباشا للنفوذ الأوروبى، وواضح من هذا الأمتياز المواقع التي تهتم بها إنجلترا في مصر لتشجيع تجارتها وتسويق صناعتها. ولكنها فقدت هذا النفوذ في عهد محمد سعيد باشا، ولكنها استطاعت إغراق الباشا في الديون حتى تحكم

(٣) جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ١٢٢.

(٤) محمد رفعت: تاريخ مصر السياسى في الأزمنة الحديثة ص ١٢١.

(٥) جورج كيرك: نفس المرجع ص ١٢٣.

السيطرة على مصر كما استغلت حاجة الخديوى إسماعيل إلى الأموال لتحقيق مشروعات طموحة في مصر فزادت من إقراضه حتى جاء الوقت لتحكم اللجان المالية الانجليزية والفرنسية خاصة في شئون الحكم، وذلك التحكيم الذى أقضى في النهاية إلى حدوث الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م.

حدث الاحتلال الانجليزى لمصر بدعوى إنقاذ مصر من الفوضى التى ضربت أطناها في طول البلاد وعرضها، وإعادة حياة الاستقرار والاطمئنان، وإدخال أساليب المدنية الحديثة إلى مصر ذات الحضارة القديمة، وحماية الأقليات والجاليات الأجنبية في مصر والمحافظة على مصالحهم ثم وهو الأهم حماية المصالح الانجليزية الخاصة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، هذه المصالح الناشئة من وقوع مصر في ملتقى الطرق العالمية البرية والبحرية، ثم المحافظة على قناة السويس ومصالح البريطانيين التجارية والمالية (٦).

وسياسة الاحتلال البريطانى في مصر قامت على قاعدتين متناقضتين في الظاهر القاعدة الأولى أن الاحتلال مؤقت وسوف تجلو القوات البريطانية في أقرب وقت تتهيا الفرص لاستقرار الأمور في مصر، والقاعدة الثانية إحكام السيطرة على كل الأمور في مصر. ففيا يتعلق بالقاعدة الأولى لم تقم إنجلترا بالحاق مصر إليها أو فرض حمايتها عليها، ولم تقم بتغيير وضع مصر الدولى والشرعى حتى عام ١٩١٤م بسبب التناقضات بين الدول الاستعمارية، وبقاء مصر جزءا من الامبراطورية العثمانية، وبقى الخديوى يترأس هيئات السلطة الرسمية في مصر.

وفيا يتعلق بالقاعدة الثانية ألغت إنجلترا المراقبة الشائبة على شئون مصر المالية ولم تشأ السماح بوجود مراقبين ماليين فرنسيين بعد أن أصبحت سيطرة الانجليز على البلاد كاملة، وحولت مصر إلى قاعدة لتزويد الصناعة البريطانية بالقطن، وزاد عدد الموظفين الانجليز وزاد نفوذهم في مصر لدرجة التعالى وممارسة الضغط بصورة وصفها اللورد كرومر المعتمد البريطانى في مصر في تقريره سنة ١٩٠٣م بقوله: يحسن بكل بريطانى موظف في

(٦) د. محمد مصطفى صفوت: الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه.

الحكومة المصرية أن يعرف الظروف الخاصة التي يعمل بها في هذه البلاد، وهذه الظروف ينتج عنها بالضرورة أن يكون الأوروبي متقدما والمصري تابعا له حتى ولو كان الأوروبي دون منصب المصري إسما، وأن القيادة للموظف الأوروبي بالضرورة (٧).

وكانت سيطرة لورد كرومر (سير إيفلن بارنج) على مقدرات الأمور في مصر شديدة فقد حرم المصريين من كل سلطة واتخذ مواقف متشددة من الحركة الوطنية المصرية، ورسم سياسة إجلاء المصريين من السودان وإحلال السيطرة الانجليزية محلها، ولعل معنى تقديمه تقارير سنوية دورية عن الحالة في مصر والسودان لوزير الخارجية الانجليزي - لا للسلطان العثماني أو الخديوي - خير دليل على مدى سيطرة سلطات الاحتلال الانجليزي على مقدرات الأمور في مصر لمصلحة الدولة التي تحتل قواتها أرض مصر.

وفي مصر عملت إنجلترا على فصل السودان عن مصر منتبهة فرصة الثورة المهدية عام ١٨٨١م وقد فرضت مصر سياسة إخلاء السودان عام ١٨٨٤م من المصريين عسكريين ومدنيين، ثم فرضت استرجاع السودان عام ١٨٩٦م بقوات مصرية انجليزية مشتركة، انتهت بعقد ماعرف باتفاق الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م الذي جعل السودان تحت السيطرة الكاملة للانجليز.

وقد نصت الاتفاقية على تعيين حاكم عام للسودان تختاره إنجلترا ويصدر قرار تعيينه من الخديوي، وتوضع في يد هذا الحاكم جميع السلطات المدنية والعسكرية والتشريعية والتنفيذية. ووضع موظفون انجليز على رأس جميع مديريات السودان، وشغل عدد من الموظفين المصريين وظائف ثانوية واحتفظت مصر بكتيبة عسكرية في السودان إلى جانب القوات الانجليزية كرمز للمشاركة في الحكم نظير أن تدفع مصر ٧٥٠ ألف جنيه سنويا لسد

(٧) تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في مصر والسودان سنة ١٩٠٣ رضة الإبريل كرومر قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسي في مصر إلى جانب المركز لسودون ناظر خارجيتها.

نفقات إدارة السودان .. وظلت السيطرة الانجليزية على السودان حتى حصل على استقلاله بضغط وجهد من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمصر ..

وقد استمرت الدعاوى الانجليزية بأن الاحتلال مؤقت حتى شبت الحرب العالمية الأولى فانتهزت انجلترا فرصة اشتراك تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب ضد الحلفاء وأعلنت الحماية البريطانية على مصر وفصلت مصر عن تركيا أى إلغاء السيادة التركية على مصر وعزلت الخديوى عباس حلمى الذى كان موجودا في تركيا والمعين بفرمان سلطاني منذ عام ١٨٩٢م وعينت مكانه عام ١٩١٤م السلطان حسين كامل حتى عام ١٩١٧م ثم السلطان أحمد فؤاد، وكلا الاثنين كانا ألعوبة في يد السلطات الانجليزية صاحبة الفضل في تعيينهما ..

وعندما انتهت معارك الحرب العالمية الأولى وشبت ثورة ١٩١٩م في مصر بسبب تعنت سلطات الاحتلال الانجليزي في رفض مندوبين عن الشعب المصرى للمطالبة بإلغاء الحماية الانجليزية وخروج قوات الاحتلال واستقلال مصر والسودان كدولة واحدة، لجأت إلى المراوغة حتى صدر ما عرف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذى ألغى الحماية واعترف باستقلال مصر دون السودان مع عدة تحفظات تنتقص من الاستقلال ..

فترة الاستقلال

تحققت السيطرة البريطانية — كما أشرنا — في بعض الأقطار العربية مثل مصر والسودان والعراق والأردن والصومال وعدن، ومن هنا ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى بصفة أساسية حركات وطنية في هذه الأقطار عملت بالكفاح على إنهاء السيطرة الاستعمارية البريطانية، وبذلك ظهرت في النهاية هذه الأقطار ذات سيادة ومستقلة لتؤكد إرادة المواطنين العرب وتصميمهم على نيل حقوقهم .

أولا — مصر والسودان :

لا يمكن معالجة تاريخ السودان بعيدا عن كفاح مصر فكما ربط نهر النيل بين القطرين طبيعيا وارتبط السكان في شمال وادى النيل مع

السكان في جنوب الوادى بروابط اجتماعية قوية ، فإن القطرين تعرضا طوال تاريخهما الحديث والمعاصر لعوامل واحدة سواء على المستوى الداخلى أو على المستوى الخارجى .

فإذا أخذنا الثورة العرباية في مصر كمثال على مقاومة الشعب المصرى ضد التدخل الأجنبى الأوروبى ، فإن الثورة المهديّة في السودان كانت تعبيراً عن رفض السودانين لمساواة الحكم وأدواته الأجنبية الأوروبية ، أى أن الشعبين المصرى والسودانى تعرضا لعوامل التدخل الأوروبى بما يحقق مصالح المستعمرين ويحرم المواطنين من حقوقهم المشروعة ..

ولذلك لانعجب أن يتطلع أهل شمال الوادى في مصر إلى زعيم ينقذهم مما هم فيه فوجدوه في صورة زعيم عسكرى هو أحمد عرابى ويتطلع أهل جنوب الوادى في السودان إلى زعيم يخلصهم من المساواة التى يتعرضون لها فوجدوه في صورة زعيم دينى هو محمد أحمد بن عبد الله المهدي .

(أ) مصر:

أعقب الثورة العرباية في مصر حدوث الاحتلال البريطانى ، ولكن المصريين لم يستسلموا وبقيت الجذوة الوطنية موجودة في نفس كل مصرى ليحملها من جاء بعد أحمد عرابى من قادة ، وأدرك الشعب المصرى أن في قدرته الأستمرار في تبني المطالب الوطنية التى سبق ونادى بها أحمد عرابى .

وليس أدل على صدق ما نقول من كلمات عبد الله النديم في مذكراته التى سجلها بعد عشر سنوات من بدء الاحتلال البريطانى موجها حديثه لأحمد عرابى المنفى في سيلان ^(٨) ، وأدرس أحوال مصر في المدرسة التى أسستها وأحفظ تاريخ الأمة التى أسستها ، فما كان فيه كان مدرسة ابتدائية ، ونحن الآن في التجهيزية ، وسندخل إن شاء الله المدرسة العليا الخ .

(٨) بلغت مدة النفى التى قضها أحمد عرابى في سيلان ١٩ سنة انتهت عام ١٩٠١ م .

وقد صدقت نبوءة عبد الله النديم، فقد تولى مصطفى كامل زعامة الحركة الوطنية المصرية في التسعينات من القرن التاسع عشر حتى وفاته في فبراير عام ١٩٠٨م، بعد أن نجحت سلطات الاحتلال البريطاني في السيطرة على مقدرات الأمور في مصر بصورة أشاعت روح اليأس في نفوس المواطنين حتى كادوا لا يرون فكاكاً من هذه السيطرة، إلى أن جاءت خطب ومقالات مصطفى كامل الموجهة إلى عواطف ومشاعر المصريين لتجدد الشعور الوطني في مصر.

وكانت سياسة مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد تهدف إلى تحقيق ثلاث غايات هي:

١ - كراهية الاحتلال البريطاني ورفض احتماله والسكوت عليه واعتباره بلاء وكارثة وعارا.

٢ - إقناع المصريين بأن إجلاء الاحتلال البريطاني عن مصر ممكن ومن هنا جاءت صيحة مصطفى كامل: لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة.

٣ - أن مصر عظيمة وجليلة ورائعة وجديرة بكل حب وولاء ووفاء^(٩). ورغم نجاح الاحتلال البريطاني بعد وفاة مصطفى كامل في التضييق على الحركة الوطنية المصرية مما أدى إلى نفي محمد فريد إلى أوزوبا عام ١٩١٢م إلى أن توفي ببرلين في ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩م، وإعلان الحماية البريطانية رسمياً وعلناً في ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤م بحجة وجود حالة الحرب الناتجة عن دخول تركيا الحرب ضد دول الوفاق وإلى جانب ألمانيا والنمسا، وبذلك تحولت الحماية المقنعة القائمة منذ الاحتلال البريطاني لمصر إلى حماية معلنة^(١٠).

رغم ذلك فقد تحمل الشعب المصري تحت نظام الحماية الكثير من الويلات مما دفعه إلى رد الفعل على الاجراءات البريطانية، فقامت مظاهرات طلابية وحدثت محاولات متكررة لاغتيال السلطان حسين كامل،

(٩) فتحي رضوان: مصطفى كامل ص ٣٩٠.

Chirouf, V.: The Egyptian Problem. p. 296.

(١٠)

وحدثت مظاهرة الرديف أمام قصر عابدين في ٢٩ يناير عام ١٩١٦م، واعتذار الأمير كمال الدين حسين عن قبول العرش الذي خلا بوفاة والده في ٩ أكتوبر عام ١٩١٧م، مما حدا بالسلطات البريطانية إلى اختيار أحد فؤاد سلطاناً على مصر يوم ١٠ أكتوبر في ظل الحماية البريطانية.

وإذا كان التحدي هو إعلان الحماية البريطانية على مصر والجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال البريطاني فقد استجاب الشعب المصري بردود فعل قوية أشرنا إليها كانت قتها إنفجار في ثورة عارمة ضد كل ما هو بريطاني على أرض مصر في مارس وأبريل عام ١٩١٩م، ثم استمرت حتى ديسمبر من نفس العام وشملت كل مدن مصر وقراها كانت مفاجأة مذهلة للبريطانيين لأن المصريين ظلوا طوال سنوات الحرب العالمية الأولى مسالين وساعدوا البريطانيين حتى أحرزوا النصر (١١).

وجاءت استجابة الاحتلال البريطاني للموقف المصري في عام ١٩١٩م صدور ما عرف باسم تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذي كانت أهم إيجابياته:

- ١- إلغاء الحماية البريطانية على مصر.

- ٢- الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.

- ٣- إعادة وزارة الخارجية.

- ٤- إنشاء برلمان.

- ٥- تأييد حكومة دستورية.

- ٦- إلغاء الأحكام العسكرية (١٢).

ومع هذه الإيجابيات لتصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢م فقد كانت هناك

ما عرف بإسم التحفظات الأربعة والتي تمثلت في:

(أ) ضمان مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر.

(ب) الدفاع عن مصر ضد كل أنواع العدوان أو التدخل مباشرة أو غير مباشر.

(ج) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات.

(د) السودان.

وكان معنى هذه التحفظات الأربعة الحقيقي أنه لن يكون هناك استقلال بالمعنى الصحيح سواء في الشؤون الداخلية أو الخارجية، وكانت هذه التحفظات موضع مفاوضات متوالية ومضنية خلال الثلاثين عاما التالية. وإن كان التحفظ الثالث قد تم إلغاؤه بعد معاهدة ١٩٣٦ م وعقد مؤتمر منترو بسويسرا عام ١٩٣٧ م أى أن هذه التحفظات كانت التحدى الذى واجه الحركة الوطنية المصرية (١٣).

استمر التحدى بين الحركة الوطنية المصرية والسلطات البريطانية بعد إصدار دستور عام ١٩٦٣ وتشكيل أول وزارة دستورية هى وزارة سعد زغلول فى أول عام ١٩٢٤ م بعد أن فاز حزبه - حزب الوفد - فى الانتخاب، ثم جاءت حادثة مصرع السردار السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى الحاكم وحاكم عام السودان فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤ م لتجهض أول وزارة دستورية فيستقيل سعد زغلول لتظل مصر تحكم بواسطة وزارات لا تحصل على الأغلبية البرلمانية حتى عقدت معاهدة عام ١٩٣٦ م.

ورغم أن معاهدة عام ١٩٣٦ م بين مصر وبريطانيا أكدت المطالب المصرية بالتخلص من سيطرة وتدخّل الموظفين البريطانيين فى شئون الجيش والبوليس المصرى ومن إدارة الأمن العام، وأن مسئولية حماية أرواح وممتلكات الأجانب تقع على عاتق الحكومة المصرية وحدها دون سواها، وأكدت أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وأصبح المندوب السامى البريطانى فى مصر سفيراً، فإن بقاء قوات الاحتلال البريطانى فى مصر واستمرار بقاء السودان خاضعاً لاتفاقية الحكم الثنائى كان التحدى الذى أوجب على الحركة الوطنية المصرية أن تواجهه.

وقد ناضلت الحركة الوطنية المصرية من أجل جلاء الاحتلال البريطانى عن أرض مصر وشهدت هيئة الأمم المتحدة نضالاً وطنياً سياسياً، كما شهدت هيئة الأمم المتحدة نضالاً وطنياً سياسياً، كما شهدت منطقة السويس والمدن المصرية بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية ومن عام ١٩٤٥ م مظاهرات تهتف بالجلاء الكامل عن مصر والسودان، كما شارك

الشباب في عمليات فدائية ضد معسكرات البريطانيين في منطقة قناة السويس من عام ١٩٥١م وحتى عقدت معاهدة بين مصر وبريطانيا في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م نصت على جلاء القوات البريطانية جلاء تاماً عن مصر خلال فترة عشرين شهراً، وتحتفل مصر في ١٨ يونيو من كل عام بذكرى جلاء القوات البريطانية الذي حدث في ١٨ يونيو عام ١٩٥٦.

(ب) السودان:

فرضت على شطرى وادى النيل مصر والسودان ما عرف باتفاقية الحكم الثنائي التي قلبت اسم السودان إلى السودان المصرى البريطانى، بخضوعه لنظام في الحكم ليس له سوابق في تاريخ الفكر السياسى، وقد ظل السودان خاضعاً لهذا النظام منذ عام ١٨٩٩م كان للبريطانيين السلطة العليا في تدبير أمور ذلك القطر حيث تولى الحاكم العام البريطانى دائماً السيطرة المطلقة دون مصر.

ورغم محاولات البريطانيين في كبت الحركة الوطنية السودانية بالعنف، ورغم نجاحهم في خلق طبقة المشايخ والنظار والأعيان على ولاء تام للسلطات البريطانية وكانت من أهم أسلحة بريطانيا للقضاء على الحركة الوطنية، فإن هذه الحركة أشدت فيما بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٤م (١٤)، متأثرة بأحداث مصر بدءاً بثورة عام ١٩١٩م.

وكان تطبيق إتفاقية الحكم الثنائي في السودان هو التحدى الذي إستجاب له السودانيون بحركات ثورية فردية وجماعية من أمثلتها حركات أنصار المهديّة عام ١٨٩٩، وحركة على عبدالكريم بأمر درمان أول عام ١٩٠٠ وكان من أنصار المهديّة، وحركة الشريف محمد الأمين البرناوى الذى أعلن نفسه مهدياً بجمال تقلى بشرق كردفان في أبريل عام ١٩٠٣م، وحركة «محمد ود آدم» عام ١٩٠٤م الذى ادعى أنه النبی عيسى، وثورة «تالودى» عام ١٩٠٦م التى تقع في جبال النوبا جنوب كردفان بزعامة «أحمد المدير» وحركة «موسى أحمد» من قبيلة «بورنو» عام ١٩٠٦م

(١٤) د. يونان ليب: السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩-١٩٢٤م ص ١٧٦.

أيضا، وثورة «عبد القادر محمد إمام ود حبوبة» من قبيلة الحلاوين ومن أكثر أنصار المهدي قوة في ثورته، وذلك عام ١٩٠٨م، وحركات أخرى كانت في أغلبها ذات صبغة دينية مثل حركة «محمد الراضى»، وحركة «الشريف مختار الهاشمى» عام ١٩١٠م، ثم كانت ثورة «على دينار» في دارفور أحد رجال المهدي البارزين في عام ١٩١٥م حتى قتل عام ١٩١٦م.

وكانت الحركة الوطنية السودانية الجماعية متأثرة بمثلتها في مصر، حيث ظهر تعبیر وحدة وادى النيل في الشارع السودانى كما هو في الشارع المصرى بمفهوم جديد لا يعيد السودان إلى ما كان عليه قبل الثورة المهديّة بمعنى استقلال كل من مصر والسودان عن السيطرة البريطانية ومن ثم تحقيق وحدة بين شطرى وادى النيل المستقلين تربطهما علاقات قديمة وحديثة معاً قوامها الجنس، الدين واللغة والتاريخ المشترك والترابط الاجتماعى.

وقد شاركت الوحدات العسكرية السودانية في الثورة على السيطرة البريطانية، وقد اتهمت السلطات البريطانية الضباط والجنود المصريين العاملين في 'سودان' بأنهم وراء ثورات الضباط والجنود السودانيين، من أمثلة هذه الثورات عصيان الأورطة الرابعة عشرة السودانية العسكرية في أم درمان ورفضها الرضوخ لأوامر الكولونيل «ماكسويل» قائد القوات العسكرية في الخرطوم، وذلك في يناير عام ١٩٠٠م وما بعده (١٥).

كما كان لأحداث ثورة عام ١٩١٩م في مصر تأثيراتها على الحركة الوطنية السودانية فشهدت مدن السودان المظاهرات التى طالبت بالاستقلال التام لمصر والسودان، وشارك فيها الضباط المصريون، ورجال السكك الحديدية وموظفو البريد والبرق وغيرهم، إلى جانب الضباط والمثقفين والطلاب السودانيين.

ثم أخذت الجمعيات السرية السودانية دورها في الحركة الوطنية للاستجابة للتحدى ضد السيطرة البريطانية الغاشمة، من أمثلة هذه

(١٥) مكى شيخة: السودان عبر القرون ص ٤٤٢.

الجمعيات « جمعية الاتحاد السوداني » التي ظهرت للوجود عام ١٩٢١م وتشكلت من أعضاء ينتسبون إلى كلية غوردون وخريجي المدارس وبعض الشباب العاملين في مجالات الأعمال الحرة الذين كانوا يجتمعون في نادى الخريجين أى خريجي كلية غوردون بأم درمان، وكان شعار الجمعية « السودان للسودانيين والمصريين أولى بالمعروف » (١٦).

وتعددت الجمعيات السرية الوطنية في السودان مثل جمعية الأعمال المسلحة، وجمعية العلماء، واليد السوداء، واليد البيضاء، وجمعية العمل على خلاص البلاد، وجمعية الدفاع عن الدين في السودان، وكل هذه الجمعيات استخلفت سلاح المنشورات والخطب والمقالات الصحفية والمظاهرات وكلها تهاجم السيطرة البريطانية وتدعو للتعاون مع الحركة الوطنية المصرية ضد العدو المشترك.

وكانت أشهر الحركات الوطنية السودانية جمعية اللواء الأبيض برئاسة الضابط السوداني على عبداللطيف، وجمعية الاتحاد القبلى عام ١٩٢١م. وجمعية الدفاع عن السودان، وجمعية إتحاد السودان، وكانت هذه الجمعيات وعلى رأسها اللواء الأبيض تسعى إلى إنهاء السيطرة البريطانية وتحقيق وحدة وادى النيل مع مصر وكان لهذه الجمعية أنصار بين كل فئات الشعب السودانى والشعب المصرى (١٧).

كما ظهرت جمعيات وطنية سودانية مصاحبة لجمعية اللواء الأبيض ومتعاونة معها ومتفقة وإياها في برامجها، مثل جمعية قبيلة الجعليين التي تمثل إتحاداً قبلياً، وجمعية العمال التي تضم الحرفيين، وجمعية وحدة السودان، هذا إلى جانب الثورات الوطنية العارمة ضد البريطانيين خلال عام ١٩٢٤م وشارك فيها الوطنيون في كل مدن السودان وكان أخطرها ثورة طلاب المدرسة الحربية بالخرطوم في أغسطس من نفس العام.

ورغم أن السلطات البريطانية إنتهزت فرصة حادثة مصرع السردار السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان في ١٩ نوفمبر عام

(١٦) نفس المرجع ص ٤٨٨.

(١٧) ضرار صالح: تاريخ السودان الحديث ص ٢٤٦.

١٩٢٤م وحاولت وأد الحركة الوطنية السودانية فقد إستجاب السودانيون لهذا التحدى بتنظيم صفوفهم من جديد من خلال ما عرف بإسم نادى الخريجين الذى لعب دورا بارزا فى الحركة الوطنية السودانية فى الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين حتى تحقق للسودان إستقلاله . وقد اقتنع رئيس الوزراء المصرى على ماهر فى زيارته للسودان أواخر فبراير ١٩٤٠م بأن مؤتمر الخريجين يمثل المعارضة للإدارة البريطانية (١٨) .

ثم ظهرت أحزاب وطنية تتطلع إلى مصر ابتداء من عام ١٩٤٢ مثل حزب الأشقاء الذى ضم قيادة مؤتمر الخريجين ، وحزب الاتحاديين ، وحزب الأحرار وحزب وحدة وادى النيل ، فى مقابل حزب الأمة تحت رعاية عبدالرحمن المهدي المطالب باستقلال السودان عن مصر وبريطانيا ، وظل هذا الوضع قائما حتى استطاعت الحكومة المصرية بعد ثورة ١٩٥٢م الحصول على حق تقرير المصير للسودانيين من بريطانيا بموجب إتفاقية ١٢ فبراير عام ١٩٥٣م ، والتي أدت إلى إعلان إستقلال السودان نهائياً وإعتباره دولة مستقلة ذات سيادة فى أول يناير عام ١٩٥٦م .

وجدير بالذكر أن علاقة المهديّة بالجنجلا بدأت منذ كان بعض الموظفين الخديويين الإنجليز يتولون وظائف الإدارة والحكم فى السودان منذ عهد الخديوى إسماعيل وقد كره السودانيون شطط هؤلاء الموظفين الإنجليز فى محاربة تجار الرقيق بشكل فيه قسوة وظلم صارخ ، إلى جانب الروح الإستعمارية التى عمل بها هؤلاء الموظفون فى مديرياتهم : غوردون فى خط الاستواء ثم حكمدار للسودان بأكمله ، لبتون فى بحر الغزال ، ومن قبلهم صمويل بيكر . وغيرهم الذين أساءوا إلى وجه الحكم المصرى عند السودانيّين فكروها هؤلاء وكروها معهم الحكم المصرى وشملت الثورة دعوة لإنهاء الحكم المصرى فى السودان الذى أثنى بأجانب ليسئوا معاملة السودانيّين .

وعندما احتلت إنجلترا مصر عام ١٨٨٢م كانت ثورة المهديّ مشتعلة فى السودان ، فاتخذت الحكومة الأنجليزية قراراتين — أصدرهما الخديوى بناء على

(١٨) المرجع السابق .

نصيحة انجلترا - يقضيان بحل الجيش المصرى (جيش العربيين) الناصر على
الخدوي، وبيع أسلحته أو تدميرها. وكان لهذين القرارين أثرهما الخطير على
الموقف في مصر والسودان في الوقت الذي تحتاج فيه حكمدارية الخرطوم إلى
قوات مسلحة لتقضى بها على الثورة المهدية. ولكن انجلترا التي سيطرت على
مقدرات الأمور في مصر والسودان كان لها رأى آخر.

اكتفت سلطات الاحتلال البريطانى في مصر بمعرفة حقيقة ما يدور في
السودان فأرسلت بعثة برئاسة الكولونيل «ستوارت» منذ ديسمبر ١٨٨٢ م،
في الوقت الذي كان فيه عبد القادر باشا حلمي بالخرطوم، فأرسل إلى
الخدوي تقريراً في ٣٠ ديسمبر عن تصرفات ستوارت جاء فيه: من اختبار
أحوال المومى إليه - ستوارت - تبين لنا أنه يريد إظهار سطوتهم بهذه
الجهات، وبناء عليه قد نصحنه بالمحسوس بتعريفه أن الحركات الحاصلة
هي تحركات دينية، وأن ذلك يفتح باباً للشقى - المهدى - لتأييد ما يوهم
به على العربان ويوجههم للثبات على تصديقه واتباعه (١٩). فكلّف
الخدوي ياوره أحمد حمدى بالتوجه إلى الخرطوم ومعه تعليمات للحكمدار
«بالاتحاد مع الكولونيل استاورت - ستوارت - في الآراء النافعة وأن
يجاريه في طلباته ولا يحصل له منه ما يتظاهر منه النفور أو التقصير» (٢٠).

وفي الوقت الذي أظهرت فيه سلطات الاحتلال الانجليزية رغبتها في
عدم التدخل في السودان سمحت لضباط انجلترا بالعمل في السودان وكان
جنرال هيكس أحد هؤلاء الضباط الذين استفاد المهديون من وجودهم على
رأس القوات المصرية في إثارة الروح الوطنية والدينية عند السودانيين، في
الوقت الذي انغمس فيه هيكس في خلافات مع القادة المصريين في
السودان من أجل أن ينفرد بالقيادة والسيطرة، فكان مصيره كما رأينا في
موقعة شيكان في نوفمبر ١٨٨٣ م فكان هذا الموقف الانجليزي مبعث الكارثة

(١٩) وثائق السودان / ١ تلفرافات حكمدارية السودان.

(٢٠) وثائق السودان / ١ مأمورية أحمد حمدى بك إلى السودان / ١ بخصوص بعثة ستوارت.

التي وقعت لجنرال هيكس، كما كان كذلك مبعث الكارثة الأدهى الأخرى بمقتل جنرال غوردون في يناير عام ١٨٨٥م (٢١).

وكانت كارثة هيكس سببا في أن الحكومة البريطانية تقرر سياسة إخلاء السودان وإرسال غوردون إلى السودان لتنفيذ هذه السياسة، وإجبار الحكومة المصرية على قبولها في الوقت الذي كانت فيه الحكومة المصرية قد وصلت إلى قرار بالمحافظة على الخرطوم وإعادة فتح الطريق بين سواكن وبربر (٢٢). ولكن إختيار غوردون لم يكن إختياراً موفقاً ذلك أن «جراهام» الذي كان يلزم غوردون أثناء وجوده بالقاهرة أوضح أن غوردون أعتقد أن المهدي مجرد رمز وأنه ليس في استطاعته الهجوم طالما أن أتباعه لن يتقدموا بعد حدودهم القبلية وربما كان هذا أكبر عدم إدراك وتقدير للموقف الذي قاسى منه غوردون (٢٣).

وعندما كان غوردون في الخرطوم ويتعرض لحصار من المهديين أرسل مدير دنقلة إلى المعية السنية - بلاط الخديوى - بأن المسموع عن الخرطوم أن العدو - المهديين - محاصرها ومنوع وصول المؤنة إليها، وأن المتمهدي مؤكد على جيوشه المحاصرين بضبط غوردون باشا حيا لإجعله أسير مقابلة أسر الانجليز إلى عرابي، وأبلغه أن غوردون باشا قال بأنه إن لم تحضر إليه إمدادية من دولة الانجليز يسلم ويسلم للمتمهدي، والمأمول أنه إذا حضرت قوة كافية فيكون متكفل بإتقاذهم بشرط أن يكون هو قايدهم» (٢٤)..

وبعد سقوط الخرطوم في يد المهدي وظهور نوايا الدول الأوروبية وأطماعها في اقتطاع أجزاء من السودان وملحقاته اتخذت انجلترا سياسة متناقضة، فبينما كان الانجليز يحاولون رد عدوان بعض الدول الأوروبية التي تطمع في اقتطاع أجزاء من جنوبى السودان زاعمة أن تلك الأصقاع لم تكن ملكا لأحد Res Nullius أو أرضا فضاء يستطيع أن يستحوذ عليها من

Shibeika: British Policy in the Sudan. p. 79.

(٢١)

Cromer: Modern Egypt. p. 291.

(٢٢)

Shibeika: Ibid. p. 168.

(٢٣)

(٢٤) وثائق السودان - تلغرافات ومكاتبات تتعلق بثورة المهدي ٤/٢/٢.

يشاء (وكانت خاضعة للسيادة المصرية) كانوا في الوقت نفسه يحاولون أن يتخذوا من حقوق مصر في السيادة على السودان رغم إخلاؤه تكتة يستندون إليها في عقد اتفاقيات مع بعض الدول الأخرى لتقسيم الممتلكات المصرية ذاتها في السودان الشرقى وعلى طول الساحل الصومالى (٢٥).

وعندما تم استرجاع السودان بقوات مصرية إنجليزية مشتركة وبقيادة جنرال كيتشنر الانجليزى أمر القائد بتدمير قبة المهدي في أم درمان وتعقب المهديين ومصادرة أموالهم ، وهو يقصد بذلك أن يثير نفوس السودانيين من المصريين ، رغم أن الضباط المصريين استاءوا جدا لرفع العلم الانجليزى — على سرأى الحكومة بالخرطوم إلى جانب العلم المصرى — واحتجوا على ذلك (٢٦) ثم لم تلبث الحكومة البريطانية أن أبلغت الحكومة المصرية أن لانجلترا حق الأشتراك في حكم السودان بما ضحت فيه من المال والرجال .

كان على المهديية — بعد وفاة المهدي بصفة خاصة — مواجهة الأطماع الاستعمارية فدارت المعارك بين الدراويش والأحباش والايطاليين وهى معارك غير حاسمة في الوقت الذى ظهرت فيه أطماع ليوبولد ملك بلجيكا وصاحب دولة الكونغو في بحر الغزال ، وفرنسا في أعالي النيل . وقد عبر الرئيس الفرنسى «كارنو» لوزير المستعمرات الفرنسى وذكر له : أننى سأكون مسرورا لأثارة المسألة المصرية ، فالسودان المصرى إنما هو أرض خلاء ، وأن فرنسا في حاجة إلى منفذ على النيل لأملاكها في «أوبانجى» وأطلعهم على تقرير حول التقدم نحو فاشودة التى تقرب من روافد السوبات والنيل ، وبواسطة هذا الموقع فأن في استطاعة فرنسا أن تعوق البلجيكيين ، وفي نفس الوقت تخيف البريطانيين خارج مصر بالتهديد بقطع مياه النيل عن مصر (٢٧) .

(٢٥) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسيادة على السودان ص ٦١ .

(٢٦) أحمد شفيق بك : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ ص ٢٨٨ .

Langer; Diplomacy of Imperialism p. 129.

(٢٧)

وفي فاشودة يحدث الصدام بين القوات الفرنسية التي سبقت واحتلت البلدة في ١٠ يوليو ١٨٩٨م ورفعت العلم الفرنسي عليها، والقوات المصرية بقيادة كتشتر الانجليزى التى وصلت إلى البلدة في ٢١ سبتمبر بعد استرجاع الخرطوم، لولا تراجع فرنسا فتأمر بسحب قواتها — خلافاً بين الاستعمار لمصلحة استعمارية لا مصلحة المصريين أو السودانيين — ووجه الأهمية في حادث فاشودة أنه كان أحد مظاهر المنافسة الشديدة وقتئذ بين انجلترا وفرنسا على الاستعمار في أفريقيا عموماً وحوض النيل خصوصاً على حساب حكومة المهديين، وهى كذلك مظهر للنزاع الفرنسى والانجليزى حول المسألة المصرية مسألة الاحتلال الانجليزى.

وحادث فاشودة كذلك أثار مسألة حقوق السيادة للفصل فيما إذا كان الخليفة عبدالله أقام دولة لها كل حقوق السيادة على الأراضى الداخلة في نطاقها، وفيما إذا كانت نظرية الملك المباح هذه إنما تنطبق على كل السودان بما في ذلك الأقاليم موضع النزاع في حوض النيل الأعلى وبحر الغزال، أو فيما إذا كان لا يمكن مطلقاً اعتبار السودان ملكاً مباحاً لأن المهديّة حركة ثورية اغتصبت السلطة من الحكومة الشرعية في البلاد، وأن كل الأثر الذى ترتب عليه إخلاء المصريين للسودان أن حقوقهم في السيادة عليه صارت معطلة فقط، وفيما إذا كانت مصر تمارس حقوقاً في السيادة على السودان بسبب استرجاعها لهذه البلاد نتيجة للعمليات العسكرية التى انتهت بالفتح الجديد.

ومنذ أنهت موقعة أم درمان حكومة الخليفة عبد الله التعايشى استأثر السودان باهتمام الانجليز كمجال لاستعمارهم، وذلك بتنظيم حكم هذا الأقليم بصورة تتيح لهم السيطرة الكاملة على إدارته، وإبعاد تركيا عن ممارسة حقوق السيادة القديمة التى كانت لها، والسماح لمصر بالمشاركة في الحكم على أساس أن مصر صاحبة سيادة قديمة منذ الفتح وجديرة باشتراك قواتها في حملات الاسترجاع. ولقد توصل المسؤولون الانجليز إلى تدبير هذا النظام الذى يكفل كل الأغراض التى ذكرناها والذى عرف باسم النظام الثائى للحكم

في السودان عام ١٨٩٩ م، وكان اللورد كرومر - المعتمد البريطاني في مصر - هو المسئول الأول عن ابتكار هذا النظام (٢٨).

ويدافع كرومر عن نظامه بقوله: إن مصر جنت فوائدها ليس في الاستطاعة تقديرها بالأرقام فقد زال خطر الغزو لمصر من الجنوب نهائيا وبذا تخلصت مصر من نفقات عسكرية باهظة. وكذلك ضمنت موارد مياهها، وكان من المحتمل أن تقام مشروعات رى كبرى في السودان تجعل حياة مصر الزراعية في خطر، كذلك انتعشت التجارة بين القطرين، وبعد ذلك كله يحق لمصر أن تفخر كما لبريطانيا أيضا بأن أعادت السودان إلى حظيرة المدنية والحضارة (٢٩). وهو دفاع لا يستند على أسس منطقية فضلا عن أنه يكشف النوايا الاستعمارية التي رأت أن الإدارة الجديدة في السودان يجب أن تسيطر عليها أيادي بريطانية حتى لا تعود المظالم التي ارتكبت في العهد الماضي والتي يرى أنها رمت بالبلاد في أتون الثورة المهدية (٣٠).

ثانيا - العراق

يمثل العراق بحكم موقعه على طريق الهند مركز اهتمام كبير ومتزايد لانجلترا منذ وطئت أقدام الانجليز الأرض الهندية واستغلال شعبها بصورة وصفها أهل البلاد من التجار أواخر القرن ١٨ بقولهم أن مصانع السادة الانجليز كثيرة كما أن كثيرا من مخازنهم التجارية موجودة في كل مكان بكل قرية، بل تكاد تكون موجودة لكل أرجاء البنغال، وهم يتجرون في جميع أنواع الحبوب والمنسوجات وكل نوع آخر من أنواع السلع يوجد بالبلاد (٣١).

ومن الطبيعي أن ينطلق الانجليز من سيطرتهم على الهند التي استغرقت حوالى مائة عام ١٧٤٨ - ١٨٤٨ والتي أسسوها بحد السيف ولا ينازعهم فيها منازع، وأصبحت شركة الهند الشرقية البريطانية هي المسيطرة حتى عام

(٢٨) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان ص ٥٤٤.

(٢٩) مكى شيكة: السودان في قرن ص ٤٧٥.

(٣٠) نفس المرجع ص ٤٦٣.

(٣١) ل. م. بانبيكار: آسيا والسيطرة الغربية ص ١٠٤.

١٨٥٨م عندما اضطلعت الحكومة البريطانية بالادارة المباشرة لبلاد الهند^(٣٢). ولما كانت حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية قد وزعت ممتلكاتها على الحكومات الرئيسية الثلاث التي أقامتها في الهند وهي حكومات البنغال ومدراس وبومباي، فقد كان من الطبيعي أن يدخل النشاط البريطاني في الخليج العربي ضمن اختصاص حكومة بومباي^(٣٣).

وكان النشاط الأوروبي بصفة عامة يسمى إلى فتح أسواق تجارية في أقطار الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولكن ما أن نشبت الحرب الطويلة بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٧٩٣م بقيام الثورة الفرنسية حتى تسابق الفريقان المتحاربان إلى إكتساب نفوذ سياسي وعسكري في بعض هذه الأقطار، واتضح هذا الاتجاه بصفة خاصة عند غزو الفرنسيين لمصر^(٣٤).

ويمكن القول أن أول نشاط دبلوماسي بريطاني مع عرب الخليج ومسقط بالذات جاء حيث كان يتنافس على مركز الصدارة فيها الفرنسيون والانجليز، أي حين صار الخطر الفرنسي واضحا على طريق الهند وعلى الهند ذاتها في الفترة النابليونية ١٧٩٨-١٨١٠م وتمثل في سفن القرصنة الفرنسية التي كانت تعمل في أعالي البحار في طريق الهند، ومحاولات فرنسا لكسب نفوذ سياسي ظهر في كتابات نابليون من مصر-١٧ يناير ١٧٩٩م- إلى كل من صاحب مسقط سلطان بن أحمد، وإلى تيبو صاحب في الجنوب العربي^(٣٥).

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد أنشأت خطوطا بريدية منتظمة عبر العراق، وكان البريد ينقل بواسطة السفن البحرية من بومباي إلى البصرة ومن هناك يمر بمدن بغداد فحلب حتى يصل إلى استانبول عبر طريق البر على ظهور الدواب. ومن ثم أهتم الانجليز بأن يكون لهم النفوذ الأعلى في العراق. واستطاعوا بالفعل منافسة

(٣٢) نفس المرجع ص ١٠٧.

(٣٣) د. محمد أنيس ود. رجب حراز: المرجع السابق ص ٩٨.

(٣٤) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٦٠.

(٣٥) د. أحمد أبو حاكم: تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة ص ١٨٠.

النفوذ الفرنسي هناك ويرغموا الباشوات المالك في العراق على إعطاء الشركة امتيازات واسعة بل وعدم التدخل في نشاطها في العراق .

ومنذ عام ١٧٦١ انتقل المركز الرئيسى للتجارة الانجليزية في الخليج إلى البصرة حيث رفع مركز المقيم الممثل لشركة الهند الشرقية إلى مرتبة قنصل . وقد أصبح مركز بريطانيا التجارى في الخليج لا يضارع وأخذت تجنى من ورائه نفوذا سياسيا أيضا ازداد على مر الأيام (٣٦) . وهى في هذا قد ورثت النفوذ البرتغالى والهولندى والفرنسى ، وقد وجد الانجليز العراق والخليج وبلاد العرب الجنوبية الخط الأمامى الذى يمكن بالمحافظة عليه أن يدروا به الخطر عن الهند كما يمكن أن يكون نقطة خطر عليها إذا كان النفوذ فيه لأمة أخرى تطمع أن تنتزع تلك الدرة - الهند - من التاج البريطانى (٣٧) .

وكان مما ساعد على تقوية نفوذ شركة الهند الشرقية البريطانية في العراق والخليج والهند أيضاً أقول نجم الامبراطورية الهولندية وانحسار نفوذها في جزر الهند الشرقية ، وكذلك انهيار النفوذ الفرنسى في الهند بمعاهدة باريس عام ١٧٦٣م وهى المعاهدة التى تحلت بمقتضاها فرنسا عن أغلب ممتلكاتها في الهند (٣٨) . حتى أن نائب الملك في الهند يكتب بعد مائة عام - ١٨٨٢م يقول : تدخل بغداد بصورة غير مباشرة ضمن قواعد الخليج ، ويجب أن تضم إلى منطقة النفوذ البريطانى المطلق (٣٩) .

وكتبت جريدة الديلى ميل الانجليزية في ٢٩ مارس عام ١٩١٥م تقول : أن حوض ما بين النهرين يجب أن يكون ملكا لبريطانيا ومنفذا طبيعيا للانتقال من الهند . وعندما ظهرت المشاريع الألمانية في العراق ذكرت صحيفة التايمز في نفس الشهر ونفس العام تقول أن من الواجبات الأولى علينا لأجل المحافظة على الهند ألا نرى في الخليج قوة مسلحة ماعدا

(٣٦) جورج كيرك : المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٣٧) د. عزت عبد الكرم وآخرون : المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٣٨) د. محمد أنيس ود. رجب حراز : المرجع السابق ص ٩٩ .

(٣٩) د. حسين فوزى التجار : الشرق العربى بين حربين ص ٥٤ .

القوة البريطانية، ويجب أن نعلم أن جميع الدلائل تهدينا إلى أن نوايا خط بغداد ليست اقتصادية وإنما هي سياسية صرفة (٤٠).

وهذا الفهم دخلت كل مناطق العراق لا البصرة فقط في نطاق الاهتمام الاستراتيجي لـانجلترا ومن ثم حرصت على أن تؤكد في اتفاق سايكس-بيكو مع فرنسا عام ١٩١٦م على دخول العراق تحت الانتداب الانجليزي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لأن العراق بموقعه مركز هام في شبكة المواصلات البرية والجوية بين الشرق والغرب، ثم كان ظهور البترول وماله من أهمية إستراتيجية كمادة أولى في تسير آلة الحرب الميكانيكية الحديثة، وأهمية اقتصادية في استثمار رؤس الأموال الانجليزية، والعراق خزان هائل لهذه المادة الهامة التي تعتبر وحدها عصب الحضارة في القرن العشرين. وكان إهتمام انجلترا بالعراق بعد الحرب العالمية الأولى قائما على تقديرهم لهذه العوامل الجديدة مجتمعة فعملوا على أن يمتد نفوذهم الجديد على العراق كله (٤١).

انتهى الحكم التركي في العراق بانتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد حرصت بريطانيا على أن تؤكد في اتفاق «سايكس-بيكو» مع فرنسا عام ١٩١٦م على دخول العراق تحت انتدابها لموقع العراق الهام بين الشرق والغرب ولاكتشاف البترول في أرضيه.

وقد وقع العراق في يد القوات البريطانية عام ١٩١٧م، وقد حكم البريطانيون العراق حكما مباشرا متناسين وعودهم بتحرير العراق، ووعدوا الأكراد بنوع من الحكم الذاتي ومنحوا شيوخ القبائل العربية سلطات أكثر اتساعا.

ونتيجة لفرض الانتداب الانجليزي على العراق ثار العراقيون عام ١٩٢٠م ثورة عنيفة كانت نتيجة قيام حكومة ملكية برلمانية دستورية تعمل في إطار الانتداب البريطاني على العراق. وعين فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق.

(٤٠) د. عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٢٦٦.

(٤١) Holt, P.M.: A Modern History of the Sudan, P. 141.

ولكن الوطنيين العراقيين ساءهم أسلوب البريطانيين في معاملة العراقيين ولذلك استمروا يطالبون بالإستقلال الكامل ، وقد نجحت الضغوط الوطنية في التمسك بأقليم الموصل وإنهاء الادعاءات التركية على الاقليم وجاء ذلك بتدعيم من بريطانيا مما فتح الباب أمام كل من العراقيين والبريطانيين لتوقيع معاهدة عام ١٩٣٠م التي قننت وضع الانجليز في العراق .

ولكن التيار الوطنى لم يرض بشروط معاهدة ١٩٣٠م ومن هنا قاد «بكسر صدقى» أحد ضباط الجيش العراقى انقلابا على الحكومة العراقية الموالية للانجليز وعلى الزعامات العراقية التقليدية التى رحبت بالمعاهدة العراقية البريطانية وكان ذلك عام ١٩٣٦م ، إلا أنه تم اغتيال قائد الانقلاب وعاد الزعيم السياسى التقليدى لحكم العراق وهو نورى السعيد .

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية تبنى التيار الوطنى فكرة استغلال اشتراك بريطانيا فى الحرب للضغط عليها لكى تمنح العراق استقلال تاما ، وقاد هذا التيار رشيد الكيلانى فى مواجهة الانجليز ومواجهة الزعماء التقليديين أمثال نورى السعيد الداعين للوقوف إلى جانب بريطانيا حتى النصر ثم المطالبة بعد ذلك بالاستقلال .

وقد نجح رشيد عالى الكيلانى فى تولى مسئولية الوزارة واتخذ سياسة متشددة إزاء الوجود البريطانى فى العراق ، وتحالف معه الجيش العراقى عندما قاد أربعة من الضباط العراقيين - عرفوا بالمربع الذهبى - انقلابا فى أول أبريل ١٩٤١م حيث فر من البلاد الوصى على العرش الأمير عبدالاله كما فر الزعيم التقليدى نورى السعيد .

وتطلع التيار الوطنى بزعامة رشيد عالى الكيلانى إلى ألمانيا لكى تقف بجانب العراق ضد التهديدات البريطانية ، ولكن الألمان لم يتحركوا إلا بعد الهدام الذى أنهى حركة رشيد عالى الكيلانى وأعاد نورى السعيد والأمير عبدالاله إلى مكانها بالعراق ، ومن ثم أعلن نورى السعيد الحرب على المحور عام ١٩٤٣م إلى جانب بريطانيا ولذلك صار رجل الانجليز الأول فى المشرق العربى .

وفي نفس السنة — ١٩٤٣م — زار نوري السعيد مصر والتقى برئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس للترويج لمشروع الهلال الخصيب الذي يضم العراق وشرق الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين في اتحاد عربي بزعامة العراق، ولم ينجح نوري السعيد في مسعاه هذا وكان البديل هو ظهور جامعة الدول العربية على أرض مصر التي ضمت كلا من العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن ومصر بمقتضى بروتوكول الاسكندرية سبتمبر/ أكتوبر ١٩٤٤م وميثاق مارس ١٩٤٥م الذي تم توقيعه بمدينة القاهرة.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قاد التيار الوطني العراقي مرة أخرى فكرة الاستقلال التام والغاء معاهدة ١٩٣٠م خاصة بعد اشتراك العراق في حرب فلسطين التي شوهت سمعة الزعماء التقليديين في العراق، وبعد قيام محمد مصدق في إيران بحركته الوطنية ضد الاحتكارات البترولية الغربية في الفترة من ١٩٥١ — ١٩٥٣م، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في مصر ضد النظام الملكي، وبعد ظهور تيارات سياسية سرية وعلنية يسارية.

ونتيجة للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م واشتراك حكومة العراق التقليدية قبل ذلك — عام ١٩٥٥ — في حلف بغداد مع دولتين من الدول المعتدية على مصر وهما بريطانيا وفرنسا، ونتيجة لإعلان الوحدة الكاملة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨م وقيام الجمهورية العربية المتحدة، ثار الجيش العراقي في ١٤ يوليو ١٩٥٨م مناهيا النظام الملكي.

وعلى انرغم من نجاح ثورة ١٤ تموز — يوليو — في العراق في إنهاء الوجود البريطاني المادى والمعنوى، إلا أن الخلاف الذي حدث بين قائد الثورة عبد الكريم قاسم ورفاقه شغل العراقيين عن تحقيق طموحاتهم في الديمقراطية وفي الوحدة العربية، ولم تنجح محاولة عبد السلام عارف الذي أطاح بعبد الكريم قاسم في فبراير ١٩٦٣م وتحقيق هذا الطموح رغم مشروع اتفاق الوحدة الثلاثي بين العراق ومصر وسوريا الذي ظل مشروعا لم يتم تنفيذه بسبب موقف حزب البعث من عبد الناصر وموقف عبد الناصر الرافض لسيطرة حزب البعث.

ولم تظل مدة حكم عبد السلام عارف الذى كان يميل بقوة نحو مصر ونحو فكرة الوحدة العربية، حيث توفى فى حادث تحطم طائرة مروحية فى ظروف غامضة تحيط بها الشائعات، وتولى رئاسة العراق بعده أخوه عبد الرحمن عارف الذى سقط فى انقلاب بعثى فى ١٤ يوليو ١٩٦٨ م قاده أحمد حسن البكر وصدام حسين الذى يتولى الآن حكم العراق.

هذه صفات النضال فى العراق ضد الانجليز أولا من أجل الاستقلال ثم ضد بعض القوى فى الداخل، ويعتبر حصول العراق على استقلاله التام إضافة لليقظة العربية، ذلك الاستقلال الذى جاء بعد كفاح طويل سقط من أجله الشهداء...

ثالثا - أقطار الخليج والجنوب العربى

أخذ الانجليز منذ أواخر القرن الثامن عشر يمارسون أنواعا من التدخل فى شئون إمارات الخليج. وجعلوا من مكافحة عمليات الجهاد البحرى وسيلة لعقد معاهدات مع شيوخ المقاطعات هناك، وأهم ما يذكر فيها إنهم لا يبتازلون عن شبر من أرضهم لأية دولة كانت ولا يسمحون باعطاء أى حق فى أراضيهم لأحد ماعدا بريطانيا (٤٢). من أمثلة تلك المعاهدات المعاهدتين اللتين وقعتهما إنجلترا مع سلطان ابن أحمد صاحب مسقط فى أكتوبر ١٧٩٨ م، ويناير ١٨٠٠ م اللتين نصتا على إنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس (وكانت تابعة لحاكم مسقط)، وتحتل مسقط عن أى اتصال بالفرنسيين أو السماح لهم أولسفنهم بالنزول فيها فى حالة نشوب الحرب بين فرنسا وإنجلترا، وسماح سلطان بن أحمد للانجليز بارسال وكيل سياسى لهم فى مسقط، وعلى هذا يكون سلطان بن أحمد أول أمير عربى يدخل فى معاهدة مع الانجليز (٤٣).

وقد اتخذ الانجليز فى الخليج سياسة عنيفة لمقاومة عمليات الجهاد البحرى العربية هناك ضد السفن الأوروبية، ومن أمثلة ذلك إرسال حملة بحرية إلى

(٤٢) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٢٦٥.

(٤٣) د. أحمد مصطفى أبوحاكمة: تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ص ١٨١.

الخليج أجبرت القواسم في رأس الخيمة على توقيع معاهدة بحفظة بهم في ٦ فبراير ١٨٠٦م تضمن عدم مهاجمتهم للسف الانجليزية ، ومن أمثلة ذلك أيضا الحملة البريطانية التي هدفت إلى تدمير رأس الخيمة والقضاء كلياً على نشاط القواسم في مياه الخليج عام ١٨٠٩م ، ورحلة عام ١٨١٨م على رأس الخيمة وكان هدفها القضاء على عمليات الجهاد البحري أولاً في الظاهر ثم مراقبة التحركات المصرية في الباطن ، وإبرام ١٨٢٠م مع رأس الخيمة وغيرها من موانئ الخليج ، ثم أعقب ذلك توقيع الهدنة البحرية وغيرها في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وكل ذلك دليل على خشية الانجليز من الخطر المصري في الجزيرة (٤٤).

وطوال القرن التاسع عشر أخذ النفوذ البريطاني يتدعم في الخليج في ثلاثة صور هي: محاربة عمليات الجهاد البحري التي كانت القواسم تمارسها من الساحل الداخلى لعمان ، ومحاربة تجارة الرقيق التي وجدت لها سوقاً رائجة في شبه الجزيرة العربية ، وفرض الحماية البريطانية على أهم المشيخات العربية في الخليج وهي مسقط والبحرين والكويت . فبدأت مشروعات انجلترا الاستعمارية مع مسقط منذ عام ١٨٥٤م بحصولها من سعيد بن سلطان حاكم مسقط على جزائر كوربا موريا ، ولم يأت عام ١٨٩٨م حتى وقعت المعاهدة المشهورة التي حددت بشكل نهائي الحماية البريطانية على مسقط وعمان ، وتعرف بمعاهدة الصداقة والتجارة والملاحة ، وهي تنص صراحة على أن يلتزم حاكم مسقط - فيصل بن تركي - هو وخلفاؤه بعدم التنازل عن أى أرض من أملاك مسقط إلا للحكومة البريطانية (٤٥) .

وكانت النتيجة الثانية التي خضعت للحماية هي البحرين التي شاركت منذ عام ١٨٢٠م مع انجلترا في عقد معاهدات لمحاربة تجارة الرقيق وأعمال الجهاد البحري ، وأمام رغبة تركيا في ضم البحرين عام ١٨٧١م بعد استيلائها على الأحساء أعلن الانجليز فرض الحماية على البحرين ، وتم

(٤٤) نفس المرجع ص ١٩٠ .

(٤٥) د. أنيس . د. حراز: المرجع السابق ص ١٠٩ .

توقيع معاهدتين مع الشيخ عيسى في عامي ١٨٨٠م، ١٨٩٢م تضع البحرين بمقتضاها تحت الحماية الانجليزية حيث تعهد الشيخ بالامتناع عن عقد معاهدات مع أية دولة أخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وألا يتنازل عن أية أرض في البحرين إلا للحكومة البريطانية.

وكانت المشيخة الثالثة التي فرضت إنجلترا عليها حمايتها هي الكويت، التي وصل إليها آل الصباح لأول مرة عام ١٧٥٠م قادمين من الجنوب بعد أن أمضوا على شاطئ الخليج بقطر والأحساء نحو نصف قرن (٤٦). ولقد كان لآل صباح علاقة طيبة مع الانجليز من ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية الذين استفادوا من الكويت منذ عام ١٧٧٥م في إرسال واستلام مراسلات الشركة، واستمرت العلاقات طيبة حتى نقلت وكالة الشركة من البصرة إلى الكويت، وساعدت الشركة آل صباح في صد غارات الوهابيين على الكويت وأظهر شيخ الكويت استعداده للمشاركة مع الانجليز في حملاتهم ضد القواسم.

واتساقا مع هذه العلاقات عرض الشيخ مبارك آل صباح منذ أن وصل إلى السلطة في الكويت عام ١٨٩٦م أن يدخل في حماية إنجلترا ورغم تردد إنجلترا في قبول هذا العرض حرصا على علاقتها مع تركيا، إلا أنها سارعت عام ١٨٩٩م إلى عقد معاهدة مع أمير الكويت على نفس نسق المعاهدات مع كل من مسقط والبحرين، تضع الكويت تحت حماية إنجلترا، وجاءت هذه المسارعة الإنجليزية بسبب ظهور نشاط روسي في الخليج عام ١٨٩٨م لد خط حديدي من البحر المتوسط إلى الخليج، وبناء محطة للفحم وميناء في الكويت.

كان لظهور النشاط الألماني في العراق وتوقع امتداده إلى الخليج، والمتمثل في الامتياز الذي حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية بمد خط حديدي من برلين إلى بغداد فالبصرة، كان لذلك أثره في تدعيم الوجود الانجليزي في الخليج والعراق، فعقدت إنجلترا مع الكويت عدت اتفاقيات أحكمت النفوذ الانجليزي هناك نظير اعتراف إنجلترا بإمارة الكويت بحدودها

(٤٦) د. أحمد أبو حاكم: المرجع السابق ص ٦٧.

الحالية . واعتبرافها كذلك بآل الصباح حكاما يتوارثون السلطة هناك . وظل الحال كذلك أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها .

وكان نشاط انجلترا في الجنوب العربى قد بدأ منذ عام ١٦١٨م بتأسيس مركز تجارى في «مخا» وفي عام ١٧٧٠م هاجم الانجليز عدن انتقاما لإهانة لحقت بقائد سفينة انجليزية ، وعام ١٧٩١م احتل الانجليز جزيرة برسم ، وفي عام ١٨٠٢م عقدت انجلترا مع سلطان عدن - أحمد بن عبد الكريم - معاهدة صداقة وتجارة ، وكانت هذه المعاهدة القنطرة الأولى للسيطرة على هذه المدينة التى تمت عام ١٨٣٩م بعد مقاومة عنيفة من أهلها وقصف بحرى شديد من قبل البريطانيين (٤٧) . وجاء احتلال عدن كخطوة مضادة للنفوذ المصرى في اليمن على أيام محمد على (٤٨) .

ومن عدن انطلق الانجليز للسيطرة على بقية أجزاء الجنوب العربى باللين تارة وبالشدة تارة أخرى وأخذوا يعقدون المعاهدات التى تضع هذه الأجزاء تحت الحماية البريطانية . ولم يأت عام ١٨٩٥م حتى فرضت الحماية البريطانية على ميناءى المكلا وشحر ، ولحج وحضرموت والضالع ، والعوالق السفلى والحواشب وغيرها ، واستولت انجلترا على جزيرة سوقطرى عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى ، وهكذا أصبح الجنوب العربى ملتحماً مع مسقط وعمان ممتداً مع مشيخات الخليج خاضعة كلها للسيطرة الانجليزية لا إلى نهاية الحرب العالمية الأولى فقط بل إلى أن حصلت على استقلالها مؤخراً .

وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الكويت عام ١٩٦١م ، وأعلنت عام ١٩٦٨م بأنها تنوى الانسحاب من منطقة الخليج وتعترف باستقلال مشيخات الخليج العربية في موعد لا يتجاوز نهاية عام ١٩٧١م . ومن ثم دارت مفاوضات بين الإمارات التسع وهى البحرين وقطر وأبوظبى ودبى والشارقة ورأس الخيمة وعمان والفجيرة وأم القوين لتكوين دولة اتحادية فيما بينها ، ولكن نظرا لبعض الصعوبات فقد أعلنت كل من البحرين وقطر استقلالها في سبتمبر عام ١٩٧١م ثم تكوين اتحاد ضم الإمارات السبع

(٤٧) د. أحمد عبد الكريم وآخرون : المرجع السابق ص ٢٦٣ .

(٤٨) د. أنيس ، ود. حراز : المرجع السابق ص ١١٢ .

الباقية في نفس العام تحت إسم دولة الإمارات العربية المتحدة برئاسة الشيخ زايد آل نهيان أمير أبوظبي.

ويجب أن نذكر أن سلطنة عمان كانت على الرغم من معاهدة الحماية البريطانية تتمتع بشيء من الاستقلال أكثر من مشيخات الخليج الأخرى، وفي عام ١٩٧١م تمت تنحية السلطان سعيد بن تيمور لصالح ابنه السلطان قابوس بن سعيد الذي أنهى عزلة وانغلاق بلاده لتشهد نهضة عظيمة وتطوراً كبيراً.

كما يجب أن نلاحظ أن أقطار الخليج العربي الخمسة: الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية كونت تنظيمًا إقليميًا تحت إسم مجلس التعاون الخليجي منذ عام ١٩٨١م، وهو تنظيم ينسق العلاقات الأمنية والثقافية والاقتصادية لمصلحة تلك الأقطار، وهو بهذا إضافة لليقظة العربية.

وبالنسبة للجنوب العربي فقد كان لوجود الجيش المصري في اليمن منذ عام ١٩٦٣م لمساندة الثورة في صنعاء تشجعت الحركة الوطنية في عدن والجنوب في مقاومة الوجود البريطاني ولقيت كل مساعدة من الجمهورية العربية اليمنية ومن مصر اضطرت انجلترا إلى الجلاء عن عدن وإعلان استقلالها مع مشيخات الجنوب تحت إسم جمهورية اليمن الجنوبية في نوفمبر عام ١٩٦٧م. ثم أعلنت الوحدة بين شطري اليمن في عام ١٩٩٠م تحت إسم جمهورية اليمن وعاصمتها صنعاء.

رابعاً - شرق الأردن:

لم تكن شرقي الأردن قبل عام ١٩٢٠م سوى تعبير جغرافي يطلق على البلاد الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن، وكانت تابعة في ادارتها للحكومة العثمانية بصفة تكاد اسمية. ثم انتقلت ادارتها ابتداء من عام ١٩١٨ إلى حكومة فيصل العربية بدمشق^(٤٩).

(٤٩) جورج كيرك: المرجع السابق ص ٢٤٧.

وكانت دول الوفاق قد رأت أن تستولى على تلك البلاد لقطع الطريق أمام جيش تركيا المتجة على مصر، فدخل الكولونيل البريطاني «لورنس» مدينة العقبة ١٩١٧م، وفي العام التالي نقل الأمير فيصل بن الحسين - وكان يقود جيشاً يمثل الثورة العربية - إلى العقبة وتمكن مع أعوانه من احتلال قسم كبير من الأرض الأردنية، وذلك بعد معارك عديدة منها تخريب الخط الحجازي، وزحف الانجليز للفتك بالجيش التركي حتى احتلوا الأردن في ٩ ديسمبر ١٩١٩م (٥٠).

وفي مؤتمر سان ريمو المنعقد في إبريل عام ١٩٢٠م جعلت منطقة شرقي الأردن من نصيب بريطانيا كجزء من دائرة الوصاية على فلسطين مع الاحتفاظ بشرط أساسي هو أنه في الأراضي الواقعة بين نهر الأردن والحدود الشرقية لفلسطين حسب تحديدها النهائي، يكون للدولة المنتدبة - إنجلترا - الحق بموافقة مجلس عصبة الأمم في تأجيل أو وقف تنفيذ شروط الانتداب التي ترى سريانها غير ملائم للظروف المحلية بهذه الجهات، وأن تعد تدابير الحكم التي تراها ملائمة لهذه الظروف (٥١).

وعندما وصل الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٠م قادماً من مكة، وفي نيته التقدم نحو عمان، ومن معان بعث لأهل سوريا بمنشور هاجم فيه الغزو الفرنسي ويعضد السوريين في كفاحهم ضد الفرنسيين. وعندما وصل إلى عمان رحبت به المجالس المحلية التي أقامها الانجليز والنسبي سيطر عليها الموظفون الانجليز، وقد عبر المندوب الانجليزي لرؤساء القبائل وشيوخ الشعب الأردني حين زار مدينة السلط بقوله: تسألوني عن نوع المساعدة التي تريد إنجلترا أن تقدمها لكم فأجيبكم بأنها لا تريد أن تضيفكم إلى الإدارة الموجودة الآن بفلسطين بل تنشئ لكم إدارة منفردة تساعدكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم (٥٢).

(٥٠) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٥١) جورج كبرك: المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٥٢) د. عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٤٦٢.

وتحقيقاً لنصوص الانتداب الذى صدر فى مؤتمر سان ريمو فقد اتفق الأمير عبد الله مع تشرشل وزير الخارجية عندما اجتمعا فى القدس على الأسس التى تقوم عليها إدارة شرق الأردن، وهى إقامة حكومة عربية وطنية هناك برئاسة الأمير عبد الله تكون هذه الحكومة مستقلة إستقلال إدارياً ومع الاسترشاد برأى مندوب سامى بريطانى فى عمان، وأن يتعهد الأمير بالمحافظة على حدود سوريا وفلسطين من كل اعتداء على أن تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير وبين سلطات الأحتلال الفرنسى فى سوريا، وأن تنشئ بريطانيا قاعدتين للطيران فى عمان والكرك.

ورغم احتمال قرار الانتداب على شرق الأردن إلى جانب فلسطين، فقد استثنت بريطانيا شرق الأردن من التزامات الوطن القومى لليهود فى فلسطين بحصولها على هذا الأستثناء من عصبة الأمم فى سبتمبر ١٩٢٢م ثم اعتزمت انجلترا فى العام التالى -١٩٢٣م- بقيام حكومة مستقلة فى شرقى الأردن يرأسها الأمير عبد الله تحت الانتداب الانجليزى.

لقد أقامت انجلترا إمارة شرق الأردن تحقيقاً للمآرب سياسية واستراتيجية تخصصها من أهمها تأمين القطاع العربى فى الطريق البرى إلى الهند، فيما بين الخليج والبحر المتوسط خاصة بعد أن أثبتت وسائل المواصلات السريعة أهمية الوطن العربى بالنسبة لاتصالات انجلترا بالهند، وأيضاً إنشاء قاعدة لنفوذها السياسى والاستراتيجى فى هذه المنطقة تشرف منها على بقية أجزاء الوطن العربى خاصة المشرقية وخاصة بعد ظهور البترول وازدياد المصالح البريطانية فى أقطار الوطن العربى.

واهتمت الحكومة البريطانية بتحديد كيان مستقل لإمارة شرق الأردن فحثت الأمير عبد الله على أن يطلب من أبيه الملك حسين فى الحجاز ضم عمان والعقبة إلى إمارته وكانتا تابعتين للحجاز، كما استطاعت نفس الحكومة أن تقنع الملك عبد العزيز آل سعود بعد استيلائه على الحجاز بقبول الوضع القائم بها، وأقنعتة بالتنازل عن ممر أرضى من شمالى نجد يضم إلى إمارة شرق الأردن يصل بينها وبين العراق ويفصل بين نجد وسوريا وحققت بريطانيا بذلك الوحدة الاستراتيجية التى تنشدها فى منطقة انتدابها

في البلاد العربية، وأصبح إشرفها على الطريق البرى بين الخليج والبحر المتوسط تاما كاملا^(٥٣).

وقد طلب الأمير عبد الله في ٦ يناير عام ١٩٤٢ م من بريطانيا أن ترفع عنه الانتداب حتى يصبح مثل الدول الأخرى وليكون قادرا على تحقيق وحدة الأردن وسوريا^(٥٤). ولكن بريطانيا ردت بأنها مشغولة بالعمليات الحربية، ولكن الأمير عبد الله ظل يرسل المذكرات للحكومة البريطانية لكي يحصل على الاستقلال، وبالفعل تم التوقيع على معاهدة للتحالف بين الأردن وبريطانيا في ٢٢ مارس ١٩٤٦ م اعترفت فيها بريطانيا باستقلال الأردن. وبعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م. أعلنت الأردن ضم الضفة الغربية لنهر الأردن الفلسطينية إلى شرقى الأردن لتصبح عام ١٩٤٩ م المملكة الأردنية الهاشمية وظلت كذلك حتى احتلت إسرائيل الضفة الغربية عام ١٩٦٧ م.



(٥٣) د. حسين النجار: المرجع السابق ص ٦٥.
(٥٤) عبد الحميد الوافى: مصر في جامعة الدول العربية ص ٧٢.



■ الفصل الرابع ■

استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار الفرنسي

— أقطار شمال أفريقيا :

أولا : فترة الاستعمار :

أ — الجزائر .

ب — تونس .

ج — مراكش (المغرب) .

ثانيا : الاستقلال :

الجزائر وتونس ومراكش وموريتانيا وجيبوتي

— سوريا ولبنان :

أولا : فترة الاستعمار .

ثانيا : الاستقلال .

أقطار شمال أفريقيا فترة الاستعمار

أولا - الجزائر:

كانت الجزائر جزءا من الامبراطورية العثمانية من عام ١٥١٨م، ولكن سلطة الدايات جعلت من البلاد دولة مستقلة يكاد يكون تاما حيث كان لهم حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية دون الرجوع إلى السلطان العثماني كما كان الداى ينتخب ويعين ويباشر سلطته دون الرجوع إلى السلطان وإيرادات البلاد - وإن كانت كلها من عمليات الجاد البحرى - تصرف على مصارف الحكم وإن كانت غير منظمة، ولم تكن ترسل شيئا من الجزية إلى السلطان^(١).

ورغم هذا الاستقلال فإن الجزائر شهدت خلال القرن الثامن عشر إنهيارا في الاقتصاد بسبب كساد الحركة التجارية ومقاومة الدول الأوروبية للقراصنة الجزائرية، كما شهدت فوضى سياسية بسبب النزاع بين الدايات بعضهم وبعض ومع رجال الجيش ومع القراصنة حتى فقدت البلاد تقدمها واضطرب الأمن فيها وأصبحت بفضل المعاهدات مع الدول الأوروبية مجالا للنفوذ الأوروبى على حساب إستقلال البلاد وعلى حساب مصلحة أهلها.

كانت تلك ظروف الجزائر التى هيات للغزو الفرنسى الفرصة لتحقيق أهدافه أما ظروف فرنسا نفسها فقد كانت تتمثل فى اضطراب الأحوال

(١) د. زاهر رياض: شمال أفريقيا فى العصر الحديث ص ١٦٩.

الداخلية منذ تولى الملك شارل العاشر العرش عام ١٨٢٤، نتيجة لما تميز به هذا الملك من روح رجعية حتى أحس بسخط الشعب عليه وعدم محبته، وخاصة أن الشعب الفرنسي كان ينظر إليه على أنه أتى إلى الحكم بتأييد من الأجانب، وقد كان اختيار الملك «لبولينياك» رئيسا لوزرائه رغم سخط الناس عليه لموقفه الرجعي من الدستور والحياة النيابية دافعا لمزيد من تبرم الشعب الفرنسي من الحكم ومن ثم عمل الحكم في فرنسا على إحراز نصر في الخارج لتغطية الموقف الداخلي وقدر أن المغامرة الحربية في الجزائر سوف تزيد من الشعور الوطني عند الفرنسيين وتمعل إنفجار الثورة.

هذا على الرغم من أنه كانت لكبار الفرنسيين رغبة شديدة في امتلاك أراض جديدة تدر عليهم دخلا يعوضهم عما فقدوه أثناء الثورة وحكم نابليون إلى جانب رغبة الحكومة الفرنسية في تعويض ما فقدته فرنسا أثناء حروب الثورة ونابليون وفي معاهدة باريس عام ١٨١٥ م وهي معظم أجزاء امبراطوريتها الأولى التي تنازلت لانجلترا عن معظمها (٢) إلى جانب استمرار الخلاف بين دايات الجزائر ومعظم الدول الأوروبية وخاصة انجلترا وفرنسا حول قضيتي الجهاد البحري والرق فالدول الأوروبية تضغط من أجل أن يصدر إعلان رسمي في الجزائر بالقاء الرق، ومن أن توقف الجزائر عمليات الجهاد البحري، ولكن دايات الجزائر تمسكوا بموقفهم بامتلاك الرقيق وممارسة عمليات جهاد بحري في البحر المتوسط ولم ترهبهم تهديدات الأساطيل الحربية الانجليزية وغيرها، وبل زاد الدايات من عدائهم لرعايا انجلترا وغيرها من الدول الحليفة لها كاسبانيا والبرتغال.

وكانت العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل عام ١٨٢٦ م لا يشوبها الجو العدائي الذي كان بين الجزائر وانجلترا. وكانت الجزائر تتزعم الجناح الإسلامي في شمال أفريقيا وفرنسا تتزعم الجناح المسيحي الكاثوليكي في أوروبا، والصدام قائم ومستمر بين الجناحين في البحر المتوسط كنوع من الحروب الصليبية. وكانت ذكرى فرنسا النابليونية المعادية لأوروبا قد

(٢) د. صلاح العقاد: تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ص ٢.

أنهذت تنمحي بالتدريج ، فلما جاء دورها لتسوى مشاكلها بطريقتها مع الجزائر لم تصطدم بمعارضة فعالة (٣) من دول أوروبا ، هذا على الرغم من أن الرأي العام الفرنسي كان معاديا للتوسع الاستعماري لأنه كان يرى فيه بعثرة لجهود الأمة التي يجب أن تتركز نحو العار الذي لحقها بسبب الهزيمة في أوروبا .

ومها قيل عن أسباب الغزو الفرنسي للجزائر الذي بدأ بحصار بحري منذ مايو ١٨٢٧م فإن حدوثه بصورة تدريجية لم يثر معارضة أوروبية أمام إنفراد فرنسا به ، وقد تذرعت فرنسا بعدة أعذار لتوهم الرأي العام الأوروبي والحكومات الأوروبية بأنها تدافع عن قضية أوروبية بقضائها على تهديدات الجزائر للأوروبيين ومعاداتها للمسيحيين ، واستمرار الرق في أراضيها . وغير ذلك مما يمكن أن يخفف من تأثير إنفراد فرنسا بالغزو ويقنع الفرنسيين أنفسهم بأن حكومتهم تدافع عن العدالة والحرية والمسيحية .

ولقد كان للعامل الديني أثره القوي في إحتلال فرنسا للجزائر ، فبعد ما عرف عن حادثة صفح الداي للقنصل الفرنسي في الجزائر (٤) . ذكر تقرير قدمه وزير الحربية الفرنسية للملك شارل العاشر قوله : لقد أرادت العناية الألهية أن تستثار جلالتك بشدة في شخص قنصلكم بواسطة أعداء المسيحية ، ولعله لم يكن من باب الصدفة أن يدعى ابن لويس الفتى لكى ينتقم للدين وللأنسانية ولاهاته الشخصية في نفس الوقت ، ولعل الزمن يسعدنا بأن ننتهز هذه الفرصة لننشر المدنية بين السكان الأصليين وننصرهم بل أنه عند احتلال الجزائر أقيمت صلوات قال فيها قسيس الجيش لقائد الحملة : لقد فتحت بابا للمسيحية في أفريقية (٥) .

(٣) د. صلاح العقاد : المغرب العربي ص ٨٥ .

(٤) تذكر المصادر أن الداي سأل القنصل الفرنسي عن سبب عدم الرد على رسالته الموجهة لوزير الخارجية الفرنسية فلما رد عليه القنصل بجفاء أشاح بمنشة كانت في يده في وجه القنصل الذي بالغ وصور لحكومت أنه ضرب أو صفع على وجهه ، رغم أن الداي أكد أن ذلك لم يحدث .

(٥) د. صلاح العقاد : تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ص ٤٠-٤١ .

لقد استغرق قرار غزو الجزائر حوالى ثلاث سنوات، فرغم أن الحكومة الفرنسية قررت ضرب حصار بحرى على الجزائر منذ صيف عام ١٨٢٧م، فإنها ترددت فى اتخاذ القرار ومرجع ترددها إلى تحبط الحكم الفرنسى حول الطريقة والمهدف من عملية الغزو للجزائر، وهل تكفى بالحصار لتأديب الداي أو تحتل الجزائر وتدخل فى صراع مع الجزائريين لا تعرف له نهاية، كما أن الاحتلال سوف يزيد من النفقات العسكرية، وحتى ولو كان الاحتلال قاصرا على الشريط الساحلى، وهو أمر - الاحتلال والنفقات - يلاقى معارضة كبيرة فى البرلمان الفرنسى.

وفى عام ١٨٢٩م عرضت فرنسا كحل لتردها أن يقوم «محمد على» باشا مصر وحليفها القوى فى فرنسا باحتلال الجزائر ويضمها إلى ملكه فى الشرق على أن يكون لحليفته - فرنسا - امتيازات واسعة فى الجزائر، إلا أن العرض لم يكن مغريا لمحمد على فى الوقت الذى كان أسطوله القديم قد تحطم فى معركة نوايرين عام ١٨٢٧م، ويعمل على بناء أسطول آخر لم يكتمل آنذاك، إلى جانب معارضة كل من إنجلترا والسultan العثمانى للعرض الفرنسى.

وعلى هذا اتخذت الحكومة الفرنسية التى تزعمها «بوليبياك» قرار باحتلال الجزائر، وأعلن الملك شارل العاشر عن اعتزامه إنشاء مستعمرة هامة فى شمال أفريقيا تكون نواتها الجزائر وفى ١٤ يونيه ١٨٣٠م ونزل الجيش الفرنسى المكون من حوالى ٣٥ ألف مقاتل إلى أرض الجزائر وأخذ يصطدم بالمقاومة التى يتزعمها الداي، وقد دافع الجزائريون دفاعا قويا حصر الزحف الفرنسى فى شريط ساحلى لا يشمل كل الشاطئ الجزائرى. ومرت ثلاث سنوات على الاحتلال الفرنسى دون أن يستطيع فرض سلطته على أكثر من بضع موانئ ساحلية بينما أصبح الداخل فى يد بعض الزعماء الذين أعلن بعضهم ولاءهم لتركيا ورفضهم الاعتراف بأى سلطة للمسيحيين (٦)

(٦) زاهر رياض: الرجى السابق ص ١٨٦.

ومن بين هؤلاء الرافضين الأمير عبد القادر (٧) الذى أخذ من غرب الجزائر مقراً لأمارته .

وخلال الأعوام من ١٨٣٠م إلى ١٨٣٩م قامت سياسة فرنسا فى الجزائر على فكرة الاحتلال المحدود المقتصر على الساحل دون الداخل ، وفى هذه الفترة اصطدمت قوات الاحتلال الفرنسى فى غرب الجزائر بالأمير عبد القادر ، وفى شرق الجزائر بأحد باشا باى قسنطينة الذى أطلق عليه الناس آنذاك بطل الإسلام ولعدم وجود تعاون بين القوتين استطاعت قوات الاحتلال مصالحة عبد القادر ومهادنته ريثما يتم القضاء على أحد باشا المتحصن فى قسنطينة .

تزعّم عبد القادر النضال فى غرب الجزائر ضد قوات الاحتلال الفرنسية ، وقد انقسم هذا النضال إلى ثلاث مراحل تنتهى كل منها بمعاهدة ، فالمرحلة الأولى تنتهى بعقد معاهدة بين الطرفين عام ١٨٣٤م أنصبت على الاعتراف بكل غرب الجزائر ماعدا ثلاث مدن ساحلية خاضعة للدول العربية الجديدة ذات السيادة برئاسة عبد القادر . والمرحلة الثانية من النضال تستمر حتى عام ١٨٣٧م حيث عقدت معاهدة « التافنا » - نسبة إلى نهر بهذا الاسم - التى أعترفت فيها الفرنسيون لابسطة عبد القادر فى غربى الجزائر فقط بل وفى أواسطها كذلك ، وتوضح هذه المعاهدة بدقة الحدود الفاصلة بين الدولتين فى وهران - دولة عبد القادر - وفى الجزائر حيث توجد سلطات الاحتلال الفرنسى ، ويلاحظ من صياغة المعاهدة أنها تتحدث عن مسلمين وفرنسيين ولا تذكر كلمة جزائريين ، فالقبائل التى تخضع للحكم الفرنسى كانت تعرف باسم المنتصرة . كما تدل الصياغة على أن الأمير عبد القادر يعامل

(٧) ينتسب إلى قبيلة هاشم العربية النازلة فى إقليم وهران ، وكان لها استقلالها الداخلى أثناء الحكم العثمانى ، وكان عبد القادر ينتمى إلى الطريقة القادرية فى التصوف ذات النفوذ فى شمال أفريقيا ، وقد حج إلى مكة قبل الغزو الفرنسى للجزائر وزار بغداد فصر حيث تركت إصلاحات عمدة على تأثيراً كبيراً لديه كل هذا إلى جانب ثقافته الدينية والعربية ، مما جعله يتزعّم القبائل ويسمى لبناء دولة فى الجزائر على نفس أسس الدولة المصرية باستخدام خبراء فرنسيين أيضاً .

ملك فرنسا على قدم المساواة كرئيس دولة وطنية أمام رئيس دولة أخرى^(٨).

وأما المرحلة الثالثة من النضال فقد استمرت منذ عام ١٨٤٠ إلى عام ١٨٤٧ م، وذلك عندما أخذت فرنسا تطبيق في الجزائر سياسة الاحتلال الشامل، وكان صاحب هذه السياسة المارشال «سولت» رئيس الحكومة الفرنسية منذ سنة ١٨٤٠ م فاختار لتنفيذها الجنرال «بيجو» الذي قامت سياسته على أساس إخضاع الشعب الجزائري بأسره لا عن طريق مواجهة عسكرية بين القوات الفرنسية وقوات عبد القادر ولكن باتباع أسلوب الأهراب المتمثل في إحراق الحقول واختطاف قطعان الأغنام — وهى رأس مال القبائل — إلى جانب إحراق القرى بأهلها ومعاقبة كل من له صلة بالأمير عبد القادر. كما عمل «بيجو» على مصادرة أراضي جميع القبائل التى شاركت فى المقاومة وتوزيعها على جنوده والمستوطنين الفرنسيين الذين تدفقوا على الجزائر لزراعتها لمصلحتهم ومصلحة فرنسا.

وإزاء تحركات «بيجو» هذه بقواته فى أنحاء الجزائر دارت صدمات دموية بين الاحتلال الفرنسى وعبد القادر انتهت عام ١٨٤٣ م ببلجوء الأمير إلى مراكش وبقي بها إلى عام ١٨٤٥ م حيث تركها مرغما أمام ضربات الانتقام الفرنسية لمراكش، وواصل النضال فى الجزائر لمدة عامين انتهت باستسلامه فى ديسمبر عام ١٨٤٧ م ونصح لأنصاره بأن يفعلوا مثله. وقد تم استسلام الأمير على أساس السماح له بالسفر إلى الإسكندرية فقبلت سلطات الاحتلال هذا الشرط وأستقبلوه استقبالا يليق بخصم شريف. وبإستسلامه انتهت المقاومة الجزائرية — المنظمة الرئيسية — وأصبحت البلاد خاضعة للحكم الفرنسى^(٩).

وما تجدر الإشارة إليه أن رجال القبائل البربر وزعماء الطرق الصوفية قد ظلوا غير معترفين بالاحتلال الفرنسى، ومن ثم دارت معارك عنفية بين القوات الفرنسية والمحاربين الجزائريين فى بلاد القبائل انتهت بإخضاع هذه

(٨) د. صلاح العقاد: تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر ص ١٠ — ١١.

(٩) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ١٨٢.

البلاد عام ١٨٥٧م، ومع ذلك فقد كانت تقوم بين الحين والآخر ثورات محلية لا تلبث أن تختفى أمام القوة الفرنسية من أمثلتها ثورة الشيخ محمد المقراني عام ١٨٧١م في شرق الجزائر التي استغل صاحبها هزيمة فرنسا في الحرب السبعينية، وبدأت في الموانئ الشرقية حيث رفض بعض المجندين الجزائريين ركوب السفن الفرنسية إلى ميدان القتال بأوروبا فكانت الشرارة الأولى لاندلاع ثورة عامة تبلورت عندما وجدت زعما لها في شخص محمد المقراني ومساعدته الشيخ حداد — من الطريقة الرحمانية — مما يدل على أن البواعث الدينية كانت ماتزال تلعب الدور الرئيسي (١٠).

ورغم أن هذه الثورة نجحت في أول الأمر إلى أن مساعدة بسمارك للحكومة الفرنسية بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وأرسالهم إلى الجزائر، أنهى الثورة وأعاد إلى الجزائر السيطرة الفرنسية الكاملة، رغم حدوث ثورة بعيدة في الصحراء الجزائرية عام ١٨٠١م (١١) إنتهت كما حدث لسابقتها، وفي تلك السنة صدر مرسوم بالحقاق الجزائر إداريا بفرنسا، وحكمت فرنسا الجزائر حكما استعماريًا بمعنى الكلمة حيث استغل الجزائريون في حروب فرنسا ومصانعها ومزارعها دون المشاركة في الحكم حتى بدأت تظهر حركة وطنية جزائرية عمالية بعد الحرب العالمية الأولى.

ب- تونس:

كان احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١م نتيجة منطقية بعد احتلال الجزائر وبعد أن حصلت فرنسا على كثير من الامتيازات مثل امتياز احتكار مد الخطوط التلغرافية وإصلاح القناطر وغير ذلك من الامتيازات المتعلقة بحماية الرعايا الفرنسيين في احتكارتهم واستغلالهم ومعتقداتهم مما كان ينقص من سلطات البايات في تونس أمام النفوذ الفرنسي المتزايدة.

وقد انتهزت إيطاليا فرصة تحقيق وحدتها القومية عام ١٨٧٠م وهزيمة فرنسا أمام بروسيا في نفس العام وحاولت — أمام النفوذ الإنجليزي المنافس — أن يكون لها النفوذ الأعلى في تونس بل أن ترث نفوذ فرنسا

(١٠) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٨.

(١١) د. صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة ص ٧.

هناك . وقد حصل القنصل الإيطالي على امتيازات هامة كثيرة لمواطنيه مما جعل إيطاليا تكاد تكون وصية على تونس (١٢) . ولكن إيطاليا لم يكن باستطاعتها السير في الشوط إلى آخره بسبب مشكلاتها الداخلية وعلاقتها غير الطيبة بالتمسا بسبب تطلع الإيطاليين إلى ضم إقليمي «ترنتينو» و«تريستا» .

ومنذ عام ١٨٧١ م وبسمارك المستشار الألماني يعمل على تشجيع فرنسا على التوسع في أفريقيا ضمانا لإبعاد تفكير فرنسا عن التأثير لهما في الحرب السبعينية ، وقد قبلت فرنسا العرض الألماني المؤيد بموافقة إنجلترا ، وكان أمامها إما ضم تونس نهائيا للممتلكات الفرنسية أو فرض الحماية عليها ، وكان الميل متجها إلى الرأي الثاني ، فتستطيع فرنسا بالتدريج العمل على تفوق نفوذها في تونس إلى حد لا تستطيع معه أية دولة أخرى منافستها (١٣) .

ورغم معارضة كل من إيطاليا وتركيا لاتجاه فرنسا الاستعماري نحو تونس فقد زحفت القوات الفرنسية من الجزائر عبر الحدود وغزت تونس بدعوى إحلال الأمن في ١٢ إبريل ١٨٨١ م ، ولم يمض شهر حتى طوقت هذه القوات قصر سعيد مقر باي تونس الواقع في «باردو» وهي إحدى ضواحي مدينة تونس ، وأجبرت الباي على توقيع معاهدة قصر سعيد أو «باردو» ، التي نصت على إعراف الباي باحتلال القوات الفرنسية لتونس ، وأن تنظم فرنسا العلاقات الخارجية ، والشؤون المالية لتونس ، والتزمت فرنسا بحماية الباي من أي خطر ، وحددت علاقتها بتونس بتعيين وزير مقيم في تونس ..

ورغم أن هذه المعاهدة ، لم تذكر كلمة الحماية صراحة ، إلا أنها كانت حاية فعلية ، إذ كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الاستعمار الفرنسي ، وقد استهدف واضع هذا النظام أمرين ، أولا : إسكات المعارضة الدولية بحجة أن فرنسا لم تقض على كيان الدولة المحمية بالضم ، ثانيا :

(١٢) د. زاهر رياض : شمال إفريقيا ص ١٨٩ .

(١٣) د. محمد مصطفى صفوت : مؤتمر برلين ١٨٧٨ م ص ٥٦ .

إقناع المعارضة الداخلية — في فرنسا — بأن الحكومة لن تتورط في أعباء مالية جديدة لأن مميزات الحماية أنها تحمل الدولة المحمية نفقات الاحتلال وجميع ما يترتب على الإصلاحات الإدارية والاقتصادية المفروض إدخالها بواسطة الدولة الحامية (١٤).

ولم تكتف فرنسا بقيود معاهدة «باردو»، بل عرضت على الباي معاهدة جديدة في ٨ يونيو ١٨٨٣ حملت فيها المادة الأولى نص رضاء الباي عن الحماية الفرنسية للمصالح التونسية وخاصة المحافظة على الأمن الداخلي والتشغيل الخارجى بينما يحتفظ الباي بسيادته المطلقة وله إدارة الأقليم بموظفين وطنيين (١٥). وكانت حجة فرنسا في فرض الحماية هو قيام ثورة مسلحة ضد قوات الاحتلال بمجرد أن أفاق التونسيون من غفوتهم (١٦).

تشجع التونسيون على القيام بالثورة بما رأوه من تحاذل الباي أمام الغزو الفرنسى، في الوقت الذى حدثت فيه ثورة جزائرية في وهران في صيف ١٨٨١م، وحدثت مظاهرات في طرابلس الغرب ضد الاحتلال الفرنسى لتونس، وموقف إيطاليا وتركيا المعادى لهذا الاحتلال. وبما يلفت النظر أن الثورة في تونس ضد الاحتلال الفرنسى تزعمها رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية الذين اعتبروا الثورة ضد الفرنسيين جهاداً إسلامياً، واتخذت الثورة من مدينة القيروان ذات التاريخ الإسلامى العتيد مركزاً لها.

وقد هاجم الشوار القوات الفرنسية واتهموا الباي محمد الصادق — من الأسرة الحسينية — بالتواطؤ والخيانة، واشتدت اتهاماتهم للباي على أخى الباي السابق الذى نصبه الفرنسيون بايّا عند وفاة محمد الصادق عام ١٨٨٢، بسبب ضعفه وخضوعه للفرنسيين، وسيطرة المقيم العام الفرنسى على الأمور حيث وقع الباي مع الفرنسيين معاهدة جديدة تعرف بمعاهدة «المرسى» وهى تهدف إلى توسيع سلطات فرنسا في تونس بشل يد الباي

(١٤) د. صلاح العقاد: المغرب العربى ص ٢٠٥.

(١٥) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢٠٠.

(١٦) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٠٧.

وموظفيه الوطنيين عن التصرف في الأمور الإدارية والمالية والقضاء وغيرها من الأمور الداخلية .

استمرت المقاومة بأسلوب سياسي حتى ظهر حزب «تونس الفتاة» عام ١٩٠٥م الذى سعى إلى الاصلاحات الدستورية الواسعة وإلى الإستقلال ، كما سعى إلى تحقيق شعار «الأمة الجزائرية - التونسية» أى دعا إلى وحدة المغرب العربى ، وظهر الزعماء «على باش جمعة» و«عبد العزيز الثعالبي» اللذين استمررا في المطالبة بالإستقلال والحياة الدستورية. وتعرضا للتنفى والحجر على نشاطهما، حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى وقامت ثورة في تونس بتأييد من تركيا وألمانيا تزعمها حزب «تونس الفتاة» . ولكن هذه الثورة لم تحقق الأهداف القومية في شمال أفريقيا .

لقد استغلت فرنسا اليد العاملة التونسية، ومناجم الحديد والزنك والفوسفات المتوفرة في تونس ، وامتلاك الأراضي الزراعية التى سيطر عليها المستوطنون الفرنسيون ، واحتكار الشركات الفرنسية لجميع الأعمال البحرية والبرية ، ولم يغفل الفرنسيون وضع النظم التى تضمن سيطرتهم على المجالس البلدية والوظائف الحكومية . وأعطى المستوطنون الفرنسيون من الضرائب التصاعدية ، وتمتعوا بالحماية الكاملة من قوات الاحتلال . كل ذلك الاستغلال لابد أن يثير كوامن الثورة الوطنية في تونس خاصة وقد رأى التونسيون فرنسا تنهزم أمام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى .

جـ- مراكش (المغرب) :

اختلفت مراكش عن كل من الجزائر وتونس في أنها تمتعت باستقلال شكلى طوال القرن التاسع عشر إذا لم تدخل في حوزة الامبراطورية العثمانية ، وبقيت علاقاتها مع الدول الأجنبية تسير على قدم المساواة ، لذلك تطلب التهديد لاحتلال فرنسا لها وقتا طويلا وسياسة معقدة ، هذا إلى جانب كثرة الطامعين فيها مثل أسبانيا ، إنجلترا ، وألمانيا ، وإيطاليا وغيرها من الدول الأوروبية التى مارست سياسة الامتيازات في مراكش حتى أصبحت البلاد مسرحا للقوى الأجنبية التى تحاول بسط نفوذها هناك .

وكانت فرنسا منذ غزت الجزائر عام ١٨٣٠م قد اتخذت من مراكش - حيث توجد سلطنة العلويين - موقفا عدائيا، فقد احتجت الحكومة الفرنسية على وجود السلطة المراكشية في تلمسان وأرسلت بعثة خاصة إلى فاس للاحتجاج في أوائل سنة ١٨٣٢م، فسارع مولاي عبد الرحمن بالانسحاب (١٧)، كما أن فرنسا اعتدت على مراكش اعتداءات عسكرية بسبب تأييد القبائل المراكشية والسلطان لحركة الأمير عبد القادر الجزائري، ضد الغزو الفرنسي للجزائر، حتى أن السلطان لقي هزيمة مروعة على يد القوات الفرنسية عام ١٨٤٤م وقبل معاهدة مع فرنسا تقضى بتسريح جيشه من منطقة الحدود وطرد عبد القادر من البلاد أو القبض عليه، وتخطيط الحدود بين الجزائر ومراكش وإعطاء فرنسا حق الدولة الأولى بالرعاية في النشاط التجاري بمراكش.

وهذه المعاهدة ظهرت أطماع فرنسا في مراكش وتأكدت نية فرنسا نحو مراكش وأن تحقيقها يتطلب الوقت المناسب والظروف الدولية المهيأة. وقد أخذت فرنسا تمهد لسياستها التوسعية في مراكش بسلسلة من المعاهدات الدولية. ففي عام ١٩٠٢م عقدت فرنسا مع إيطاليا اتفاقا تؤيد فيه اليد الإيطالية المطلقة في ليبيا نظير إطلاق اليد الفرنسية في مراكش. وفي عام ١٩٠٤م تم توقيع الاتفاق الودي بين كل من إنجلترا وفرنسا الذي وافقت فيه إنجلترا على إطلاق اليد الفرنسية في مراكش نظير عدم اعتراض فرنسا على بقاء الاحتلال الإنجليزي بمصر. وفي أكتوبر من نفس العام صادقت أسبانيا على الاتفاق الفرنسي البريطاني وحصلت نظير ذلك على الركن الشمالي الغربي من مراكش ليكون منطقة نفوذ لها (١٨)، والذي عرف بالريف الأسباني.

ورغم محاولة سلطان مراكش استغلال معارضة ألمانيا لمشروعات فرنسا الإستعمارية في مراكش. ورغم زيارة امبراطور ألمانيا لميناء طنجة في مارس ١٩٠١م، ورغم عقد مؤتمر دولي في أبريل ١٩٠٦م بمدينة الجزيرة بأسبانيا.

(١٧) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٢٢.

(١٨) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢١٦.

لبحث السيادة المستقلة لمراكش مع انفتاحها على جميع الدول وهو المؤتمر الذى ساندت فيه ألمانيا مراكش، فإن قرارات المؤتمر اعترفت بمركز فرنسا الممتاز في مراكش، مع تأييد موقف السلطان المدافع عن استقلال بلاده.

وانطلاقاً من هذا الموقف دفعت فرنسا شقيق السلطان المدعو عبد الحفيظ إلى الثورة ضد أخيه السلطان عبدالعزيز سنة ١٩٠٨م وتنحيته عن الحكم، وقد نجح عبد الحفيظ في ذلك ووضع نفسه تحت الحماية الفرنسية بصورة فعلية وليست رسمية. وقد تأيدت هذه الحملة عندما استجد عبد الحفيظ في عام ١٩١١م بالقوات الفرنسية لإخماد ثورات القبائل ضده، وقد نجحت هذه القوات في إخماد الشائرين ضد السلطان وبقيت هناك تمارس احتلالاً عسكرياً وسيطرة على الحكم مما دفع ألمانيا إلى الإحتجاج على بقاء القوات الفرنسية في مراكش، ولكن ما لبثت فرنسا وألمانيا أن توصلتا إلى إتفاق بينهما في نوفمبر سنة ١٩١١م نص على إطلاق يد فرنسا في مراكش نظير تنازل فرنسا لألمانيا عن جزء من الكرون الفرنسى.

ونتيجة لذلك رأت فرنسا جعل حمايتها على مراكش رسمية، فتم توقيع معاهدة الحماية في ٣٠ مارس ١٩١٢م قبل السلطان بموجبها حماية فرنسا على مراكش ماعدا منطقة طنجة والمنطقة الأسبانية. وفي نوفمبر من نفس العام عقد اتفاق فرنسى أسباني جديد من أجل تحديد المنطقة الأسبانية التى أطلق عليها لفظ الريف فأصبح يتولاها خليفة يعينه سلطان مراكش من بين اثنين ترشحهما أسبانيا على أن يخضع هذا الخليفة لتوجيهات المندوب الأسباني (١٩).

لم تكن الحماية الفرنسية على مراكش لتتسبب المراكشيين عن النضال ضد الاحتلال الفرنسى. خاصة وأن الظروف الطبيعية للبلاد تساعد على هذا النضال، حيث تنتشر الجبال الوعرة المسالك والتي اعتاد أهلها من البربر الاحتفاظ باستقلالهم الداخلى أمام جميع الحكومات المركزية، ومن ثم لم يتم

(١٩) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢١٩.

إخضاع البلاد إلا بعد مضي أكثر من عشرين عاما، وتلعب شخصية الأمير عبد الكريم الخطابي الدور الرئيسى فى تاريخ المقاومة (٢٠).

استنادا إلى معاهدة الحماية مارس الفرنسيون استغلالا متنوعا فى البلاد، وعملوا على التفرقة بين العرب والبربر، وكونوا لهم صنائع من كبار الأقطاعيين الباشوات الذين مارسوا سلطات قضائية فى مقاطعاتهم، كما سمحوا للشركات الأمريكية والانجليزية أن تستثمر أموالها فى البلاد إلى جانب الشركات الفرنسية. وعلى أية حال فقد كانت مراكش أقل أقطار شمال أفريقيا العربية تأثرا بالاستعمار الفرنسى بسبب تأخر احتلالها عن الجزائر وتونس، ثم بسبب اشتعال الحرب العالمية الأولى بعد احتلالها بعامين. حتى يمكن القول أن مراكش أقل هذه الأقطار نسييا التى تغفل فيها النفوذ الفرنسى اقتصاديا وثقافيا.

ثانيا: فترة الاستقلال

الجزائر وتونس ومراكش وموريتانيا وجيبوتى

سقطت كل من الجزائر وتونس ومراكش تحت السيطرة الفرنسية تباعا، أعوام ١٨٣٠، ١٨٨١، ١٩١٢ م، وانطلاقا من وحدة المغرب الكبير التى تربط هذه الأقطار معا فقد تأثرت الحركة الوطنية فى كل قطر بميثلتها فى الأقطار الأخرى.

قفد قاذ الكفاح فى الجزائر كل من الأمير عبد القادر من مركزة فى وهران غرب الجزائر وأحمد باشا باى قسطنطينة بشرق الجزائر الذى أطلق عليه الجزائريون آنذاك لقب بطل الإسلام، وقد واجه الوطنيون خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر (١٨٣٠-١٨٣٩ م) ساسية فرنسا القائمة على الاحتلال المحدود القاصر على الساحل دون الداخل، ولذلك اعترف الفرنسيون بدولة عبد القادر العربية لا فى غرب الجزائر فقط بل فى أوسطها كذلك.

(٢٠) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٧٣.

وفي المرحلة الثانية من النضال (١٨٤٠-١٨٤٧م) طبقت فرنسا في الجزائر سياسة الاحتلال الشامل حيث قام الجنرال «بيجو» باتباع أسلوب الأهراب المتمثل في إحراق الحقول واختطاف قطعان الأغنام وإحراق القرى بأهلها، وقد انتهى النضال عام ١٨٤٧م باستسلام عبد القادر في ديسمبر ١٨٤٧م على أساس السماح له بالسفر إلى مدينة الإسكندرية كما سبق أن ذكرنا.

ورغم ذلك ظل الكفاح موجودا حيث سجل التاريخ ثورات الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي من أمثلتها ثورات القبائل في الخمسينيات من القرن التاسع عشر، وثورة الشيخ محمد المقراني عام ١٨٧١م في شرق الجزائر، وزميله الشيخ حداد، ثم ثورة القبائل الصحراوية في عام ١٨٨١م التي انتهت كسابقتها بالعنف. وكانت نتيجة هذه الثورات صدور مرسوم بالحقاق الجزائر إداريا بفرنسا في هذا العام الأخير (١٨٨١م).

وعقب الحرب العالمية الأولى تطلع الجزائريون للاستقلال وحق تقرير المصير استنادا إلى مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون ولكن دون الوصول إلى هذا الحق، فبدأت تظهر الجمعيات الوطنية مثل «كتلة النخبة من الجزائريين المسلمين»، «جمعية نجم شمال أفريقيا» التي نشأت على أرض فرنسا ذاتها بقيادة «مصالي الحاج» عام ١٩٢٧م، وحزب «النجم الثاقب» و«الاتحاد القومي لمسلمي شمال أفريقيا» عام ١٩٣٤م، «جمعية علماء المسلمين» برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، «وحركة المؤتمر الإسلامي الجزائري» في عام ١٩٣٦م، وكل هذه الجمعيات طالبت بالإصلاح الاجتماعي والحقوقي والديني إلى جانب المطالبة بالحقوقي الوطنية السياسية، ولذلك تعرضت للاضطهاد كل جمعية تتطرق للنواحي السياسية.

ونتيجة لاشتعال الحرب العالمية الثانية ترأس عباس فرحات زعامة الحركة الوطنية الجزائرية فشكل «جماعة أصدقاء البيان» في فبراير ١٩٤٣م المطالبة بالحقوقي الوطنية والثقافية للشعب الجزائري، ثم تأسست أحزاب سياسية كان منها حزب «الاتحاد الديمقراطي لانتصار اليوم الجزائري» بقيادة عباس فرحات، وحزب «انتصار الحريات الديمقراطية» برئاسة مصالي

الحاج، التى أنبثق عنها « المنظمة الخاصة » وكان زعمائها البارزين أحد بن بللا والتى آمنت بالكفاح المسلح.

وانطلق الكفاح المسلح فى الأول من نوفمبر ١٩٥٤م على يد « جبهة التحرير الوطنى » التى ضمت فصائل الحركة الوطنية وأحزابها وقد مرت حرب التحرير الجزائرية بثلاث مراحل هى :

- ١- فترة الإيقاظ والاستنفار من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٥٧م.
- ٢- فترة الإرهاب الفرنسى من ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٠م.
- ٣- فترة الكفاح الأخير السابق للاستقلال من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٢م.

وخلال هذه الفترات الثلاث برزت زعامات وطنية بعضها شارك فى حرب التحرير والبعض الآخر قاد النضال السياسى، وكان لموقف مصر وبعض الدول العربية دورا بارزا فى مواصلة الجزائريين لكفاحهم ضد الفرنسيين، الذين مالبثوا بزعماء الرئيس ديمول فى ترك الأمر للجزائريين ليختاروا بين الإدماج مع فرنسا أو الاستقلال، ولكن الجزائريين فضلوا الإستقلال ومن ثم تم التوصل إلى معاهدة «إيفيان» فى مارس ١٩٦٢م التى مهدت لإعلان استقلال الجزائر فى يوليو من نفس العام.

وأما تونس فقد تزعم رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية الحركة الوطنية ضد الحماية الفرنسية التى فرضت على تونس عام ١٨٠٣م، حتى إذا ظهر عام ١٩٠٨م حزب «تونس الفتاة» بزعماء كل من «على باشا جمعة» و«عبد العزيز الثعالبى» اتجهت الحركة الولائية التونسية إلى المطالبة بحقوق العرب فى وحدة المغرب العربى.

وأخذت ثورات التونسيين ضد الوجود الفرنسى كثورات العمال أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب نشأ عام ١٩١٩م «حزب الدستور»، ثم ظهر الحزب الدستورى الجديد الذى لعب فيه الحبيب بورقيبة دورا بارزا، وكان ذلك سببا للخلاف بين الثعالبى زعيم حزب الدستور، وبين بورقيبة زعيم حزب الدستور الجديد.

وتعرض زعماء الحركة والوطنية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية للسجن والنفي حتى انتهت الحرب وعقد الميثاق الوطنى عام ١٩٤٦م الذى جاء نتيجة إجتماع زعامات الحزب القديم والحزب الجديد، وبدا الكفاح التونسى المسلح حتى أعلن «منديس فرانس» رئيس وزراء فرنسا فى عام ١٩٥٤م استقلال تونس الداخلى، ثم اعترفت فرنسا بموجب اتفاق ٢٠ مارس ١٩٥٦م باستقلال تونس استقلال تاما.

وأما مراکش - المغرب - فقد شهدت مقاومة صلبة للحماية الفرنسية المفروضة على البلاد والوجود الأسبانى فى الريف قادها الأمير عبد الكرم الخطابى فى الجبال الشمالية فى العشرينات من القرن العشرين، ورغم استسلام عبد الكرم ونفيه إلا أن حركة الكفاح استمرت ضد الاحتلال الأجنبى.

وقاد الكفاح المراكشى جمعيات وأحزاب وطنية من أمثلتها: «لجنة العمل الوطنى» التى صارت «حزب الإستقلال» عام ١٩٤٣م. وظهرت روح السلطان محمد يوسف الوطنية منذ أرتقى العرش عام ١٩٢٧م الذى رغم نفي السلطات الفرنسية له عام ١٩٥٢م واستخدام عملاء أمثال «محمد بن عرفة» و«القائد الجلاوى» لم تقلح فرنسا فى القضاء على الحركة الوطنية المراكشية فاضطرت إلى السماح بعودة السلطان الشرعى محمد بن يوسف من منفاة بجزيرة مدغشقر فى نوفمبر ١٩٥٥م، حتى حصلت مراکش على استقلالها الكامل فى ٢ مارس ١٩٥٦م.

وأما موريتانيا التى خضعت للجمعية الفرنسية عام ١٩١٠م فقد وضعت بكاملها تحت سيطرة الحاكم العام الفرنسى لغرب أفريقيا الفرنسى ومقره مدينة «داكار» عاصمة السنغال وفى ديسمبر ١٩٢٠م أصبحت موريتانيا مستعمرة تدار من مدينة «سانت لويس» بواسطة حاكم السنغال الفرنسى.

وبعد الحرب العالمية الثانية حاولت سلطات الحماية الفرنسية إدخال بعض الإصلاحات فتشكلت حكومة محلية فى عام ١٩٥٦م، وتبع ذلك انضمام موريتانيا للجماعة الفرنسية الأفريقية، ثم حصلت موريتانيا على استقلالها من فرنسا فى ٢٧ نوفمبر عام ١٩٦٠م، وصار «المختار ولد دادة»

رئيسا للجمهورية الموريتانية الإسلامية رغم أعتراض المقرب ومطالبة المسؤولين المغاربة بموريتانيا كأرض مغربية .

بدأت موريتانيا منذ استقلالها البناء الداخلى أمام صعوبات تمثلت فى الحساسية بين الشماليين الذين هم من أصل مغربى والجنوبيين الذين هم من أصل زنجبى ، وصار هناك حزب واحد هو «حزب الشعب الموريتانى» الذى خلفه فى أبريل ١٩٧٣م اتحاد العمال الموريتانى ، وفى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٣ صارت موريتانيا عضوا بجامعة الدول العربية .

وأما جيبوتى التى صارت مستعمرة فرنسية منذ عام ١٨٦٢م ، فقد شهدت أول حركة وطنية بعد الحرب العالمية الثانية حيث قاد «محمود حربى» حزب «الاتحاد الديمقراطى» للمطالبة باستقلال جيبوتى منذ عام ١٩٥٧م ، ولكنه توفى عام ١٩٦١م فى ظروف غامضة ، وظهر زعيم آخر موال لفرنسا هو «على عارف» ، حتى اعترفت فرنسا باستقلال جيبوتى فى ٢٧ يونيو ١٩٧٧م برئاسة «حسن جولييد» رغم مطالبة جمهورية الصومال بضم جيبوتى إليها فى إطار الصومال الكبير باعتبارها من النواحي التاريخية والبشرية والطبيعية جزءا من الصومال .

سوريا ولبنان

أولا- فترة الاستعمار:

يعتقد البعض أن فرنسا كانت أسبق من إنجلترا فى عملية الغزو الاستعمارى ، وهذا الاعتقاد له وجهته ، لأن فرنسا شاركت بدور كبير إن لم يكن أكبر دور فى الحروب الصليبية ، وما حلة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر وأسره فى دار ابن لقمان فى المنصورة إلا دليل آخر على هذا الغزو الاستعمارى الفرنسى الذى سبق إنجلترا فى مصر وبقية أقطار الوطن العربى ، بل وما الحملة الفرنسية على مصر والشام إلا دليل ثالث على صحة هذا لرأى .

وبمعنى آخر لم يكن فرض الانتداب الفرنسى على كل من سوريا ولبنان بمقتضى قرارات مؤتمر «سان ريمو» فى أبريل سنة ١٩٢٠م إلا إجراء

الإستعماري الفرنسي الأول في سوريا ولبنان، بل هناك نشاطات استعمارية فرنسية في بلاد الشام سبقت ذلك ومهدت له، فقد حددت معاهدة التحالف الفرنسي العثماني في عام ١٥٣٥م الامتيازات الفرنسية في الشرق العربي بصفة خاصة، ولذلك كانت تجارة الحوض الشرقي للبحر المتوسط في صالح فرنسا بصفة عامة حتى أواخر القرن الثامن عشر، وكانت فرنسا الدولة الأوروبية الأولى لدى البلاط العثماني، ولها حق حماية الرعايا الكاثوليك داخل الامبراطورية العثمانية (٢١).

واستنادا إلى الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا في الامبراطورية العثمانية عمدت الحكومة الفرنسية إلى التدخل في أقطار المشرق العربي لصالح قوافل الحج الكاثوليكية إلى بيت المقدس، ثم تبنى لويس الرابع عشر في عام ١٦٤٦م قضية الجالية المارونية في لبنان في أعقاب زيارة الأساقفة المارونيين لفرنسا، وقد رافق هذا الاتجاه ازدياد عدد الكاثوليك في بلاد الشام بسبب امتداد نشاط الجزويت الفرنسي سكان وغيرها من المؤسسات الكاثوليكية إلى الشرق (٢٢). وبسبب إنشاء مدارس فرنسية لتعليم الموارنة، وبسبب إحتكار الفرنسيين لتجارة الصادر والوارد في جنوب سورية، حتى صار التفوق — في النفوذ السياسي والتجاري — للفرنسيين وتغلبوا على منافسة التجار من الشعوب الأخرى (٢٣).

ونتيجة لذلك وجدنا الموارنة بصفة خاصة يميلون إلى فرنسا، ويرحبون بالبعثات التبشيرية الفرنسية، بل ويتخذون من رجال هذه البعثات مستشارين لمشائخهم، واستغلت فرنسا هذا الوضع للتقرب إلى أصحاب العصبية في لبنان وخاصة المشايخ الموارنة، كما استغلت بعض الأسر المارونية لتحقيق منافع خاصة، كما كانت البعثات التبشيرية الفرنسية من أهم الدعائم التي بست عليها فرنسا نفوذها الأدبي في لبنان في تلك

(٢١) د. أنيس، د. حراز: المرجع السابق ص ٩٥.

(٢٢) نفس المرجع ص ١١٥.

(٢٣) د. أحمد عزت عبدالكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٢١٣.

الأيام^(٢٤). وبلغ من الصلة الوثيقة بين الموارنة والفرنسيين أن تعين شيخ مارونى نائبا لقنصل فرنسا في بيروت عام ١٦٥٥م ثم قنصلا لها عام ١٦٦٢م.

وعندما بدأت الاحداث الدامية بين الموارنة والدروز اعتبارا من عام ١٨٥٧م بذلت الدولة العثمانية كل ما في وسعها لإضعاف قوة الموارنة الذين كانوا يحظون بحماية فرنسا، فشجع الأتراك الدروز على مهاجمة الموارنة وبدأت سلسلة الاضطرابات التى انتهت بمذابيح سنة ١٨٦٠م^(٢٥) بين الطرفين وامتدت لشتل المسلمين والمسيحيين في كل من سوريا ولبنان. وزادت وطأة الفتنة بينها بما قام به عملاء الفرنسيين والبريطانيين من أعمال الدس في اتجاهين مختلفين^(٢٦)، حتى حدثت المذابيح بين الطرفين التى راح ضحيتها الآلاف من كلا الجانبين والتى تدخل فيها بعض الزعماء العرب لإيقافها وتهدة الأمور بين المتقاتلين، وكان على رأس هؤلاء الزعماء العرب الأمير عبد القادر الجزائري القيم بدمشق منذ فشل المقاومة الجزائرية للغزو الفرنسى..

ولقد كان للتصل الفرنسى يد كبرى في إثارة هذه المذابيح التى قوبلت في فرنسا بترحاب لما تتيحه لها من الفرص لمغامرة حربية في لبنان^(٢٧)، إذ شعر الامبراطور الفرنسى نابليون الثالث بأن اللحظة المناسبة لتثبيت الأقدام الفرنسية في سوريا قد أتت أخيرا، فأعلن في يوليو عام ١٨٦٠م عن غزوه إرسال قوات إلى سوريا لحماية الكاثوليك، ورغم أن السلطان العثمانى أوفد أحد رجاله لإقرار الأمور في سوريا، وقد استطاع بالفعل بعد أن أعدم رميا بالرصاص وشنقا وسجن وأبعد مئات من المسلمين إرضاء لفرنسا، فإن فرنسا لم تفلت من يدها هذه الفرصة، ومن ثم عقد مؤتمر دولي في باريس ضم كلا من إنجلترا وفرنسا والنمسا وبروسيا والروسيا وتركيا درس الموقف في

(٢٤) نفس المرجع ص ٢٤٩.

(٢٥) د. أنيس، د. حراز: المرجع السابق ص ١١٦.

(٢٦) كانت بريطانيا تؤيد الدروز في مواجهة تأييد فرنسا للموازنة.

(٢٧) جورج كيرك: المرجع السابق ص ١٢٨.

سوريا وموقف فرنسا وأصدر قراراته في سبتمبر ١٨٦٠م بالسماح لقوات فرنسية لا تتجاوز ١٢ ألف جندي بالنزول في بيروت وألا تزيد مدة بقائها عن ستة شهور.

وقد نزلت القوات الفرنسية بالفعل في بيروت في آخر أغسطس ١٨٦٠م في الوقت الذي أوفد المؤتمر لجنة لتقصي الحقائق عن أسباب الأحداث الدامية، وتبحث إمكانية تلافى هذه الأحداث بوضع نظام جديد للبنان. ورغم أن الهدوء والنظام قد عادا إلى سوريا فإن فرنسا رغبت في بقاء قواتها هناك إلى أجل غير مسمى بحجة ضمان عدم تكرار الاضطرابات، إلا أن الحكومة البريطانية تمكنت بقرارات مؤتمر باريس القاضي بجلاء القوات الفرنسية خاصة وأن هذه القوات قد تجاوزت المدة المقررة لبقائها، ومن ثم انسحبت هذه القوات في يونيو ١٨٦١م دون أن تحقق أهدافها حتى قيل أن الحملة أخفقت في تحقيق ما كانت الدولة الحامية تصبوا إليه (٢٨). من فرض سيطرتها ونفوذها على سوريا ولبنان.

عادت اللجنة الدولية من سوريا ولبنان في مايو ١٨٦١م ووضعت تقريراً عرض على السلطان العثماني في شكل اتفاقية وقع عليها وزير الخارجية التركية وسفراء الدول الأوروبية الخمس في يوليو ١٨٦١م تفضى بمنح الحكم الذاتي لسنجق لبنان على رأسه حاكم مسيحي غير لبناني يتم تعيينه من قبل الدولة العثمانية بالتشاور مع الدول الأوروبية الخمس. وفي عام ١٨٦٤م استقر وضع لبنان كسنجق مستقل ذاتياً بمقتضى الاتفاقية السابقة التي صارت دستورا دائما للبنان حتى عام ١٩١٤م وتم تنظيم لبنان بحيث يساعد الحاكم ١٢ شخصا منهم ٤ من الموارنة، و٣ من الدروز، و٣ من الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك، وسنى واحد، وشيعة واحد. وصارت أقسام لبنان الإدارية سبعة مديريات يتراأس كل مديرية منها مدير من الروم الكاثوليك، ويخضع لهؤلاء المديرين شيوخ النواحي والقرى والقضاة والكتبة الذين حدد الدستور نسبة توزيع مناصبهم بين الطوائف الدينية المختلفة.

(٢٨) نفس المرجع ص ١٢٨.

وقد أسفرت هذه الاتفاقية عن استقرار الأمن والنظام في سوريا ولبنان حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، وفي تلك الفترة باشرت البعثات العلمية الفرنسية أعمالها العلمية، حتى لقد قيل أنه في سنة ١٩١٤م كان أكثر من نصف تلاميذ المدارس في سوريا وفلسطين يتعلمون بمعاهد فرنسية (٢٩). وحصلت فرنسا على اعتراف الدول الأوروبية المجتمعة في مؤتمر عقد ببرلين عام ١٨٧٨م على الاحتفاظ بالحقوق التي تمتلكها فرنسا — في حماية الأماكن المقدسة في فلسطين — وعلى أنه من المفهوم أنه لن يجري أى تعديل في وضعية الأماكن المقدسة (٣٠).

ظهرت المطامع الفرنسية في سوريا ولبنان أثناء معارك الحرب العالمية الأولى فيما عرف باتفاق «سايكس-بيكو» (٣١) لعام ١٩١٦م الذى نص على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بحيث يكون نصيب فرنسا الجزء الأكبر من سوريا وجانب كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل في العراق. وهذه المنطقة تشمل الشريط الساحلى لسوريا بما في ذلك لبنان ثم ولاية أطنة ومرسين والأقاليم المعروفة إجمالاً باسم كيليكيا، وتدخل في هذه المنطقة اسكندرونة. ولم يأت في هذا الاتفاق ما يدل على أن فرنسا كانت ممنوعة من ضم هذه المنطقة إليها إذا أرادت، كما لم يذكر الإتفاق أن من حق فرنسا ضمها إلى ممتلكاتها مباشرة هذا بالإضافة إلى المنطقة التي تشمل الموصل ثم مدن دمشق وحمص وحماه وحلب (٣٢).

وقد أكد الفرنسيون منذ هذا الإتفاق أن هناك وصاية أو حماية على سوريا ولبنان، فإن جورج بيكو خطب في جمع من السوريين واللبنانيين في فندق شبرد بالقاهرة في ٢٥ أبريل سنة ١٩١٧م قائلاً إن جميع دول الحلفاء قد انتخبوا فرنسا وصية على لبنان، وأن الحكم سيكون في البلاد التي كان

(٢٩) جورج كيرك: المرجع السابق ص ١٢٩.

(٣٠) د. محمد مصطفى صفوت: مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وأثره في البلاد العربية، ص ٤٨.

(٣١) شارك في هذا الاتفاق مسيو جورج بيكو، وسير مارك سايكس مندوباً فرنسا وإنجلترا في القاهرة وقنصل وقنصل روسيا في القاهرة كذلك، وظل هذا الاتفاق سرياً حتى أذاعته

الثورة الروسية عام ١٩١٧م.

(٣٢) د. لئيس، د. حراز: المرجع السابق ص ٢٣٨.

لها أمتيازها، والتي كانت محرومة من الامتياز سيمنح لها الامتياز والحكم العام الداخلي سيكون باستشارة الأهالي وأشار إلى قيام حماية فرنسية على سوريا (٣٣).

وأثناء الحرب صدر تصريح الرئيس الأمريكي «ويلسون» في أوائل عام ١٩١٨م الذي يقضى بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وعقب انتهاء الحرب سيطرت القوات الفرنسية على المنطقة الساحلية في سوريا من الناقورة جنوباً إلى كيليكيا شمالاً وتديرها فرنسا. في الوقت الذي احتلت القوات البريطانية فيه جنوب سوريا، وتسيطر حكومة فيصل العربية بقواتها العربية على سوريا الداخلية.. وقد ظهرت النوايا الفرنسية واضحة في موقفها من حضور مندوبين عرب جلسات مؤتمر الصلح في باريس، فقد استقبلت الحكومة الفرنسية الأمير فيصل كزائر كبير، ليس له صفة الممثل السياسي أو المندوب الرسمي للحكومة معينة، وكان لهذا مغزاه، فإن الحكومة الفرنسية لم تشأ أن تفترض للعرب حقوقاً في مؤتمر الصلح (٣٤).

ونتيجة لفشل فيصل في مؤتمر الصلح وعودته إلى دمشق في أوائل مايو ١٩١٩م تم تشكيل ما عرف بالمؤتمر السوري العام في الشهر التالي وفي خريف نفس العام كان الاتفاق قد تم بين «لويد جورج» و«كليمنصو» بإحلال الجيوش الفرنسية محل الجيوش البريطانية في كيليكيا والساحل السوري على أن تبقى فلسطين في عهدة الجيش البريطاني، وحصر سيادة العرب بالمنطقة الداخلية من سوريا، واشترط كليمنصو ألا تؤثر موافقته هذه في التسوية النهائية المتعلقة بالانتدابات والحدود تأميناً لاستيلاء فرنسا على كامل سوريا (٣٥).

وفي ٨ مارس عام ١٩٢٠م انعقد المؤتمر السوري العام وحضره مندوبون عن العراق، واتخذ عدة قرارات تقضى باستقلال سوريا بمحدودها الطبيعية وارتقاء فيصل عرش الملكية في دمشق، واستقلال العراق، وشجب القرارات

(٣٣) نفس المرجع ص ٢٥٢.

(٣٤) د. حسين النجار: المرجع السابق ص ٢٩.

(٣٥) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٤٠٩ - ٤١٠.

الاستعمارية والصهيونية كاتفاق سايكس بيكو ووعد بلفور، ورفض الوصاية السياسية التي تحاول الدول الاستعمارية فرضها باسم الإنتداب، ورفض معونة فرنسا تماماً. ولكن هذه القرارات لم يكن لها صدى عند الدول الإستعمارية فقررت فرض الإنتداب الفرنسي على كل من سوريا ولبنان في مؤتمر سان ريمو المنعقد في ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠م، والإنتداب الانجليزي على العراق وفلسطين.

وكان معنى ذلك اشتعال الثورة في كل من سوريا ولبنان ضد الإنتداب الفرنسي، وبالثورة يستمر الصراع بين السوريين واللبنانيين من جهة، وبين قوات الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى حتى تنجح المقاومة العربية في جعل الوجود الاستعماري على الأرض العربية مستحيلاً ومن ثم يسلم في النهاية بانتهاء هذا الوجود، ويحصل سوريا ولبنان على استقلالهما عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ثانياً — الاستقلال :

كان الاستعمار الفرنسي في الوطن العربي أكثر إتساعاً من غيره، حيث شمل سوريا ولبنان والجزائر وتونس ومراكش — المغرب — وموريتانيا، كما شمل جيبوتي، ويعتبر الكفاح الذي خاضته شعوب هذه الأقطار إضافة إلى لليقظة العربية.

وقد ارتبطت الحركة الوطنية في كل من سوريا ولبنان معاً رغم وجود بعض الاختلافات في الوسائل. وما ذلك إلا لأن البلدين يكونان إقليمياً عربياً واحداً منذ القدم هو بلاد الشام، ومن ثم شهدت تلك البلاد ثورات متعددة ضد الإنتداب الفرنسي الذي أعلن بمقتضى معاهدة «سان ريمو» عام ١٩٢٠م، كان منها الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م التي قادها سلطان الأطرش وعبد الرحمن الشهبندر.

وشهد عام ١٩٣٦م عقد اتفاقية بين فرنسا وكل من سوريا ولبنان تقوم على اعتراف فرنسا بقيام نظام جمهوري في كل من سوريا ولبنان وجمعية تأسيسية سورية في دمشق ولبنانية في بيروت كل ذلك تحت إشراف فرنسا ومع إستمرار وجود القوات الفرنسية.

ورغم رفض حكومة فرنسا الجديدة التي أعقبت حكومة «ليون بلوم» التي وضعت الاتفاقيتين مع كل من سوريا ولبنان، إلا أن السوريين واللبنانيين تمسكوا بها، وانتهزوا اشتعال الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا أمام دول المحور واحتلال الألمان لفرنسا حيث حصلوا في يناير عام ١٩٤٣م من فرنسا على فرصة إجراء انتخابات لجمعية وطنية في كل من دمشق وبيروت. وظهر من زعامات سوريا آنذاك شكري القوتلي. وفي لبنان بشارة الخوري رئيساً للجمهورية ورياض الصلح رئيساً للوزراء، حتى خرجت القوات الفرنسية نهائياً من سوريا ولبنان في أبريل عام ١٩٤٦م، وبذلك صارت سوريا دولة مستقلة، ولبنان دولة مستقلة وإن ربط بينهما علاقات خاصة.



■ الفصل الخامس ■

استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار الإيطالي

● ليبيا:

أولا: فترة الاستعمار.

ثانيا: فترة الاستقلال.

● الصومال:

أولا: فترة الاستعمار.

ثانيا: الاستقلال.

□ ليبيا □

أولاً: فترة الاستعمار

كان خروج إيطاليا إلى الاستعمار متأخراً عن غيرها من الدول الأوروبية، وذلك بسبب تأخر وحدتها القومية، وضعف إمكانياتها، ومشكلاتها الداخلية المعقدة.. وليس معنى هذا أن إيطاليا لم يفكر أهلها في إقامة مستعمرات لهم خارج حدودهم قبل الوحدة القومية إذا أن الإيطاليين كانوا يرجون قبل إتمام الوحدة القومية أن تستطيع مملكة نابولي - النابليان كما سماهم السنوسيون الأوائل - الاضطلاع بمهمة هذا التوسع الخارجي، وكان مايعنيهم مجرد التوسع لذاته فحسب سواء جرى هذا في القارة الأوروبية ذاتها أو بعض جزر البحر الأبيض أو أقطار أفريقيا الشمالية^(١).

ولعل من المفيد هنا أن نسجل الدوافع التي حثت بإيطاليا غزو ليبيا، وذلك أن إيطاليا خرجت من جهودها لتحقيق الوحدة القومية منهوكة القوى ومحملة بأعباء ومشكلات داخلية كال فقر وكثرة عدد العاطلين عن العمل^(٢)، إلى جانب الشعور بالنقص إزاء الدول الكبرى ذات المستعمرات^(٣)، بالإضافة إلى رغبة الإيطاليين في استخدام رؤوس أموالهم

(١) د. محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة ص ١٠٣.

(٢) د. محمد السروجي: العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال ص ٧٢.

(٣) د. زاهر رياض: شمال أفريقيا في العصر الحديث ص ٢٢١.

واستثمارها في مشروعات تعود عليهم بالنفع ويتدرب الشباب الإيطالي على الأعمال المنتجة.

ومما يجب ملاحظته أن اهتمام الإيطاليين بإقامة مستعمرات أنصب في المقام الأول على تونس أولا ثم طرابلس الغرب (ليبيا) ثانيا، لاسيما وأن تونس جعلها قريبا من إيطاليا تتمتع بميزة لا تضارعها فيها طرابلس. هذا التقارب الذي أدى في العصور القديمة إلى وجود علاقات إقتصادية وسياسية هامة بين هذا الجزء من شمال أفريقيا الذي كان يطلق عليه اسم قرطاجنة وبين إيطاليا ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من شمال أفريقيا وإيطاليا يؤثر في الآخر ويتأثر به^(٤).

ولكن احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١م قد وجه ضربة لأطماع إيطاليا في تونس مما أساء العلاقة بين فرنسا وإيطاليا لدرجة جعلت الإيطاليين يتجهون صوب دول وسط أوروبا ويتناسون العداء التقليدي مع النمسا بل ويدخلون في تحالف مع ألمانيا والنمسا كان الفضل في إبرامه لبسمارك المستشار الألماني الذي كان من المحبذين لفرنسا لكي تحتل تونس فتصرف عن التفكير في إقليم الأناضول والبلقان، وقد كسب بسمارك إيطاليا إلى جانبه مع النمسا في تحالف ثلاثي^(٥).

اتجه الإيطاليون إلى تحقيق مشروعات إستعمارية في شرق القارة الأفريقية بعد أن ضاع أملهم في تونس ورغم ما صادفوه من نجاح في أول الأمر باستيلائهم على إقليم أرتريا إلا أن هزيمتهم في موقعة عدوة على يد الأحباش قد جعلهم يعيدون التفكير في إمتلاك أراض جديدة في شمال أفريقيا وخصوصا في ولاية طرابلس الغرب، وهي الولاية الوحيدة التي بقيت خاضعة للدولة العثمانية في شمال أفريقيا^(٦). وهكذا استغرقت جهود إيطاليا بعيدا عن ليبيا منذ عام ١٨٨٥م حين احتلت مصوع إلى عام

(٤) د. محمد السروجي: الموقف الدولي والاحتلال الإيطالي لطرابلس - مجلة كلية الآداب

جامعة الاسكندرية العدد ٢٢ - ١٩٦٨م - ٢٧.

(٥) د. رأفت الشيخ: تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ص ١٧٦.

(٦) نفس المرجع ص ١٧٧.

١٩٠٢م حين عقدت مع فرنسا اتفاقية تحقق بها أهدافها الإستعمارية في ليبيا.

وبعقد معاهدة ١٩٠٢م بين فرنسا وإيطاليا التي قضت بإطلاق يد إيطاليا في ليبيا ويد فرنسا في مراكش تبدأ سلسلة من الجهود الإيطالية في ليبيا من أجل السيطرة عليها، بدأت بفتح المدارس في طرابلس وبنى غازى، وإرسال الجماعات التبشيرية، ولكن أهم من ذلك فتح فروع لبنك دى روما الذى أخذ يقرض الأهلى أموالا كثيرة بفوائد وشروط مجحفة، إلى جانب أن القنصلية الإيطالية فى كل من طرابلس وبنى غازى كانت مركزا للنشاط السياسى والدعاية الإيطالية والتجسس على أهل البلاد ومراكز الدفاع عنها ووسائله (٧).

هذا إلى جانب وجود سياسيين إيطاليين يرسمون سياسة إيطاليا الأستعمارية ويتحمسون لها أمثال السنيور «كرسى» رئيس الوزارة الإيطالية فى المدة من ١٨٨٧-١٨٩١م، ثم عودته للحكم من ١٨٩٣-١٨٩٦م حيث سقط بسبب الفشل فى الحرب ضد الحبشة (٨)، ومثل السنيور «جوليتى» الذى تولى الوزارة من عام ١٨٩٢ إلى عام ١٨٩٣م ثم عاد للحكم مرة أخرى عام ١٩١١م حيث تم الغزو الإيطالى لليبيا فى عهد وزارته (٩).

وكل هذا هيا الأذهان سواء فى إيطاليا أو خارجها لفكرة استيلاء إيطاليا على ليبيا، بل بلغ من قوة الدعاية الإيطالية أن صورت ليبيا بأن أراضيها مصدر خير وفير حتى بات الشباب الإيطالى يتغنى بطرابلس الجميلة، والعاطلون الإيطاليون يتمنون الانتقال إليها فى ظل امتلاك إيطاليا لها، ولذلك لا نعجب أن نرى الحكومة الإيطالية تعلن الحرب على تركيا فى سبتمبر سنة ١٩١١م بحجة أن الضباط ورجال جمعية الاتحاد والترقى الجهلة

(٧) د. نقولا زيادة: ليبيا، ص ٨٠.

(٨) د. رافت الشيخ: المرجع السابق ص ١٧٨.

(٩) خليفة المنتصر: ليبيا قبل الحقبة وبعدها ص ١٠.

المتعصبين عرضوا للخطر الشديد أمن الرعايا الإيطاليين بتخريضهم أهالى طرابلس الغرب وبنى غازى ضدهم (١٠).

لم يكن الغزو الإيطالى لليبيا إذن مفاجئا لأن الأطماع الإيطالية فى ليبيا لم تكن خافية على الليبيين والأتراك ، وقد بادر الليبيون منذ عام ١٩١٠م بالإبراق إلى الصدر الأعظم إبراهيم حقى باشا يعلمونه بغزيمهم على رد كل هجوم وطلبوا إرسال وسائل تحصينات طرابلس المهمة والذخائر الحربية والبحرية وأطعمة لمدة عام ، وأنهم سيدافعون عن وطنهم حتى آخر نقطة من دمائهم (١١). ولكن إبراهيم حقى لم يعمل شيئا ، ولعل موقفه هذا يفسره أنه كان يعمل سفيراً لبلاده فى إيطاليا وزوجته إيطالية ، ومن ثم فهو متهم بالتواطؤ مع الطليان لتسليمهم الولاية (١٢).

ويمكن القول أن تولى جماعة الاتحاد والترقى فى تركيا قد عجل بضياغ طرابلس الغرب ، فسياسة التتريك التى سارت عليها تلك الحكومة فى الولايات العربية لم تلق ترحيباً من قبل السنوسية فى طرابلس الغرب ، بل إنها وقفت موقف عدم التأييد من إنشاء جمعية الاتحاد والترقى فى بنى غازى (١٣) ، بسبب رأى الاتحاديين فى بعض الأمور الدينية التى كان السنوسيون يخالفونها فيها ، مما نفر الليبيون من الحكم العثمانى ، وجعل العثمانيين مسئولين عن حدوث الغزو الإيطالى لليبيا .

حدث الغزو الإيطالى لليبيا فى سبتمبر ١٩١١م ، ولكن الليبيون لم يستسلموا بل قاوموا حتى بعد أن اضطرت تركيا المتهاكمة إلى استجداء الصلح مع إيطاليا ، والذى تم بواسطة إنجلترا فى لوزان بسويسرا فى أكتوبر سنة ١٩١٢م ، وإذا كانت القوات التركية قد شاركت فى صد الغزو فى أوله إلا أن هذه القوات كانت مبعثرة هنا وهناك ، وكانت تجهيزاتها الحربية وتدريباتها العسكرية ضعيفة وقليلة بحيث حمل المواطنون العرب فى ليبيا

(١٠) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون فى أفريقيا الشمالية ص ٢١٤ .

(١١) نفس المرجع ص ٢٢١ .

(١٢) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٧٤ .

(١٣) د. محمد الروجى : المرجع السابق ص ٢٧ .

عبء القتال وحدهم بمساعدات مادية ومعنوية من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها مصر وتونس^(١٤).

ونتيجة لمعاهدة لوزان منح السلطان العثماني أهل ليبيا الاستقلال الذاتي في الوقت الذي لا يملك فيه هذا الحق، ولكنه منشور دعائي يحفظ به ماء وجهه أمام الشعوب العربية الإسلامية، ذلك أن ملك إيطاليا أصدر في الوقت نفسه منشورا إلى الليبيين يذكر لهم فيه بأن بلادهم خاضعة خضوعا تاما للسيادة الملكية الإيطالية، ويعفو فيه عن الليبيين، ويعددهم بالمحافظة على الشعائر الدينية الإسلامية ويسمح لهم فيه بذكر اسم جلالة السلطان الأعظم بصفة خليفة المسلمين في الصلوات العامة^(١٥). بل وسرعان ما صار الإيطاليون يعتبرون المجاهدين الليبيين مجرد عصاة وثوار خارجين على الحكومة الشرعية — الحكومة الإيطالية — في مقاومتهم، يستحقون لذلك الإعدام شنقا أورميا بالرصا ص إذا ما وقعوا في أيديهم^(١٦).

ولكن الليبيين لم يرههم ما حدث لهم من مذابح دموية أو إحراق مساكنهم ومزارعهم ومواشيهم ومن ثم استمر كفاحهم ضد قوات الغزو الإيطالي الغاشم رغم انسحاب القوات التركية، وتحمل السنوسيون عبء النضال في برقة بأسلوب حرب العصابات في الجبل الأخضر الذي سيطر عليه الإيطاليون على قسم كبير منه خاصة مدنه، والذين صمموا على المضي في الغزو رغم تكبدهم نفقات ودماء كثيرة، في الوقت الذي عملت فيه السنوسية خصوصا حين نزعهم السيد محمد إدريس على عقد إتفاق مع إيطاليا لإقرار الأمور في برقة لصالح أهلها الذين طحنهم التبارك الحربية وسياسة التجويع والتشريد والإبادة التي اتبعتها قوات الاحتلال.

وقد تم بالفعل عقد عدة اتفاقيات بين السنوسية وإيطاليا في السنوات من ١٩١٧ إلى ١٩٢١ م أمنت للبرقاويين عبادتهم وملكيتهم الفردية وإنشاء المدارس واحترام لغة البلاد إلى جانب انتخاب مجلس نيابي يساعد الأمير

(١٤) د. رافت الشيخ: المرجع السابق ص ١٨٢.

(١٥) د. نقولا زيادة: ليبيا، ص ٨٣-٨٤.

(١٦) د. محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق ص ١٣١.

السنوسى الذى اعترفت به كل من إيطاليا وانجلترا أميرا لبرقة . . ولكن إيطاليا لم تكن مخلصه في هذه الاتفاقيات بل وسعت إلى الوقعية بين أهل البلاد حتى تضرب ضربتها بالتخلص من الحركة الوطنية الليبية ، وقد ضيقت حكومة الاحتلال على الأمير السنوسى حتى ترك برقة وانتقل إلى مصر عام ١٩٢٢م تاركا قيادة الجهاد في برقة للسيد عمر المختار أحد شيوخ الزوايا ، خاصة وأن الحزب الفاشستى كان قد استولى على الحكم في إيطاليا في خريف هذا العام ، واتبع سياسة العنف بصورة أشد مع الليبيين .

وأما في طرابلس فقد استمر الكفاح يقوده زعماء القبائل أمام زحف القوات الإيطالية وإرهابها للأهالى حتى تم اختيار سليمان البارونى رئيسا لحكومة وطنية في طرابلس ولكنه اضطر أمام ضغط الإيطاليين إلى ترك البلاد إلى الآستانة ، ولكن الكفاح ظل مستمرا وتدفق المتطوعون إلى ميادين القتال والتحقوا بالمعسكر العثمانى بضواحي طرابلس وقلوبهم تلهب حاسة وغيرة وإخلاصا ، وإن المهمة مبدولة في تأليف جيش كبير من المتطوعين تحت رئاسة ضباط مصر المتقاعدين وأكدت الصحف المصرية سفر قوافل عديدة من مطروح وبراننى وأولاد على تحمل معها الذخيرة والزاد مدججة بالسلاح الحديث (١٧) .

وحاول الطرابلسيون تنظيم صفوفهم أثناء انشغال إيطاليا بمعارك الحرب العالمية الأولى ورغبتها في تسكين جبهة القتال في طرابلس حتى تنتهى الحرب ، ومن ثم حصل الطرابلسيون على اعتراف من إيطاليا في ٢١ أبريل ١٩١٩م بموجب صلح «بنى آدم» بالجمهورية الطرابلسية التى أقيمت منذ نوفمبر ١٩١٨م والتى أختير كل من سليمان البارونى ورمضان السويحلى وأحمد المريض وعبد النبى بلخير لرئاستها والتى عمل لها المجاهد المصرى عبد الرحمن عزام مستشارا بعد أن أسهم في قيامها .

ولكن النزاعات الداخلية قد فتت في وحدة المجاهدين وأعطت الفرصة للإيطاليين . وكان أهم هذه النزاعات النزاع بين السنوسية ورمضان السويحلى زعيم مصراتة التى اتخذت شكل التعصب القبلى . هذا إلى جانب

(١٧) صفحات خالصة من الجهاد للمجاهد الليبي سليمان البارونى ص ٢١١ .

الحلافات بين زعماء الجهاد في طرابلس مثل الحلاف بين رمضان السويحلي في مصراتة وعبد النبي بلخير في أورفلة وغيرهم (١٨). وبسبب عدم وجود الزعيم القوى كما هو الحال في برقة جعل الحكومة الإيطالية تتدخل في كل كبيرة وصغيرة، فوجد الزعماء من صالحهم الاعتراف لزعيم واحد بالسلطة العليا ورأوا في السيد إدريس السنوسي أمير برقة الزعيم المسلم القوى (١٩)، فاتجهوا إليه ببايعونه بالزعامة في نوفمبر ١٩٢٢م بوجود مجلس شورى من ٢٢ عضوا يمثلون الجهات المختلفة. وقد اعترفت إيطاليا بذلك في بادئ الأمر ثم ما لبثت أن بدلت سياستها بسيطرة الفاشست على الحكم في روما وطرابلس.

ولكن الليبيين لم يستسلموا للضغط والإرهاب الفاشستي، بل استمر كفاحهم حتى انتهى تقريبا عام ١٩٣١م بالتخلص من قائد النضال في برقة عمر المختار، وإن ظل الأمل يراود الليبيين في إزاحة الاحتلال الإيطالي حتى انتهت الحرب العالمية الثانية وتنهزم إيطاليا وتجبرها قوات الحلفاء على ترك ليبيا.

ثانياً — الاستقلال :

منذ نجح الإيطاليون في احتلال ليبيا بدءاً بعام ١٩١١م استمر كفاح الليبيين ضد الوجود الإيطالي بقيادة السنوسية في برقة والقبائل في طرابلس وفزان، ورغم استمرار كفاح الليبيين منذ الاحتلال الإيطالي حتى استشهاد عمر المختار عام ١٩٣١م، فإن الليبيين ساهموا في هزيمة الطليان مع الألمان أثناء معارك الحرب العالمية الثانية وخاصة في الميدان الأفريقي، حتى خرج الإيطاليون في أوائل عام ١٩٤٣م من ليبيا.

وعقب جلاء الإيطاليين خضعت كل من طرابلس وبرقة لإدارة عسكرية بريطانية بينما خضعت فزان لإدارة عسكرية فرنسية حتى أخذ الوطنيون يطالبون بالاستقلال في إطار ليبيا الموحدة، وسعت مصر وجامعة

(١٨) د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١٨٤.

(١٩) د. زاهر رياض : المرجع ص ٢٤٤.

الدول العربية في المحافل الدولية حتى صدر قرار هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر عام ١٩٤٩م باستقلال ليبيا بأقاليمها الثلاثة (برقة وطرابلس وفزان) في موعد لا يتجاوز الأول من يناير عام ١٩٥٢م، وبالفعل أعلن استقلال ليبيا في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م.

وباستقلال ليبيا الموحدة نودي بمحمد أدريس السنوسي ملكا للبلاد تحت أسم المملكة الليبية المتحدة، وظلت تحمل هذا الأسم حتى صدر قرار ملكي في ٢٧ أبريل ١٩٦٣م بإنهاء النظام الاتحادي وأصبح الأسم النظام الملكي وأصبح أسم ليبيا الجمهورية العربية الليبية.

الصومال

أولاً - فترة الاستعمار:

تسابت كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا حول ممتلكات مصر الأفريقية بصفة خاصة وحول ساحل أفريقيا الشرقي وساحل البحر الأحمر الأفريقي بصفة عامة. فقد تأسست مستعمرة انجليزية على أنقاض الممتلكات المصرية عرفت بالصومال الانجليزي ضمت موانئ زيلع وبلهار وبربره على خليج عدن، وهي التي استولى عليها الأنجليز منذ أن أخلاها المصريون بين عامي ١٨٨٥، ١٨٨٨م. وأبلغت بريطانيا الدول الأوروبية - تطبيقاً لقرارات مؤتمر برلين - أن الساحل الصومالي ابتداء من رأس جيبوتي إلى بندر زيادة قد وضع تحت الحماية البريطانية (٢٠) وكان هذا التبليغ إيذاناً وإعلاناً بتأسيس المستعمرة البريطانية في الصومال في مواجهة المستعمرة البريطانية في عدن، ومعنى ذلك أن بريطانيا أمسكت بباب المندب مدخل البحر الأحمر الجنوبي في الوقت الذي تسيطر فيه على مصر وقناة السويس شمالاً منذ احتلال قواتها لمصر عام ١٨٨٢م.

وكانت إنجلترا تبذل قصارى جهدها لكي تبعد أطماع الدول الأوروبية عن حوض النيل وذلك منذ إخلائه من المصريين وسيطرة المهدي عليه،

(٢٠) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان ٤٤٧.

وذلك لكى يصبح منطقة نفوذ لها وحدها، وكانت فرنسا الدولة الأوروبية المعاندة لمشروعات بريطانيا فصر والسودان بل وفى شرق ووسط أفريقيا، قد بدأت على مضايقة إنجلترا فى مصر، ورأت أن تدبر حلة عسكرية تغرس العلم الفرنسى فى فاشودة تستعمله سلاحا للضغط على إنجلترا سياسيا لاجلائها عن مصر^(٢١). وكانت إنجلترا تدرك أطماع فرنسا، ولذلك نجد السير «إدوارد جراى» وزير الخارجية البريطانية يرد على سؤال فى مجلس العموم البريطانى فى عام ١٨٩٥م قائلا: إن إنجلترا لها صفة الوصية المكلفة بالدفاع عن مصالح مصر، وبما أن مصر لها مطالب فى وادى النيل فإن منطقة النفوذ البريطانى تشمل جميع وادى النيل^(٢٢).

وكانت فرنسا قد بدأت تأسيس مستعمرة لها فى الساحل الصومالى منذ أن استولت على ميناء أوبوك عام ١٨٨٥م وفرضت الحماية على تاجورة وماجاورها وتأسيس ميناء جيبوتى^(٢٣)، ومن ثم تلامست مناطق النفوذ لكل من إنجلترا وفرنسا فى الصومال فعقدت بين الدولتين معاهدة عام ١٨٨٨م. وكان التدخل الفرنسى فى الشؤون الداخلية لسلطنة زنجبار وممتلكاتها على الساحل الصومالى عام ١٨٥٩م من أجل الحصول على مواقع فرنسية على الساحل الصومالى فى مواجهة المركز الاستعمارى الذى كانت بريطانيا قد حصلت عليه فى زنجبار ذاتها منذ عام ١٨٤١م^(٢٤)، ونتيجة معاهدة ١٨٨٨م مع إنجلترا تأسس الصومال الفرنسى تحت إدارة موحدة جعلت عاصمته ميناء جيبوتى.

كانت إنجلترا منذ أن فرضت على مصر سياسة إخلاء السودان تتخذ موقفا متناقضا. فبينما تعلن لمصر أن السودان وأملاك مصر فى أفريقيا قد صارت أرض خلاء لامالك لها، نجدها تقف أمام تحقيق الاطماع الاستعمارية الأوروبية فى أملاك مصر الأفريقية بدعوى أن حقوق السيادة

(٢١) د. مكى شبيكة: السودان عبر القرون ص ٤٢٤.

(٢٢) د. محمد صبرى: الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ٢٣٤.

(٢٣) د. رأفت الشيخ: أفريقيا فى العلاقات الدولية ص ١٣٠.

(٢٤) Coupland, E.: Exploitation of East Africa; p. 338.

على هذه الأملاك لمصر، ولا يعنى أنها معطلة الآن بسبب سيطرة الثورة المهدية انتهاؤها ومن ثم وجدنا انجلترا تتصرف في هذه الأملاك وكأنها الوصية عليها تعطى لمن تشاء من الدول أجزاء من هذه الأملاك وتقف دون الدول الأخرى.

وكانت إيطاليا تطمع في أجزاء من ممتلكات مصر على ساحل البحر الأحمر منذ أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر، وكانت مصر تعارض مشروعات إيطاليا في هذه الجهات التي اتخذت من النشاط التجارى ستارا تخفى به غرضها، وقد أيدت انجلترا مصر في معارضتها لنشاط إيطاليا ولكن في عام ١٨٨١م وجدنا انجلترا تغير سياستها نحو إيطاليا، والسفر في ذلك تكشف عنه مذكرة في سجلات وزارة الخارجية الإنجليزية كتبت في سبتمبر تقول: إن الفرنسيين يبذلون أقصى جهد لإخراج مصر من قبضة انجلترا (٢٥). وبناء على موافقة انجلترا تحولت ميناء عصب إلى مستعمرة إيطالية في يونيو ١٨٨٢م، كما إحتل الإيطاليون بلدة «بيلول» الواقعة إلى الشمال من خليج عصب وكانت بها حامية مصرية طردها السلطات الإيطالية وكان ذلك في يناير ١٨٨٥م، وفي الشهر التالي إحتلت إيطاليا مصوع، وبذلك سيطرت على كل الساحل من عصب إلى مصوع، ومن ثم تأسست مستعمرة أرتريا الإيطالية على حساب ممتلكات مصر.

تم تحقيق النشاط الإيطالى في ساحل البحر الأحمر المصرى بموافقة انجلترا، التى لا تخشى من إيطاليا كما تخشى من فرنسا، فن الطبيعى إذن أن يتفق الطرفان حتى تصبح إيطاليا عوناً للانجليز ضد الدراويش المهديين — من ناحية والفرنسيين من ناحية أخرى، لهذه الأسباب أعطت مصوع لإيطاليا ثم شجعت على تأسيس مستعمرة أرتريا وإرسال بعثات علمية وتجارية إلى إقليم هرر، كذلك تفاهمت الدولتان سرا على أن جميع الأراضي الحبشية تعتبر دائرة نفوذ لإيطاليا وتستطيع أن تؤسس فيها إمبراطورية (٢٦)،

(٢٥) د. محمد صبرى: المرجع السابق ص ١٦٥.

(٢٦) د. على إبراهيم عبده: المنافسة الدولية في أعالي النيل ص ١١٠.

كما سمح الانجليز لإيطاليا باحتلال مديرية كسلا السودانية التي كانت آنذاك في دائرة سيطرة المهديين.

ومالبثت إيطاليا بعد أن تأسست مستعمرة أرتريا أن اتجهت أنظارها إلى ساحل الصومال الشرقي فأرسلت سفينة حربية إيطالية إلى مياه ساحل الصومال المطل على المحيط الهندي لكشف هذه الأصقاع تمهيدا لاحتلالها وضمها إلى المستلكات الإيطالية التي كانت حكومة روما تعمل على تكوينها بمساعدة انجلترا في شرق أفريقيا (٢٧). وأعقب ذلك احتلال إيطاليا لبقية الساحل الجنوبي لطليج عدن بعد حدود الصومال الإنجليزي. وفي فبراير سنة ١٨٨٩م قبلت سلطنة أوبيا — في الصومال — الحماية الإيطالية (٢٨).

وقد بدأ تأسيس المستعمرة الإيطالية في الصومال بحصول شركة إيطالية في عام ١٨٨٦م على حق استغلال موانئ كيسمايو «قسمايو» وبراقا ومركة ومقديشو من شركة شرق أفريقيا البريطانية لمدة خمس وعشرين سنة تتجدد لمدة أخرى إذا رغبت الحكومة الإيطالية في ذلك (٢٩). وقد توسعت إيطاليا في إستغلالها حتى اصطدمت بالحبشة، ثم عقد معاهدة «أوتشالي» بين إيطاليا والحبشة في ٢ مايو ١٨٨٩م، وهي المعاهدة التي أثارت خلافا بين الطرفين بسبب تفسير المادة ١٧ منها التي نصت على أنه يجوز للملك الحبشة أن يعتمد على الحكومة الإيطالية في مباشرة السياسة الخارجية للحبشة. وكان هدف الإيطاليين من ذلك هو تحقيق الإدعاءات الحبشية على كل الأقليم من هرر حتى النيل (٣٠).

وقد أرادت إيطاليا أن تحصل على تأييد انجلترا ومواقفتها على ادعاءاتها في شرق أفريقيا بصفة عامة، ومن ثم عقدت اتفاقات بين الطرفين في مارس وأبريل عام ١٨٩١م اعترفت فيها انجلترا بخضوع أكبر جزء من أراضي السودان المصري التي تقع بين هضبة البحيرات «ورأس جردافوى» للنفوذ

(٢٧) د. السيد حراز: التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا، ص ١٧٨.

(٢٨) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان ص ٤٤٩.

(٢٩) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢٢٦.

(٣٠) د. رأفت الشيخ: أفريقيا في العلاقات الدولية ص ١٥٧.

الإيطالي كما اعترفت بكل أثيوبيا وجزء من التاكا وسنار التابعتين لمصر داخل منطقة النفوذ الإيطالي في شرق أفريقية (٣١). وهذه الاتفاقات تنظم الحدود بين مناطق النفوذ الإنجليزي والإيطالي في الصومال بما يبعد عن الصومال الفرنسي وقد استكمل تخطيط الحدود بين الصومالين الإنجليزي والإيطالي في إتفاق ٥ مايو ١٨٩٤ م بين إنجلترا وإيطاليا (٣٢).

انطلقت إيطاليا تحقق ادعاءاتها على الحبشة متخذة من مستعمرة ارتريا مركزا لنشاطها ولكن الأحباش رفضوا التفسير الإيطالي لمعاهدة أوتشالي فدارت معركة حاسمة في «عدوة» في أول مارس ١٨٩٦ م كانت نتيجتها في صالح الأحباش مما اضطر الإيطاليين إلى ترك أحلامهم في شرق أفريقيا، وعقدت معاهدة بين إيطاليا والحبشة عرفت بمعاهدة أديس أبابا في أكتوبر من السنة نفسها، وفيها حددت الحدود نهائيا بين المستعمرة وأثيوبيا - الحبشة - (٣٣).

ونتيجة لمعركة عدوة تحول الاهتمام الإيطالي في شرق أفريقية عن التوسع على حساب الممتلكات الحبشية إلى التوسع في الساحل الصومالي وقد استطاعت إيطاليا بالفعل تدعيم نفوذها في موانئ قسمايو وبرافا ومركة ومقديشو حتى وصلت أملاكها إلى رأس دلجادو في الشمال، وكونت من هذه الجهات مستعمرة ثانية في أفريقيا عرفت بمستعمرة الصومال الإيطالي ظهرت للوجود في بداية القرن العشرين (٣٤). وهكذا انتهى التنافس الدولي في شرق أفريقيا بخضوع الأجزاء الشمالية منه لسلطة إيطاليا وهي الأجزاء المعروفة بساحل البنادر - الساحل الصومالي - وستظل في إدارة هذه حتى الحرب العالمية الثانية (٣٥).

(٣١) د. السيد حراز: المرجع السابق ص ٣٤١.

(٣٢) د. محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق ص ٤٥١.

(٣٣) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢٢٧.

(٣٤) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ١٥٨.

(٣٥) د. جلال يحيى: التنافس الدولي في شرق أفريقيا ص ٣٨٢.

ثانياً: الاستقلال

الصومال خمسة أقاليم خضعت كلها للإستعمار الأوروبي، فهناك الاستعمار الانجليزى فى الصومالى الشمالى، والاستعمار الإيطالى فى الصومال الجنوبى والصومال الفرنسى فى جيبوتى، والاستعمار الانجليزى فى إقليم إنفدى بشمال كينيا. والاستعمار الأثيوبى فى الصومال الغربى أو أوجادين.

وقد نشأت الحركة الوطنية الصومالية فى أحضان رجال الدين، حيث قاد السيد محمد عبدالله حسن حركة الجهاد ضد الوجود البريطانى فى الصومال الشمالى من عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٢٠م عندما توفى محمد عبدالله حسن.

كما ثارت القبائل الصومالية فى منطقة بنادر ضد الإيطاليين بالتعاون مع ثوار الصومال البريطانى، ثم ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية أحزاب وجمعيات وطنية مثل حزب «الشباب الصومالى» وحزب «الرابعة الصومالية» وكلها تدعو إلى استقلال ووحدة الصومال الكبير.

وفى عام ١٩٤٩م قررت هيئة الأمم المتحدة أن تصبح الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة ثم دولة مستقلة ذات سيادة بعد عشر سنوات وأن تكون إيطاليا هى الدولة الوصية نيابة عن الأمم المتحدة وأن يكون للهيئة مجلس استشارى مقيم فى الصومال يضم ممثلين عن مصر والفلبين وكولومبيا ومهمته مراقبة عملية نقل الصومال من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الإستقلال.

ونتيجة لهذه الجهود أعلن إستقلال الصومال الشمالى فى ٢٦ يونيو عام ١٩٦٠م بينما أعلن استقلال الصومال الجنوبى فى أول يوليو من نفس العام، وفى اليوم الثانى من يوليو ١٩٦٠م اجتمعت الجمعية الوطنية فى الصومال الجنوبى والمجلس التشريعى للصومال الشمالى فى قاعة البرلمان بمقديشو، وفى جو يسوده الأبتهاج والفرح تم إتحاد الأقليمين لتظهر الجمهورية الصومالية.

ومنذ عام ١٩٦٠م أخذت جمهورية الصومال تسعى لتكوين الصومال الكبير ومن ثم توترت علاقتها مع كينيا بسبب إقليم إنفدى، واصطدمت مع

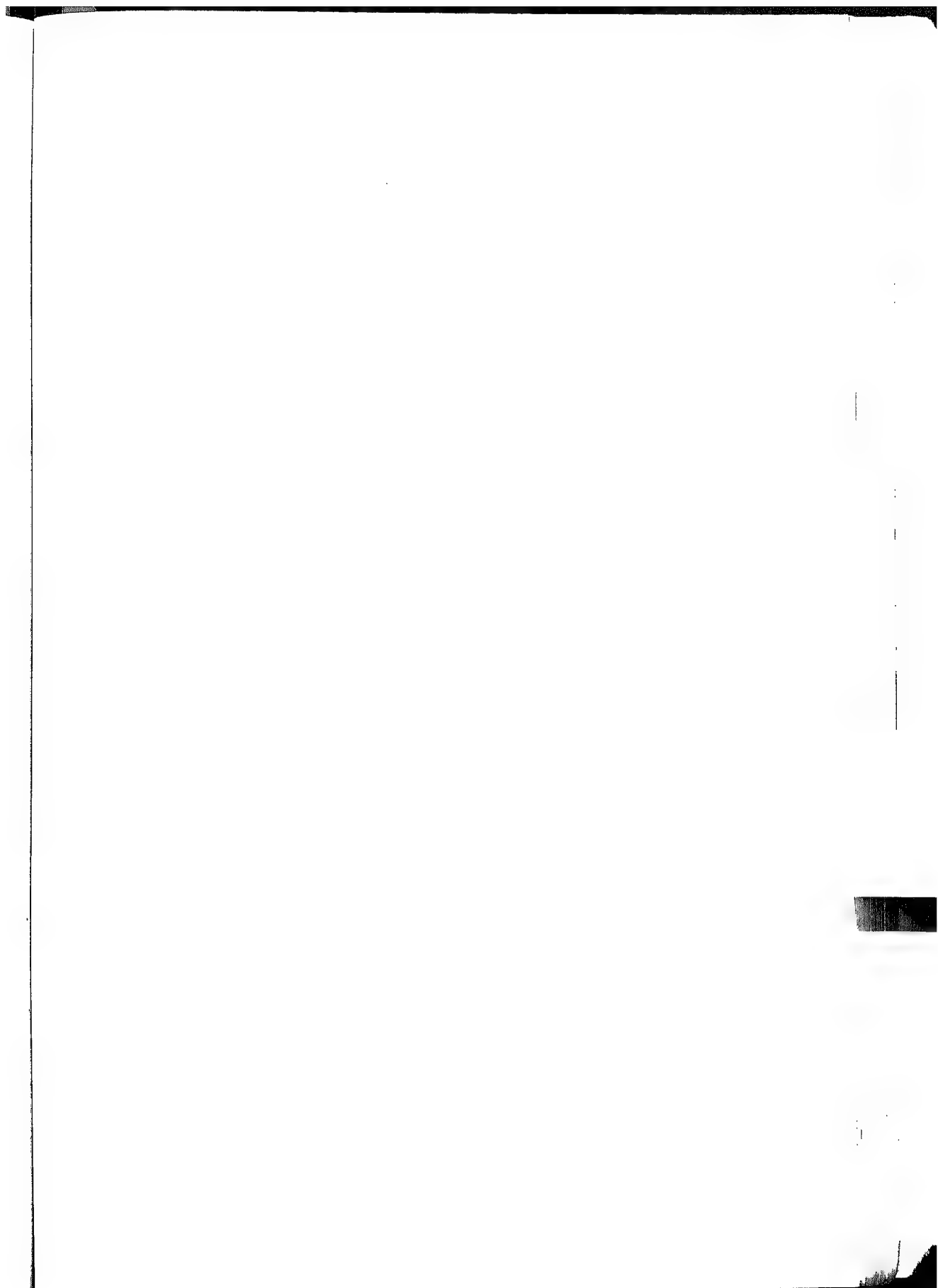
أثيوبيا بسبب إقليم أوجادين ، كما عملت فرنسا على إعلان استقلال
جيبوتي ، ومن ثم لم تتحقق وحدة الصومال الكبير حسبما حددت جمهورية
الصومال في دستورها .



الباب الثالث

الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة

- مقدمة
- الفصل السادس: المملكة العربية السعودية.
- الفصل السابع: موضوعات في تاريخ اليمن.
- الفصل الثامن: سلطنة عمان.
- الفصل التاسع: الكويت والعراق.



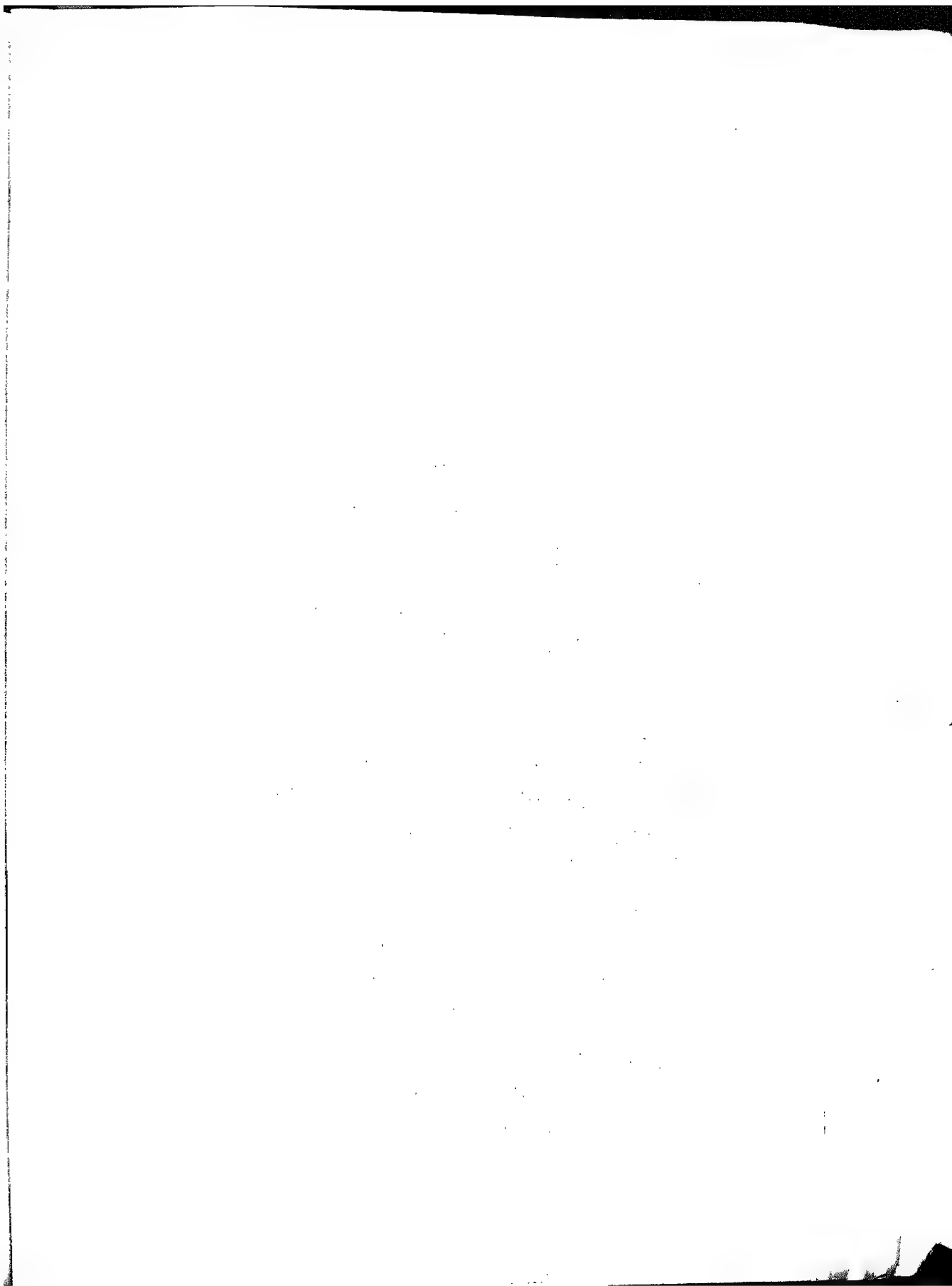
■ مقدمة ■

أعنى بموضوعات هذا الباب تلك الدول العربية الإسلامية التى نهضت فى القرن العشرين نهضة واضحة بفضل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان قيام المملكة العربية السعودية فى مرحلتها الثالثة على يد المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود علامة بارزة فى التاريخ العربى الإسلامى، كما كان أبناؤه على العهد فى استمرار المسيرة.

كما أن هناك مستجدات فى التاريخ اليمنى، ومن ثم جاءت موضوعات الصراع الإستعمارى حول الجزر اليمنية فى القرن التاسع عشر كمحاولة لانتفاص السيادة اليمنية، وموضوع أمن البحر الأحمر بين مصر والسعودية واليمن دليل على إهتمام الدول الثلاث بالأمن السياسى والعسكرى والأقتصادى لأقطار البحر الأحمر.

وتمثل سلطنة عمان ركيزة عربية إسلامية عند مدخل الخليج العربى وهى أقدم الكيانات السياسية فى شرق الجزيرة العربية، ومن ثم كان لابد من أفراد دراسة لها خاصة فى القرنين التاسع عشر والعشرين حتى الوقت المعاصر.

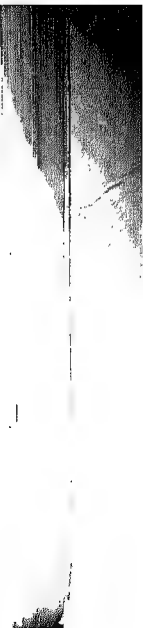
ونتيجة لغزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ م كان لابد أن نناقش ما إدعاه رئيس العراق بوجود حق تاريخى للعراق فى الكويت ونتابع تاريخ العلاقة بين الطرفين حتى إنتهاء الأزمة مع مقارنة هذا الادعاء بالادعاء الصهيونى بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين.



■ الفصل السادس ■

المملكة العربية السعودية

- مقدمة
- عبد العزيز بن عبد الرحمن
- سياسته في بناء الدولة:—
- أولا: توحيد البلاد.
- ثانيا: البناء الداخلي.
- ثالثا: السياسة الخارجية.
- أبناء عبد العزيز بن عبد الرحمن.



■ مقدمة ■

جاء قيام المملكة العربية السعودية في قلب شبه الجزيرة العربية إمتداداً من ساحل الخليج العربي حتى ساحل البحر الأحمر بعد كفاح طويل ضد قوى داخلية وقوى خارجية، مستنداً إلى ميراث آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر عندما تحالف الإمام محمد بن عبد الوهاب صاحب دعوة التوحيد السلفية مع الأمير محمد بن سعود حاكم الدرعية ورئيس الأسرة السعودية.

وقد إنطلق آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر بينون ملكهم في أنحاء شبه الجزيرة العربية داعين إلى التوحيد السلفي، كما كان قيام المملكة العربية السعودية في عهدها الثالث المعاصر على يد عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود دفعا للتخلف وتمسكا بكل تقدم علمي وسياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي لا يتعارض مع مبادئ دعوة التوحيد السلفية.

ويميل بعض المؤرخين إلى إطلاق إسم الدولة السعودية الأولى على المرحلة الأولى من تاريخ آل سعود والتي إنتهت عام ١٨١٨م، وإطلاق إسم الدولة السعودية الثانية على الملك الذي شاده الإمام فيصل بن تركي والذي انتهى عام ١٨٦٦م، وإطلاق إسم الدولة السعودية الثالثة على الملك القائم حتى الآن منذ شاده عبدالعزيز بن عبد الرحمن أول القرن العشرين.

وهذا التقسيم شائع في كتابات المؤرخين ويهدف إلى تحديد وقائع وأحداث كل مرحلة من المراحل التي مر بها ملك آل سعود في شبه الجزيرة العربية،

وإن كنت أميل إلى الأخذ بفقيرة روحنة التاريخ السعدي من القرن
الثامن عشر وحتى الآن وذلك للسين رئيسين هما:

١- كانت ومازالت ومظلل إن شاء الله دعوة التوحيد السلفية التي رعاها
الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود في نجد عبر ثقافة
الفتح في شبه الجزيرة العربية حتى في الفترات التي توارى فيها ملك
آل سعود إلى حق.

٢- استمر تسلل الأتراك من آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر
بداً يحطون سعود وحتى الآن بولاية فهد بن عبدالعزيز لعرش آل
سعود.

وعلى هذا يمكن تقسيم التاريخ السعودي الوجد إلى مراحل أو فترات
زمنية مع البراز الاستمرارية في هذا التاريخ للأسياب التي ذكرتها، ولذلك
يمكن القول للرحلة الأولى ملك آل سعود ((١٧٤٢-١٨١٨م)) ثم للرحلة
الثانية ((١٨٤٢-١٨٦٦م)) ثم للرحلة الثالثة من ١٩٠٢م حتى الآن وهي
الرحلة التي زاد الاهتمام بها عند المؤرخين ومازال الاهتمام بها مستمرا...

ولذا كنا قد تعرفنا للرحلة الأولى ثم الرحلة الثانية ملك آل سعود
أثناء سالتنا لدعوة التوحيد السلفية في كتابنا تاريخ العرب الحديث، فكاننا
متركز هنا على المرحلة الثالثة التي بدأت عام ١٩٠٢م على يد
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

فقد استرد عبد العزيز مدينة الرياض عام ١٩٠٢م من آل رشيد ثم
استطاع خلال السنوات القليلة التالية أن يوحد نجد تحت سيطرته ثم مد
سلطته إلى الأحساء التي دخلت في حوزته عام ١٩١٣م، ثم تطلع إلى
الحجاز واستطاع أن يستولى عليها في أواخر عام ١٩٢٥م وأعلن نفسه ملكاً
للحجاز في يناير ١٩٢٦م، كما ضم إقليم عسير عام ١٩٣٤م.

وكان الملك عبد العزيز قد أطلق اسم السلطنة العربية السعودية على
ملكه عام ١٩٣٢م وسعى للحصول على اعتراف العالم به وتخلية الاقطار
العربية الشقيقة، ولذلك وقع وصايدات حدادة وحين الجوار منذ الستين

على الحجاز من شريف مكة، فعقد مع كل من تركيا والبراق معاهدة عام ١١٩١م، ومع العراق عام ١١٩٠م، ومع شرقى الاردن عام ١١٩٣م، ومع اليمن عام ١١٩٤م، ومع مصر عام ١١٩٦م.

٣١١ عبد العزيز بن عبد الرحمن

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود ولد بقصر الإمارة ببغديّة الرياض عام ١٢٩٣ هـ الموافق لعام ١٨٧٦م وذلك أيام التكية التي لاقتها الأسرة السعودية بسبب الإقصاء قيا بيتها، فلما رحل أبوه الإمام عبدالعزيز عن الرياض لحيش في الثقي مع أسرته لم يكن عبد العزيز قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره (١).

ولما بلغ عبد العزيز سن العشرين كان قد نصح جيشاً وعقلاً، وإن كان طويلاً قدامته ستة أقدام وويوضتين، وهذا طولاً أخذ غير عادي بالنسبة للرجل ممن صحرائه ببلاد العرب، وكان من عظماء القروسية العرب وقد اكتسب التقدير من رفاقه العرب والأتال من خلال احتكاكه بالقبائل البدوية في نجد ونظري حكمة الربيع الحلال (٢).

وعندما كلف عبد العزيز صيلاً عهد به أبوه الإمام عبدالعزيز إلى التقاضي عبد الله الخرجي من علماء الخرج فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ سوراً من القرآن الكريم إلى جانب تلقيه أصول الفقه والتوحيد على يد بعض علماء عصره أمثال الشيخ محمد بن مصيغ، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف (٣).

وقد صقلت شخصية عبد العزيز من معيشته في الياضية حيث المشقة وحيث الخلط بالقبائل العربية وشاهد صراعاتها وشارك في الأحداث

(١) أحد عنه: مسيوة فوق الوطاك، الطبعة الثانية بيروت، ١٩٨٦م ص ٤٥.

(٢) محمد الملح تزوجة د. عبد الله ملح النشيط: توحيد الملكة العربية السعودية الرياض ١٣٨٧م، ص ٣٧.

(٣) تغير الدين الزككي: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز - الطبعة الرابعة - بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٧.

النجدية ، كما إستفاد من مرافقته لوالده وهو دون سن العشرين حيث قام بتوصيل رسائل والده إلى شيوخ القبائل وأمراء الأقطار الحظيحية .

وقد تعددت صفات عبد العزيز، فهو رجل موحد خالص التوحيد في خاصة نفسه ، ملتزم منهج السلف الصالح في توحيد الألوهية والربوبية والإسم والصفات ، لا يدعو غير الله ولا يسأل غيره ولا يشرع ما لم يأذن به الله^(٤) كما أنه أنصف بكرم الخلق وبسط اليد فقلما يرد سائلا يطلب معونته أو محتاجا قصد بابه ، وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم التى لا تخفى عليه ويقابل زائريه بوجه باش ويأخذ ألبابهم بابتسامته التى قلما تفارقه^(٥) .

كما كانت الشجاعة إحدى صفات عبد العزيز الأساسية ، ولم تكن شجاعة المتهور بل شجاعة القائد العسكرى الموهوب الملتزم المتزن الذى لا يقدم على مغامرة إنتحارية غير محسوبة ، ويدخل المعارك قوى الأعصاب فيشجع رفاقه على خوضها مؤملين النصر على العدو . ورغم ذلك كان يفضل أن يكسب الآخرين بدون حرب بدلا من أن يحاربهم لينتصر عليهم انطلاقا من حقيقة أن خصومه هم أيضا أبناء بلده وأفراد شعبه يحرص على حقن دمائهم ودماء رجاله .

ويمكن أن نضيف صفات أخرى لعبد العزيز مثل الوفاء ، وحسن اختيار الرجال الذين يرجو أن يعملون معه بإخلاص ، واصطناع الرجال الذين كانوا في يوم من الأيام خصوما ، إلى جانب قوة شخصيته وهيبته في نفوس الناس ، والتمتع بإرادة قوية ، فلا النصر يطغيه ولا الهزيمة تشيه أو تقلل من عزيمته^(٦) .

ومن صفات عبد العزيز كذلك كراهية التزلف والمديح والرغبة في الثناء بالحق وبالباطل ، وهذه الصفة من أقوى ما يتصف به أهل الحل والعقد لأنها

(٤) د. عبد الله بن عبد المحسن الزركلى : المنهج القومى فى الفكر والعمل ص ٣٦ .

(٥) فؤاد حزة : البلاد العربية السعودية ص ٢٦ .

(٦) د. عبد الله العثيمين : عوامل نجاح الملك عبد العزيز فى توحيد البلاد . مؤتمر تاريخ الملك

عبد العزيز - الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

تبعده عنهم شبح النفاق، وذلك قال للناس أدعوكم إلى الدين وإتباع آثار السلف الصالح واتخاذ الصراحة في القول والإخلاص في العمل وترك الرياء والملق (٧).

كذلك كان التواضع الجرم من صفات عبد العزيز الأصلية، فقد حاول بعض المحيطين به أن يلقبوه بلقب «حامى حمى الحرمين الشريفين» على غرار ما كان سلاطين الدولة العثمانية يلقبون أنفسهم بهذا اللقب، ولكنه رفض قائلاً أفضل أن يكون لقبى «خادم الحرمين الشريفين»، وكان يرددتها كثيراً في خطبه، وقد بقيت هذه السنة في عقبه من بعده.

تلك كانت شخصية عبد العزيز مكوّناتها وصفاته، سقّتها لكى تفسر من خلالها وفي ضوئها سياسته الداخلية في توحيد شبه الجزيرة العربية وحكمها، وسياسته الخارجية في علاقاته بالأقطار العربية والإسلامية الشقيقة والأقطار الأجنبية صديق أو غير صديق.

□ سياسة عبد العزيز في بناء الدولة □

أولاً - توحيد البلاد:

عندما حدث الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركى حول رئاسة الدولة العثمانية خرج نفر من هؤلاء من الرياض بحثاً عن ملجأ يلجئون إليه إلى حين تهيأ الظروف للعودة مرة أخرى لإعادة بناء الدولة بالرياض، وكان من بين هؤلاء النفر الإمام عبد الرحمن الفيصل وأبنائه وفيهم عبد العزيز.

وكان خروج عبد الرحمن من الرياض بعد أن بقي فيها إلى جانب أخيه عبد الله بن فيصل في الرياض منذ عام ١٢٨٢ هـ الموافق لعام ١٨٦٥ م إلى وفاة عبد الله عام ١٣٠٧ هـ الموافق لعام ١٨٨٩ م على الرغم من سيطرة ابن رشيد - عامل آل سعود السابق على جبل شمر على الأمور في نجد ودخوله الرياض وتولية أحد رجال ابن الرشيد إمارتها.

(٧) أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ص ٢٣٦.

تولى عبد الرحمن الإمامة في الرياض لمدة عامين في حياة أخيه
عبد الله بن فيصل وعليها عامل من قبل ابن رشيد (١٢٩١-١٢٩٣هـ) ثم
تنازل لأخيه حتى وفاته ومن ثم وثب عبد الرحمن على «سالم السبهان» عامل
ابن رشيد واعتقله وجدد له أهل الرياض البيعة في ١٢ ذى الحجة
١٣٠٧هـ، ولكن ذلك تسبب في هجوم ابن الرشيد على القصيم في جمادى
الآخرة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م متجها إلى الرياض مما دفع بعبد الرحمن إلى
الخروج من الرياض ومعه بعض أسرته وأقاربه ورجاله.

تنقل عبد الرحمن الفيصل بين الدهناء وبين يبرين والأحساء على مقربة
من منازل آل مرة والعجمان، وترك نساء الأسرة في ضيافة أمير البحرين
عيسى بن خليفة ليتفرغ لحياة الجهاد في الصحراء ضد آل رشيد، ورغم
ترحيب آل ثاني في قطر بإقامة أسرة عبد الرحمن الفيصل حيث أقام هناك
بأسرته من صفر إلى جمادى الأولى ١٣١٠هـ الموافق أغسطس إلى نوفمبر
١٨٩٢م، فإن المقام استقر بعبد الرحمن وأسرته في الكويت في ضيافة الشيخ
مبارك آل صباح بناء على ترتيب مع الدولة العثمانية، ومن ثم انتقل
عبد الرحمن بأسرته من قطر إلى الكويت عام ١٣١٠هـ الموافق عام
١٨٩٢م (٨).

ومن الكويت حيث عاش هناك واكتسب خبرة سياسية وعسكرية،
حيث شارك في صراع الشيخ مبارك آل صباح مع ابن رشيد خرج
عبد العزيز في طريقه إلى الرياض لاستعادة ملك آبائه وأجداده في مغامرة
نجحت بتوفيق من الله وانتهت بسقوط الرياض في يد عبد العزيز ورجاله
الذين تراوح عددهم بين أربعين وستين رجلا، وقد تم ذلك كله في ٥ شوال
١٣١٩هـ الموافق ١٢ يناير ١٩٠٢م عندما كانت خيوط الشمس تشرق على
الرياض حيث نادى المنادى بأن عبد العزيز دخل الرياض وأن عامل ابن
الرشيد قد قتل، فخرج إليه الناس فرحين مستبشرين بعد أن كانوا قد لقوا

(٨) خير الدين الزركلي: المراجع السابق ص ٢٠.

الكثير من العذاب والاضطهاد في ظل الحكم القاسى الذى مارسه ابن الرشيد^(٩).

ومن الرياض إنطلق عبد العزيز لتوحيد شبه الجزيرة العربية، وكان عليه مواجهة قوى محلية وخارجية ولم يكن بملك في البداية جيشاً جراراً أوجندا كثيفة ولا ثروة طائلة ليحقق بها هدفه وكان يملك فقط إيماناً راسخاً بالله سبحانه وتعالى وعقيدة في أحقية آل سعود بملك هذه البلاد ورجالا مخلصين شدوا من أزره سواء من أهله آل سعود أو من القبائل الضاربة في أنحاء الجزيرة العربية المناصرة لحق آل سعود.

وكان آل رشيد في جبل شمر أولى القوى التى كان على عبدالعزيز عبد الرحمن آل سعود مواجهتها، وذلك لأنه إستعاد منهم الرياض وما حولها ولم يكن عبدالعزيز متعب بن رشيد زعيم جبل شمر وهو الرجل المشهور له بالشجاعة والرهبة التى غرسها في قلوب أعدائه بالذى يذعن لمفامرة عبدالعزيز عبد الرحمن آل سعود باستخلاص الرياض منه، ومن ثم قرر إرسال حملة إنتقامية لإسترداد الرياض من عبدالعزيز سعود ولكن كبريائه أضرت به، حيث لم يقرر التزحف جنوباً باتجاه الرياض إلا في خريف عام ١٩٠٢م مما أعطى ابن سعود مهلة تسعة شهور ثمينة يمكن خلالها من تثبيت مواقعه من حيث إصلاح استحكامات المدينة وإعادة السيطرة على أجزاء كثيرة من المناطق الممتدة من الرياض حتى حدود الربع الخالى، وتكوين جيش كاف يتيح له أن يترك الرياض في عهدة أبيه عبد الرحمن ويغزو المناطق الواقعة جنوبها لتوسيع نفوذه^(١٠).

وقد استمر الصراع بين عبد العزيز آل سعود، وعبد العزيز الرشيد بضع سنوات كان ينتهى في معظمها بمكاسب لابن سعود بسبب تأييد القبائل النجدية له لصفاته التى ذكرناها وكراهيتهم لابن الرشيد لصفاته غير المقبولة منهم، ولم يأت عام ١٣٢٢هـ الموافق لعام ١٩٠٤م حتى كان عبدالعزيز

(٩) أحد عمه: المرجع السابق ص ٥٠.

(١٠) محمد المانع: المرجع السابق ص ٥٢-٥٣.

سعود سيد منطقة نجد الوسطى التي امتدت حدودها حتى جبل شمر معقل
ابن الرشيد.

وهنا جاءت القوة الثانية التي كان على عبد العزيز بن سعود مواجهتها
وهي قوة الدولة العثمانية، حيث انزعجت تلك الدولة من إنتصارات
عبد العزيز بن سعود فتحالفت مع عبد العزيز بن الرشيد، وعندما حدث
الصدام بين الطرفين النجدي بقيادة عبد العزيز بن سعود والطرف العثماني
الرشيدى عام ١٣٢٢ هـ الموافق ٢٩ سبتمبر لعام ١٩٠٤ م كانت النتيجة
لصالح ابن سعود في معركة «الشنانة» حيث تمكنت القوات النجدية
الموالية لعبد العزيز بن سعود من الحصول على الأسلحة والأموال والمؤن — من
القوات المهزومة — التي تمكنها من متابعة القتال (١١).

وبعد معركة «الشنانة» دارت مفاوضات بين عبد العزيز بن سعود
والعثمانيين على أساس أن يكون للأخيرين مراكز في نجد تفصل بين ابن
الرشيد وابن سعود، ولكن سوء معاملة ابن الرشيد لأهل القصيم دفع
عبد العزيز بن سعود إلى قيادة جيشه والالتقاء مع جيش ابن الرشيد الذى
كان يقوده بنفسه قرب بريدة في عام ١٣٢٤ هـ الموافق لعام ١٩٠٦ م في
موقعة «روضة مهنا» والتي انتهت بهزيمة ابن الرشيد ومقتله، وفشل
التحاليف بينه وبين العثمانيين ضد ابن سعود. وكان عبد العزيز بن
متعب بن رشيد يوم مقتله في الخمسين من عمره، وتدعى هذه الواقعة بذبحه
ابن رشيد (١٢).

ولم تنته المصاعب التي كان على عبد العزيز بن سعود مواجهتها، حيث
استمرت مؤثرات الدولة العثمانية وآل رشيد ضد ابن سعود، وقد عاش ابن
سعود فترة صعبة امتدت من عام ١٣٢٤ هـ الموافق لعام ١٩٠٦ م إلى عام
١٣٣٠ هـ الموافق لعام ١٩١٢ م حيث كثرت خروج القبائل النجدية وموالاتها
لأبن الرشيد وللعثمانيين، وساعد على ذلك قنرات القحط بسبب إغباس
المطر، ومع ذلك تمكن عبد العزيز من التغلب على هذه المصاعب جميعها

(١١) أحمد عه: المرجع السابق ص ٥٤.

(١٢) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٤٤.

بشجاعته تارة وبحكمته ومراعاته لظروف الواقع ومقتضياته تارة أخرى،
وبالحس السليم دائما (١٢).

وقد انتهز عبد العزيز الظروف الدولية وتوتر العلاقات الدولية وخاصة بين
الدولة العثمانية ودول غرب أوروبا فزحف بقواته إلى منطقة الأحساء التي
كانت بها قوات عثمانية منذ حملة مدحت باشا وإلى العراق من عام
١٢٩٧هـ الموافق لعام ١٨٧٩، حيث تمكن من تحريرها وضمها إلى ملكه،
عام ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣م دون حدوث معارك عسكرية كبيرة، وتم
رحيل القوات العثمانية دون أسلحتها إلى البحرين، وكان هذا العمل دافعا
لبريطانيا لكي تنتبه لقوة عبد العزيز خاصة بعد أن وصلت قواته إلى ساحل
الخليج، ومن ثم سعت إلى الإتصال به، ذلك الإتصال الذي انتهى بعقد
معاهدة العقير بين الطرفين عام ١٣٣٤هـ الموافق لعام ١٩١٥م.

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م كان عبد العزيز
سلطانا على نجد والأحساء بينما كان ابن الرشيد ما يزال يسيطر على جبل
شمر، والأشراف يسيطرون على الحجاز وتخضع عسير للأدارة التي يعترفون
بالسيادة العثمانية، وبعد انتهاء الحرب نظر عبد العزيز بن سعود فوجد نفسه
محاصورا بين قوتين الأشراف في الحجاز المواليين لبريطانيا والمسلحين بأسلحة
حديثة، وابن رشيد في جبل شمر الذي غنم كثيرا من السلاح والمال من
الدولة العثمانية لقاء مساعدته لها في حروبها ضد الانجليز، وكان عليه أن
يتخلص من الخطرين ضد سلطنته.

كان أول صدام بين عبد العزيز وأشراف الحجاز هو ما عرف بموقعة
«تربة» التي واجهت قوات الشريف حسين بعد اغتداءاتها منذ عام
١٣٣٦هـ الموافق لعام ١٩١٧م على بعض البلاد الواقعة على مشارف نجد
والمجاورة للحجاز، وقد استطاعت قوة سعودية في ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ الموافق
٢٥ مايو ١٩١٩م من هزيمة جيش الشريف واسترداد «تربة» وضمها إلى
سلطنة نجد. ولم يمض وقت على هذه الواقعة حتى حدث صدام مسلح مع
الكويت بسبب تحالف الكويت مع ابن الرشيد سرعان ما انتهى بتولي

(١٣) أحمد عه: المرجع السابق ص ٥٨.

الشيخ أحمد جابر الصباح الحكم في الكويت، وعادت العلاقات صافية بين آل سعود والكويت.

وفي عام ١٣٣٩ هـ الموافق لعام ١٩٢١ م قرر مؤتمر علماء وزعماء نجد مع كبار الأسرة السعودية المنادة بعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطاناً على نجد وملحقاتها، وأن يتمتع بهذا اللقب كل من يخلفه من ذريته، ومن ثم اتجه السلطان عبد العزيز لتحرير جبل شمر وضمه إلى السلطنة، وبالفعل شهد نفس العام استسلام آل رشيد بعد حصار «حائل» عاصمة ملكهم وعاملهم عبد العزيز المعاملة الكريمة المنتظرة من عربى شهم.

وبعد عدة شهور احتلت القوات السعودية «خير» ووادي السرحان والجوف، كما حدثت صدامات قبلية على الحدود السعودية العراقية، وهنا حدث التوتر بين آل سعود والحكم الهاشمي في كل من الأردن والعراق والحجاز، وحاولت بريطانيا حل الخلافات وإنهاء التوتر القائم فتم عقد مؤتمر في «العقير» وآخر في الكويت ولكن دون نتيجة، ومن ثم عقد المؤتمر الذي حضره كبار رجال الدين وشيوخ القبائل برئاسة الإمام عبد الرحمن والسلطان عبد العزيز إلى إقرار تحرير الحجاز من حكم الأشراف.

وقد بدأت تلك العملية بتحرير مدينة الطائف عام ١٣٤٣ هـ الموافق لعام ١٩٢٤ م، ونتج عن ذلك المنادة بعلنى ابن الشريف حسين ملكاً على الحجاز ومغادرة الشريف حسين إلى العقبة، ومن ثم اتجه عبد العزيز إلى أهل الحجاز يخاطبهم قبل أن يأمر قواته بدخول مكة فأخلاها الملك على يوم ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ، فدخلها النجديون يوم ١٧ ربيع الأول ثم اتجهت القوات السعودية إلى جدة وحاصرتها حتى تركها الملك على ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥ م، وكانت المدينة المنورة قد سلمت دون قتال في ١٩ جمادى الأولى من نفس العام (١٤).

وبالنسبة لمنطقة عسير فقد تم توقيع إتفاق بين عبد العزيز بن سعود وأمير الادارسة بعسير عام ١٣٣٨ هـ الموافق لعام ١٩٢٠ م يضع عسير تحت الحماية

السعودية ، ولكن إمام اليمن انتهز فرصة إنشغال عبد العزيز بالحرب مع أشراف الحجاز وعمل على ضم نجران لتشكيل منطقة حراما بين اليمن والسعودية ، ولكن عبد العزيز أرسل قواته إلى عسير حيث ضمها وأجلت اليمن عن نجران ، واستمرت العلاقات اليمنية السعودية متوترة حتى تم التوقيع على إتفاقية للصلح بين الطرفين عام ١٣٥٣ هـ الموافق لعام ١٩٣٤ م .

وهكذا توحدت شبة الجزيرة العربية امتدادا من الخليج العربى شرقا إلى البحر الأحمر غربا تحت حكم السلطان عبد العزيز الذى كان لقبه سلطان نجد وملحقاتها حتى استخلص الحجاز فأصبح اللقب ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، حيث نودى بهذا اللقب فى يناير عام ١٩٢٦ م ، ثم أصبح الاسم الرسمى للبلاد عام ١٩٣٢ م المملكة العربية السعودية .

ثانياً: البناء الداخلى:

وضع الملك عبد العزيز أسس بناء الدولة منذ اليوم الأول ، وهى الأسس التى مازالت مرعية فى عهد أبنائه ، وأهم هذه الأسس هى :-
أ- عقيدة التوحيد الإسلامية :

تلك التى دعا إليها محمد بن عبد الوهاب ، منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز: يسموننا بالوهابيين ويسمون مذهبنا بالوهابى باعتباره مذهب خاص ، وهو خطأ فاحش ، نشأ عن الدعايات الكاذبة التى يبثها أهل الأغراض .. نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد .. فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح (١٥) .

ومن كلمات الملك عبد العزيز أيضا فى التمسك بعقيدة التوحيد: إني لأفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وهى على خالتها من الكفر والضلال .

(١٥) غير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ١٢٦ .

اللهم إنك تعلم أنى أحب من تحب وأبغض من تبغض . إننا لا نهمنا
الأساء ولا الألقاب ، وإنما يهمنا القيام بحق واجب ، كلمة التوحيد (١٦) .

ب- تطبيق الشريعة الإسلامية :

آمن الملك عبد العزيز بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاما للحياة ، وأن
التمسك بالإسلام يعصم الأمن والأستقرار ، ولم يخف الملك عبد العزيز من
نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من قوى الظلم والفساد
فى الأرض ، والملك عبد العزيز رجل من سيرته بأنه يحب للعدل مقيم له ،
كاره للفساد ومقاوم له (١٧) .

ولذلك نجد الملك عبد العزيز يعلن عند بدء مرحلة التنظيم الداخلى أن
مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله (القرآن الكريم) ، وما
جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ما أقره علماء الإسلام الأعلام
بطريق القياس ، أو أجمعوا عليه مما ليس فى كتاب ولا سنة ، فلا يحل فى هذه
الديار غير ما أحله الله ، ولا يحرم فيها غير ما حرمه (١٨) .

وقد طبق الملك عبد العزيز ما قاله فعلا وذلك فى جميع مجالاتها مثل :-

- ١- إقامة الصلاة جماعة وتفقد المتخلفين عنها ومعاقبتهم حسب الحال .
- ٢- جباية الزكاة وصرفها فى مصارفها التى أمر الله بها .
- ٣- صيام شهر رمضان ، ومنع أى مظاهر تتنافى مع طبيعة هذا الركن
العظيم من أركان الإسلام .
- ٤- أداء فريضة الحج وإلزام الناس بها إذا كانوا مستطيعين .
- ٥- إقامة العدل ، والعدل أساس الملك .
- ٦- الشورى حيث أنشأ فى عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م مجلس الشورى
وأدخلت على نظامه عدة تعديلات حسب مقتضيات الحاجة (١٩) .

(١٦) د. عبدالله بن عبد الحسن التركى : الملك عبدالعزيز- المنهج القومى فى الفكر والعمل ،
ص ٦٢ .

(١٧) حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين - الطبعة الخامسة القاهرة ١٣٨٧هـ /
١٩٦٧م ص ٢٧٠ .

(١٨) نفس المرجع ص ٢٧١ .

(١٩) فؤاد حزة : البلاد العربية السعودية ص ١٠٣ .

٧- تطبيق الحدود مثل القصاص في القتلى، وقطع يد السارق، وحد قطاع الطريق، وحد الزانى، وحدود التعزير وغير ذلك.

٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد عين لهذا الغرض هيئات من المحسبين يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن كل منكر (٢٠).

ج- الحفاظ على الأمجاد:

عندما بدأ الملك عبد العزيز خطواته الأولى لتوحيد هذه البلاد كان نصب عينيه تاريخ حكم ضربت جذوره في أعماق التاريخ، وإرث من المجد تمثل فيما حققه أسلافه من آل سعود من وحدة لهذه البلاد في ظل دولة تؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنها للحكم وتنتشر العقيدة الإسلامية الصافية وتدافع عنها.

ولكن نتيجة التنافس على الحكم والضعف والتفريط من البعض ضاع المجد الذى صنعه الأولون حينما خلف من بعد الأمجاد العظام خلف عجزوا عن الحفاظ على ما تركه الأولون سواء كان ما تركوه أرضاً أم مهابة أم وحدة (٢١).

د- الحكم والإدارة:

وفي البناء الداخلى وضع الملك عبد العزيز نظاما متكاملا في النواحي السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية والثقافية للنهوض بالبلاد وتقوية وحدتها وكانت إنجازات الملك عبدالعزيز في هذه النواحي على النحو الآتى :-

١- الناحية السياسية:

وتمثلت في النظام الملكى الوراثى. ومن ثم أنعقد مجلسا الوكلاء والشورى وأبرما قرارا في ١٦ محرم ١٣٥٢ هـ الموافق ١١ مايو ١٩٣٣ م بمبايعة

(٢٠) د. عبد الله بن يوسف الشبل: صفحة من تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بحث ألقى في مؤتمر العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبد العزيز.

(٢١) د. عبد الله التركى: المرجع السابق ص ١٠٢.

أكبر أبناء الملك عبد العزيز الأمير سعود وليا للعهد (٢٢). ويتوالى أبناء الملك عبد العزيز في حكم المملكة الأكبر فالذى يليه وهكذا.

ومن الملاحظ أنه في المراحل الأولى لقيام المملكة العربية السعودية (عام ١٩٣٢م) كان الملك عبد العزيز وحده هو كل السلطة التنفيذية، فلما تقدم المجتمع قليلا وبدأت حاجاته تتوسع أنشئت وزارة المالية وألحق بها عدد كبير من مديريات الدولة، ولم يستقل عنها إلا الشعبة السياسية التي تطورت فيما بعد لتصبح وزارة الخارجية السعودية، فلما زاد تطور المجتمع السعودي تطور نظام الحكم وجهازه فاختار الملك عبد العزيز وزراء ومستشارين حتى أصبح للمملكة مجلس وزراء ينعقد بصورة دورية. ومعظم الوزراء من أبناء العائلات الشعبية (٢٣).

كما كان للمملكة مجلس للشورى بدأ العمل في بداية عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م صدرت له قواعد سميت «التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية» وضع على رأس الأمر فيصل بن عبد العزيز، وقد تطور هذا المجلس سواء بالنسبة لزيادة عدد أعضائه أو إتساع سلطاته.

وكان إنشاء الجيش السعودي متمشيا مع التطور الذى عاشته البلاد السعودية فقد كان الجيش الذى اعتمد عليه الملك عبد العزيز في توحيد المملكة يتكون من حاضرة أهل نجد وجيش الإخوان الذى كان من القبائل البدوية الرحالة التى وضع لها نظام «الهجرة» وأنزلها من البادية إلى الحاضرة، وأصبحت هجرها كتكتات عسكرية.

وفي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م أمر الملك عبد العزيز بتكوين إدارة للأمور العسكرية بدأت بإنشاء الجيش النظامى. وتكونت أفواج المدفعية والرشاش والمشاة، إلى جانب قوات الجهاد وقوات الإخوان، ثم تطورت بعد خمس سنوات لتصبح: سلاح المشاة، وسلاح المدفعية، وسلاح الفرسان، ونظم الجيش على أساس كتائب والوية تخضع لوکالة الدفاع ومقرها الطائف،

(٢٢) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ١٥٨.

(٢٣) أبحاث: المرجع السابق ص ٢٢١.

وبعد خمس سنوات ألغيت مديرية الأمور العسكرية التي أنشئت عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م وحلت محلها «رياسة الأركان الحربية» التي تطورت لتصبح وزارة الدفاع في أول ربيع الآخر ١٣٦٥هـ الموافق ٦ مارس ١٩٤٦م وكان الأمير منصور بن عبدالعزيز أول وزير لها.

ومن الأمور الجديدة بالملاحظة أن فرقة من الجيش السعودي اشتركت في حرب فلسطين عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩م حتى عقدت الهدنة فأمر الملك عبدالعزيز ببقاء هذه الفرقة مؤقتا في مصر. حيث أدخل عدد من ضباطها وضباط الصف وجنودها مدارس الجيش المصري في مختلف فروع الأسلحة للتدريب والتمرين نظريا وعمليا^(٢٤) إلى جانب بعض الطيارين السعوديين الذين أوفدوا إلى مصر للتدريب حتى قامت الحرب العالمية الثانية فعادوا إلى بلادهم.

٢- الناحية الاقتصادية:

اهتم الملك عبد العزيز ببناء إقتصاد البلاد السعودية على أسس جديدة، حيث أن موارد البلاد كانت ضعيفة وقاصرة على الرعى وقليل من الزراعة البدائية والتجارة التقليدية مع بعض الحرف اليدوية، ومن ثم اهتم بتطوير الزراعة وإنعاش التجارة بتأمين الطرق وتشجيع عملية التسويق بين الحواضر والبادية إلى جانب الثروة البترولية.

ففى مجال الزراعة أهتم الملك عبد العزيز باستيراد ماكينات الري من الولايات المتحدة الأمريكية لإستخراج المياه من الآبار العميقة لزيادة مساحة الأراضي القابلة للزراعة وهى كثيرة، وعدم الإكتفاء بالإعتماد على مياه الأمطار فى الزراعة. وكانت نتيجة مجهودات الملك عبد العزيز فى مجال الزراعة إنشاء وزارة للزراعة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م^(٢٥).

وفى مجال التجارة اهتم الملك عبد العزيز بتعبيد الطرق التى تربط أنحاء المملكة حتى يسهل نقل السلع والأشخاص، إلى جانب التوسع فى إستخراج

(٢٤) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢٥) أحمد عه: المرجع السابق ص ٤٣٨.

المعادن وخاصة الذهب وتسويق منتجات البلاد مثل التمور المتنوعة المشهورة بها البلاد السعودية.

وكان إنتاج البترول في المملكة العربية السعودية منذ وافق عبد العزيز على منح هولمز ممثل الرابطة الشرقية العامة إمتياز البحث عن المعادن في الأحساء مقابل إيجار سنوى قدره ألفى جنيه، وذلك في ٦ مايو عام ١٩٢٣ م. وفي ١٧ مايو ١٩٢٤ م منح الرابطة إمتياز للبحث عن البترول في نصيب السعودية من المنطقة المحايطة بين الكويت والسعودية، وعام ١٩٢٢ م تم التوقيع على إتفاق مع شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا الأمريكية للبتقيب عن البترول في الاحساء. وقد بدأت الشركة الأمريكية في البحث عن البترول في منطقة الامتياز عام ١٩٣٤ م، وتم الإنتاج بكميات تجارية في مارس عام ١٩٣٨ م، في بئر الدمام رقم ٧ الذى أصبح يمثل أكبر بئر بترولى منتج في المنطقة العربية، وهذا يعتبر أول إنتاج بترولى كبير في المنطقة العربية قد تم بعد حوالى خمس سنوات منذ التوقيع على عقد الامتياز (٢٦).

وعندما تم العثور على النفط بكميات تجارية عام ١٩٣٨ م مدت الشركة خط أنابيب لنقل البترول من «الدمام» إلى ميناء «الخبر» لشحن النفط إلى البحرين حتى تكرريره هناك، كما أنشئ في «رأس تنورة» عام ١٩٣٩ م ميناء أحتفل بافتتاحه في أول مايو من هذا العام بحضور الملك عبد العزيز وبعض أمراء الأسرة السعودية إلى جانب ممثلى شركة النفط (٢٧). وفي ديسمبر ١٩٤٦ م تم التوصل إلى إتفاق لإنشاء خط أنابيب سعة ٣٠ و ٣١ بوصة إلى البحر المتوسط بتمويل من شركات البترول الأمريكية الأربع وهى: ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا، وشركة تكساس أويل، وشركة ستاندارد أويل أوف نيوجيرسى، وشركة سوكونى مويل، وأنتهت عملية الإنشاء في سبتمبر ١٩٥٠، وبدأ شحن أول ناقلة بترول من نفط الأنابيب عند نهايته بمدينة صيدا بلبنان في ٢ ديسمبر ١٩٥٠ م. وتكونت

(٢٦) Hamilton, ch.w.: Americans and Oil in the Middle East, R 148.

(٢٧) حافظ وهبة: المرجع السابق ص ١٣٨.

شركة بإسم المشروع عرفت بشركة التابلين، ويعتبر هذا الخط أضخم وأطول خط لأثنايب البترول في العالم (٢٨).

من الناحية الاجتماعية:

نجح الملك عبد العزيز في تحويل مجتمع شبه الجزيرة العربية من مجتمع قبلى إلى دولة، وتحويل ابن العشيرة إلى مواطن، وقد استخدم الملك عبد العزيز في ذلك ماعرف بنظام «الهجر» والذي يقوم على أنه حيثما وجد الماء في قلب الجزيرة العربية كان على أقرب قبيلة بدوية منه أن تهجر بيوت الشعر وأن تبنى إلى جوار الماء وتقتنى الماشية وتزرع وتحضر وتستقر، ولها من بيت المال المساعدة على البناء وعلى الزراعة ومصيرها أن تتحضر. وقد بلغ عدد الهجر في أيام عبد العزيز ١٥٣ هجرة (٢٩). وقد فتحت مدرسة في كل «هجرة» من «هجر» البادية لأن أهالي «الهجر» إستقروا فيها، كما يقيد أبناء البوادي من مدارس القرى القريبة من مضاربهم، كما تقدم لهم خدمات صحية (٣٠).

الناحية الثقافية:

اهتم الملك عبد العزيز بالتعليم الحديث بالمملكة، فأثناء في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م إدارة حكومية للتعليم سميت «إدارة المعارف العامة» مرتبطة بالنائب العام «الأمير فيصل بن عبد العزيز» يصرف أعمالها مدير عام ومعاون مدير، وكانت أول أعمالها إنشاء «المعهد العلمى السعودى» بمكة لإعداد المعلمين لمرحلتى التعليم الأولى والإبتدائى، وتم إرسال أول بعثة من الطلاب إلى الخارج عام ١٩٤٦هـ/ ١٩٢٧م. كما تم إنشاء مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ووضع لها منج خاص إستمد من منهج الدراسة المصرية بحيث تكفى شهادتها لدخول حامليها في المعاهد العليا وكليات الجامعة في مصر وغيرها (٣١).

(٢٨) محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود ص ١٨٧.

(٢٩) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٧٠.

(٣٠) أحمد عه: المرجع السابق ص ٥٣١.

(٣١) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ١٧١.

هذا إلى جانب مدارس خاصة أنشأها بعض وجهاء البلاد كتعليم أهلى قبل وأثناء حكم الملك عبدالعزيز، وكانت هناك مدارس لأبناء الأسرة السعودية، إلى جانب مدارس أبناء العشائر.

وفي الحقيقة فإن الملك عبدالعزيز واجه صعوبات كثيرة في إنشاء التعليم الحديث منها قلة الإمكانيات المادية وجود تفكير بعض العلماء، ولولا ثباته في وجه دعاة التعصب والجمود لفشلت جهوده في نشر التعليم بالبلاد السعودية، وإن تاريخ المدرسة الحديثة في البلاد السعودية يبتدىء منذ أن قرر إفتتاح أول مدرسة ابتدائية حديثة في الحجاز، ومن يوم أن أدخل مبادئ التعليم الحديثة واللغات الأجنبية والرسم في صلب برامج هذه الدراسة (٣٢).

وقد بلغ عدد المدارس في المملكة العربية السعودية حتى وفاة الملك عبدالعزيز في ١٦ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٥٣ م ٤٣ مدرسة ابتدائية وأربع مدارس ثانوية ومدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمى السعودى .

وفي الثامن عشر من ربيع الثانى ١٣٧٣ هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٩٥٣ م صدر ٣٣ مرسوم ملكى يقضى بتأسيس وزارة المعارف، وتعيين الأمير فهد بن عبدالعزيز وزيراً لها، وكانت شئون التعليم منوطة قبل ذلك بمديرية المعارف تتبع نائب جلالة الملك في الحجاز. وجاء في قرار إنشاء وزارة المعارف مانصه: أمور المعارف العمومية هى عبارة عن نشر العلوم والمعارف والصناعات، وافتتاح المكاتب والمدارس والمعاهد العلمية مع فرط الدقة بأصول الدين الحنيف (٣٤).

ثالثاً: السياسة الخارجية:

للملك عبد العزيز منهج واضح في السياسة الخاتجية المملكة العربية السعودية يقوم على الأسس الآتية:

(٣٢) أحد عه: المرجع السابق ص ٥٣٨.

(٣٣) هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الذى تولى الملك في ٢١ شعبان

١٤٠٣ هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢ م.

(٣٤) عهى الدين القاسى: فهد في صبور - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

- ١- النظام الداخلى معيار التعامل الخارجى، وأن السياسة الخارجية إنعكاس للسياسة الداخلية.
- ٢- الوضوح وعدم الغموض، فإن الملك عبد العزيز مطبوع على الصراحة والوضوح فى أعماله ولا تشمل نفسه على جانب من جوانب الغموض.
- ٣- كرامة العرب واتحادهم، وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز: أنا عربى وأحب عز قومى والتآليف بينهم وتوحيد كلمتهم، وأبذل فى ذلك بجهوداتى ولا أثنأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم.
- ٤- عزة المسلمين وتضامنهم: فقد ذكر الملك عبد العزيز.. يجب على المسلمين أن يحذروا التفرقة وأن يصلحوا ذات بينهم ويبدلوا النصيحة.
- ٥- الندية لا الهيمنة: حيث يتول الملك عبد العزيز: إننا لانرمى من وراء ذلك إلى التحكم فى الناس..
- ٦- الدبلوماسية الوقائية: وهى فى مفهوم الملك عبد العزيز كبت دواعى الاستفزاز التى قد تشغله عن البناء والنهضة وتحاول الإضرار بسمعة بلاده فى المستوى العالمى (٣٥).
- ٧- الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: حيث يذكر الملك عبد العزيز: أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ونشره بين أقوام.. أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هى: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين.
- ٨- إعداد القوة، حيث يقول: إن جنود التوحيد وإخوان من أطاع الله.. وأن هذه القوة هى موقوفة لتأييد الشريعة ونصرة الإسلام فى الديار التى ولأئسى الله أمرها أعادى من عادى الله وسوله وأصالح من لا يعادينا ومن لا يناوئنا بسوء.
- ٩- التعاون الدولى: وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز: ليس هنالك ما يضر العرب إن هم أخذوا من الأوروبيين ما يفيدهم ويلائمهم. آن الآوان لأن يتعلم العرب الإقتصاد ويسيروا فى حياتهم على قواعده.

(٣٥) د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: المرجع السابق ص ٥٦-٥٩.

١٠- الحفاظ على الإسلام والأمن الدوليين : حيث ذكر الملك عبد العزيز :
إنى جعلت سنتى ومبدئى ألا أبدأ أحدا بالعدوان ، بل أصبر عليه
وأطيل الصبر على من بدأنى بالعداء ، وأدفع بالحسنى ما وجدت لها
مكانا (٣٦).

وعلى هذا المنهج كانت علاقات الملك عبد العزيز بالأقطار العربية
والإسلامية تستهدف المصلحة العربية ، فقد أبرم عدة معاهدات للصداقة
وحسن الجوار مع كل من تركيا وإيران عام ١٩٢٩م ، ومع العراق الملكى
عام ١٩٣٠م ، ومع شرق الأردن عام ١٩٣٣م ، ومع اليمن عام ١٩٣٤م ، ثم
مع مصر عام ١٩٣٦م (٣٧).

كما كان للملك عبد العزيز مواقف تأييد من القضايا العربية مثل قضية
عرب فلسطين في مواجهة المؤامرات الصهيونية وسماح بريطانيا بالهجرة
اليهودية إلى فلسطين ، وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية للأطماع الصهيونية
ومثل تأييد ثورات الشعب السورى ضد الاحتلال الفرنسى لتحقيق المطالب
العربية المشروعة ، إلى جانب تأييد مصر في كفاح شعبها ضد الوجود
البريطانى في أرضها . وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز : يهنا أمر إخواننا
السوريين ، وأمر إخواننا الفلسطينيين ، وأمر إخواننا العراقيين ، وإخواننا
المصريين .. تهنا حالهم وهما أمرهم ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه
ذلك ذل أوخذلان لأننا مانرى إلا أنهم منا ونحن منهم ، كما تهنا جميع
بلاد المسلمين ، إننى أخاطب إخواننا في مصر ، والعراق ، وسورية ،
وفلسطين ، فأقول لهم إن المصلحة واحدة والنفوس واحدة (٣٨).

وبحكم أهمية العلاقات المصرية السعودية ، فإننا نفرّد لهذه العلاقات
صفحات منفردة ، فلقد زار الملك عبد العزيز مصر مرتين الأولى قابل خلالها
الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت في البحيرات المرة وقابل مستر ونستون

(٣٦) المرجع السابق ص ٦١-٦٢.

(٣٧) د. رأفت غنيمى الشيخ : العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٨٣

ص ١١٧.

(٣٨) خير الدين الزركلى : المرجع السابق ص ٢٥٠.

تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بالقيوم في شهر فبراير ١٩٤٥ م، والمرة الثانية زيارة رسمية لمصر في يناير عام ١٩٤٦ م.

ولندع الملك عبد العزيز يتحدث عن زيارته لمصر بقوله :

«أحمد الله إذ أعود إليكم من بلاد هي بلادى وبلادكم، مصر العزيزة بعد أن لاقيت فيها من جلالة الملك المعظم فاروق وحكومته وشعبه في كل شبر مشيت فيه من أرض الكنانة من الحفاوة والإكرام ما يحيط به الوصف، ولا يفى بحق وافر الشكر (٣٩).

«وما كنا لننسى مصر الكريمة، وصلاتها بشقيقتها العربية السعودية، فكان من حظ البلدين توثيق الروابط بينها وتوحيد جهودهما في سياستها، وإقامة التعاون بينها على أثبت الدعائم.

«وإنه لمن سعد الطالع لنا جميعاً أن الشعور العربى المشترك بيننا هو شعور عام اشتراكنا فيه مع إخواننا ملك العرب وأمرائهم ورؤسائهم، كما إشتراك معنا في شعورنا كل مسلم وكل عربى، وما جامعة الدول العربية التى أسست في عاصمة مصر بفضل الله ثم بفضل جهود إخواننا ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم إلا أثر لهذه الروح العربية، التى تربط بيننا وتوَلِّف بين قلوبنا جميعاً.

«كلانا والحمد لله موقن بأن القوة في وحدة الكلمة، وأن الأخ درع أخيه، وأن تأخينا من شأنه أن يوثق العرى بين شعوبنا، وما شك أحدنا في أن مصلحة البلدين تقضى بوحدة اتجاهها السياسى، ووحدة السبيل الذى يسلكانه في مناهجها الدولى.. ذلك مبدؤنا، ومبدأ شعبنا يتوارثه الأبناء عن الآباء، يبقى إن شاء الله على وجه الدهر بهذه الروح.

«إن الصلات التى تربط بين شعبينا قد وثقها الله وأيدها التعاون في سبيل تحقيق مجد العروبة».

«ومن فضل الله علينا جميعاً أن كانت كلمتنا في هذه الزيارة والتى

(٣٩) دكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى: منحه الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السعودية المصرية بحث مقدم إلى ندوة العلاقات المصرية السعودية ص ٣٣.

قبلها مجتمعة على مواصلة جهودها في سبيل تأييد جامعة الدول العربية ، وبذل كل مرتخص وغال في تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة بالقلب والروح لما فيه الخير لدول الجامعة ماحيينا ، وسنورثها بيننا ، حتى يظل العربي يشعر في كل موطن يمر به من بلاد العرب أنه يسير في موطنه ، ويعتز به في وطنه وبلاده» .

«إن جيش مصر وحضارتها جند للعرب وركن من أركان حضارتهم» (٤٠) .

وقد أذاع الملك فاروق ملك بيانا بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز لمصر في عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ، جاء فيه : في الوقت الذي يغادر فيه أخى صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود مملكته عائدا في رعاية الله إلى مملكته ، يطيب لى أن أوجه شكرى لكم ، فقد أكرمتونى في ضيفى بل ضيفكم إذا استقبلتموه بقلوبكم وأحطتموه بحبكم ، ليس أطيب عندى من أن أكرر شكرى لكم ، فقد أكرمتم في شخصى الملك عبد العزيز شخصى ، أكرمتم مصر والعروبة والإسلام (٤١) .

وكان الملك فاروق قد زار الملك عبد العزيز في بلاده واجتمعا معا فيما عرف بإسم إجتماع رضوى في يناير ١٩٤٥م ، واستغرقت الزيارة عشرة أيام وتعتبر هذه الزيارة - في رأى مجلة المصور المصرية - أحد الأحداث الهامة للتعفاهم العربى المأمول ، وأنه كانت الوحدة العربية قد تعرضت قبل الآن لكثير من الصعاب فإن هذا الإجتماع هو بشير خير بإجتماع كلمة العرب (٤٢) .

وقد جاءت هذه الزيارات الودية المتبادلة مستندة إلى ما بين البلدين من صلات أخوية في إطار العروبة والإسلام ، وقد دعمتها معاهدة عام ١٩٣٦م بين السعودية ومصر ، ومن ثم نسوق تفاصيل عقد هذه المعاهدة .

(٤٠) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٤١) نفس المرجع السابق ص ٦٤ .

(٤٢) عصام رفعت : الملك عبد العزيز آل سعود على ضفاف النيل - دراسة في العلاقات المصرية السعودية في إطار المناخ العربى والدولى ، بحث قدم لنادية العلاقات المصرية السعودية .

معاهدة عام ١٩٣٦

عندما أعلنت المملكة العربية السعودية في ٢٢ ديسمبر عام ١٩٣٢م تطلع عبد العزيز آل سعود إلى مصر الشقيقة الكبرى لكي تعلن إعترافها بالأسم الجديد بدولته. وكان الملك عبد العزيز عندما تم له إستكمال وحدة الدولة بضم الحجاز ثم عسير تفرغ لبناء الدولة ورسم علاقاتها مع الدول العربية والإسلامية، ففى المجال الداخلى إهتم بالتعليم والزراعة باستغلال المصادر المعدنية، وفى المجال الخارجى أبرم عدة معاهدات للصدقة وحسن الجوار مع كل من تركيا وإيران عام ١٩٢٩م، ومع العراق عام ١٩٣٠م ومع شرقى الأردن عام ١٩٣٣م، ومع اليمن عام ١٩٣٤م، ثم مع مصر عام ١٩٣٦م^(١٣).

جاء تطلع الملك عبد العزيز إلى مصر متفقا مع ما بين البلدين من أواصر الأخوة العربية الإسلامية ولذلك كان كثير ما يوصى رجاله بالحجاج المصريين قائلا: إخواننا سهلوا لهم ولا تكذبوا خواطرمهم. كما أنه رحب بتقوية العلاقات الاقتصادية بين مصر والسعودية حيث أستقبل الاقتصادى المصرى الكبير محمد طلعت حرب وناقش معه فكرة قيام مشروعات مشتركة بين مصر والسعودية مثل ربط ميناء السويس بميناء جدة بخط ملاحى بحرى. كما رحب الملك عبد العزيز بإعلان حزب الوفد المصرى بأن العلاقات الطيبة بين السعودية ومصر هى من مصلحة الطرفين. إلى جانب نشاط الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار التى تصدر فى القاهرة والتى قامت بدور إيجابى فى نشر مبادئ دعوة الإصلاح السلفى وتقوية العلاقات بين السعودية ومصر. بالإضافة إلى تعاطف على ماهر رئيس الوزراء الذى خلفه مصطفى النحاس عام ١٩٣٦م فى رئاسة الوزارة مع فكرة تقوية العلاقات المصرية السعودية، وهما اللذان شاركا فى ترسيخ قواعد الأخوة والصدقة بين القطرين الشقيقين حتى عقدت معاهدة عام ١٩٣٦م.

(١٣) د. رأفت الشيخ: العرب دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر.

كان عقد معاهدة عام ١٩٣٦ م (١٦ صفر عام ١٣٥٥ هـ الموافق ٧ مايو عام ١٩٣٦) توجهاً لروح الأخوة العربية والإسلامية بين القطرين الشقيقين، وقد شارك في وضعها حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك وكييل وزارة الخارجية السعودية، وحضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية المصرية (٤٤).

ويمكن استخلاص قوة العلاقات المصرية السعودية من مواد هذه المعاهدة على النحو التالي:—

أولاً: الحرص على الأخوة العربية الإسلامية بين القطرين الشقيقين، فقد جاء في ديباجة المعاهدة مانصه: الحمد لله الذي ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم بنعمته إخواناً... أما بعد فنحن عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، نظراً لأنه قد عقدت معاهدة صداقة بيننا وبين مجلس وزراء المملكة المصرية متولياً حقوق جلالة الملك مصر الدستورية لتثبيت العلاقات الودية بين البلدين وتوثيقها... ونظراً لما لدى المملكتين العربية السعودية والمصرية من خالص الرغبة في توثيق عرى الصداقة بينهما، قد إتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتها الودية.

ثانياً: حرص المملكة العربية السعودية على أن تعلن اعترافها الرسمي بالمملكة، وهذا الحرص مرجعه إلى تقدير المملكة لأهمية هذا الاعتراف من مصر بصفة خاصة باعتبارها الشقيقة العربية الكبرى ونظراً لمركزها الدولي، ولهذا نصت المادة الأولى من المعاهدة على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة ذات سيادة مستقلة إستقلالاً تاماً مطلقاً.

ثالثاً: تأكيد الأخوة وحسن الجوار بين مصر والسعودية فنصت المادة الثانية على أن يكون بين الحكومتين والشعبين سلام دائم وصداقة خالصة، وأن يتعهد الطرفان بالمحافظة على حسن العلاقات مع الطرف الآخر، وأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع إستعمال بلاده

(٤٤) وزارة الخارجية السعودية: مجموعة المعاهدات ص ٢٢٥ — ٢٣٠ وثيقة رقم ٤١.

قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الطرف الآخر. وهذا في رأي أول دلائل التضامن العربى المبكر بين قطرين عربيين.

رابعا: التأكيد على معاملة المصريين في الأراضى السعودية معاملة متميزة، إذ نصت المادة الرابعة على تعهد الحكومة السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج وإقامة الشعائر الدينية الإسلامية للمسلمين من رعايا مصر، وأن يتمتعوا أثناء إقامتهم في الحجاز بالأمن على أموالهم وأنفسهم وبالحرية الشخصية في الحدود الشرعية، وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف عليها لرعايا أولى الأمم بالترتيب.

خامسا: الحرص على استمرار العلاقات الأخوية في المستقبل، قد نصت المادة السادسة على تعهد من كلا الطرفين بالقيام في أقرب فرصة ممكنة بعد توقيع المعاهدة بمفاوضات ودية لحل المسائل المتعلقة بينهما ولتعقد اتفاقات جمركية وبريدية وملاحية وغير ذلك من الشؤون التى تهم بلديهما^(٤٥).

وفى هذا السياق جاء في المذكرات الملحقة بالمعاهدة ما يؤكد هذه المعاني الأخوية، فقد جاء بالمذكرة الثانية المقدمة من رئيس مجلس الوزراء المصرى مصطفى النحاس باشا المؤرخة في ٤ رمضان ١٣٥٥ هـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦ م، أن الحكومة المصرية تعتزم إستئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة منذ الحج القادم... وأن الكسوة سوف توضع على الكعبة بالأحتفال اللائق بكرامة المكان ومقام الجالس على عرش الحجاز، وأنه سيطرز على الكسوة إشاره إلى أنها أهديت إلى الكعبة المشرفة في عهد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

وجاء الرد السعودى على هذه المبادرة الأخوية المصرية في المذكرة الثالثة التى قدمها فؤاد حمزة بك والتى جاء بها موافقة حكومة المملكة العربية

(٤٥) وقع على المعاهدة كل من على ماهر رئيس وزراء مصر وفؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية.

السعودية على مذكرة مصطفى النحاس باشا بخصوص إستئناف إرسال الكسوة إلى الكعبة المشرفة، وأضافت المذكرة السعودية، بأن الهيئة (المصرية) المكلفة بنقل الكسوة (من مصر) ستقابل بأكبر حفاوة في جدة، كما أن الكسوة ستستقبل في مكة المكرمة أكرم إستقبال، وتوضع في مقرها بالاحتفال اللائق بمقام صاحب الهدية (ملك مصر).

وكان موضوع الجنسية بين المصريين والسعوديين محل إهتمام الطرفين، ومن ثم نصت المذكرة السادسة والأخيرة الملحقه بالمعاهدة والموجهة من مصطفى النحاس باشا إلى فؤاد حمزة بك على تحديد القواعد التى يتم التعامل بموجبها مع المصريين المقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية وخاصة الأراضى الحجازية عندما إنضمت هذه الأراضى إلى ملك آل سعود، كما يتم التعامل بموجبها مع العرب السعوديين من أبناء الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة الذين كانوا مقيمين بالأراضى المصرية عندما صدر قانون الجنسية المصرية.

وحددت المذكرة بأنه يمنح لكل من المصريين والسعوديين مهلة قدرها ستة أشهر لاختيار الجنسية المصرية أو العربية السعودية أى أصبح من حق المصريين المقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية حتى ضم بلاد الحجاز لملك آل سعود إختيار الجنسية السعودية، كما أصبح من حق السعوديين المقيمين بالأراضى المصرية عند صدور قانون الجنسية المصرية إختيار الجنسية المصرية.

وتضيف المذكرة إلى أنه سوف يجرى الاتفاق على الكشوف النهائية المتضمنة أسماء المصريين فى المملكة العربية السعودية، والعرب السعوديين فى المملكة المصرية فى خلال الثلاثة أشهر التالية للمهلة المشار إليها (وهى مهلة الستة أشهر)، وغنى عن البيان أن إعداد هذه الكشوف عملية تنظيمية إجرائية تسبق عملية الاختيار.

وحرصت المذكرة فى نفس الوقت على التأكيد بأنه لن يترقب على إختيار أحد المقيمين فى بلد الجنسية البلد الآخر أى مساس بحقه فى البقاء أوالأستقرار فى أراضى البلد الذى يقيم فيه. كما إختتمت المذكرة بتأكيد

آخر بأن المصريين أو العرب السعوديين الذين هبطوا أراضي البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة به باقون على جنسيتهم الأصلية .

وبالنسبة لعلاقات الملك عبد العزيز بالدول الأجنبية فقد قامت على الندية والإحترام المتبادل ، فنذ أن قامت الدولة السعودية في مرحلتها الثالثة على يد الملك عبد العزيز آل سعود أول القرن العشرين ، وهى تتخذ خطأ في السياسة الخارجية يقوم على عدم الدخول في حلبة المنافسات الدولية والحفاظ على بقاء البلاد في حالة من الإستقرار الداخلى يجعلها في موضع الإحترام من دول العالم ، والإستقرار في العلاقات الخارجية كذلك (٤٦) .

كان الإنجليز أول قوة أجنبية تتجه بأنظارها نحو شبه الجزيرة العربية وخاصة سواحلها الشرقية المطلة على الخليج وسواحلها الجنوبية المطلة على البحر العربى والمحيط الهندى ، وليس أدل على ذلك من أن القوات البحرية البريطانية قد وصلت إلى البحرين — فتمتاحت الخليج العربى — واحتلتها عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م . كنتيجة لسقوط الدولة السعودية الأولى في نجد وإنحسارها عن شواطئ الخليج (٤٧) .

وعندما طلب عبد العزيز بن سعود من الإنجليز عقد معاهدة معهم نصح مكتب الحاكم العام الإنجليزى في الهند حكومة لندن بإجابة مطلب عبد العزيز حتى لا تتهدد مصالح الإنجليزية ، وحتى تضمن إنجلترا صداقة عبد العزيز ومعاونته في إستقرار الأمور في منطقة الخليج (٤٨) . وكانت نتيجة تلك النصيحة عقدة معاهدة « دارين » أو العقير عام ١٩١٥م التى كانت أول معاهدة دولية أكد فيها عبد العزيز مركزه الدولى .

وإذا كان قد أخذ على هذه المعاهدة ما أخذ على المعاهدات بين الإنجليز ومشايخ الخليج من تكييل وتقييد لحرية التحركات السياسية والاقتصادية ، فإن الأمير عبد العزيز مالبث أن تخلص من هذه القيود في معاهدة جدة عام

(٤٦) د. رأفت غنيمى الشيخ : أمريكا والعلاقات الدولية ص ٢٤٣ .

(٤٧) أحمد عه : المرجع السابق ص ٣٣ .

(٤٨) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٢٣٨ .

١٩٢٧م التي نصت على إعتراف إنجلترا باستقلال سلطنة نجد وتوابعها والحجاز، وحق السلطنة في الأتصال بالدول الأخرى، وعقد الأتفاقات السياسية والاقتصادية معها دون الرجوع إلى إنجلترا، وذلك حسباً تملية مصلحة السلطنة العليا، بعد أن كانت معاهدة «دارين» لعام ١٩١٥م تحرم السلطنة من كل هذه الحقوق (٤٩).

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الدول الأجنبية إتصالا بالسعودية ومن ثم كانت العلاقات السعودية الأمريكية ومازالت قوية، ومن ثم فإننا نعطي هذه العلاقات ما تستحقه من إيضاح وتفصيل.

تميزت العلاقات الأمريكية السعودية على امتدادها بالإستقرار ولم تتعرض لأي تيارات متقلبة وذلك بسبب حرص كل طرف على دوام الأتصال بالطرف الآخر لتجاوز أي اختلافات في وجهات النظر قبل أن تتحول تلك الأختلافات إلى أزمات في العلاقة بين الدولتين.

ومن الأنصاف القول أن العلاقة بين الدولتين بدأت متأخرة قبيل الحرب العالمية الثانية، وذلك راجع إلى أن الولايات المتحدة كانت تتخذ حتى الحرب العالمية الثانية سياسة العزلة السياسية، كما أن المملكة العربية السعودية استغرقت حوالى ثلاثين سنة من ١٩٠٢م إلى ١٩٣٢م تحت زعامة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، منشغلة بالبناء الداخلى وتصفية القوى المعارضة لمشروعات الدولة السعودية الثالثة حتى تم إعلان المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.

ومن الأنصاف للحقيقة كذلك أن نشير إلى بعض الخدمات والأتصالات التي قام بها أمريكيون في شبه الجزيرة العربية، ومع الأسرة السعودية، والتي سبقت منح إمتيازات البترول في المملكة العربية السعودية إلى الشركات الأمريكية، تلك الخدمات التي تمثلت فيما عرف بالإرسالية العربية Arabian Mission التي اتخذت من البحرين ومسقط والبصرة مراكز لها لتقديم خدمات دينية وتعليمية وطبية، وقد تعلم

(٤٩) د. رأفت غنيمى الشيخ: في تاريخ العرب الحديث، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٢٥.

رجالها اللغات العربية كما أدركوا أسلوب التعامل مع حكام ومشايخ المنطقة ، وهو الأسلوب غير المباشر والتدريجي لاجتياز الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب (٥٠).

وكان النشاط الطبي للأرسالية العربية أكثر خدماتها تأثيرا في المواطنين العرب وأكثر جذبا لهم ، بل لقد استطاع أطباء وممرضوا الإرسالية أن ينالوا قدرا كبيرا من تقدير العرب وإعجابهم (٥١).

وقد استطاعت الإرسالية العربية عن طريق خدماتها الطبية أن تقيم علاقات طيبة مع عاهل السعودية عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومع غيره من أمراء شبه الجزيرة العربية ، وقد ذكر رجال الأرسالية صراحة بأنهم كانوا يمارسون تقديم الخدمات الطبية الأنسانية لكسب قلوب ومحبة العرب المسلمين ، وبذلك هيا هؤلاء الرجال جوا أفضل أمام رجال النفط الأمريكيين الذين تبعوهم فيما بعد (٥٢).

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب العالمية الأولى ولا حتى بعدها أهداف سياسية بالنسبة للمنطقة العربية عامة وشبه الجزيرة العربية خاصة ، وذلك لسببين : الأول سياسة العزلة التي فرضتها الولايات المتحدة على نفسها منذ تصريح الرئيس منرو عام ١٨٢٣م تلك العزلة التي تمسكت بها الولايات المتحدة لتتفرغ للبناء الداخلى اقتصاديا وسياسيا وتقدم حضاريا ، ولتتفرغ بالنفوذ عالم دول أمريكا اللاتينية ، والسبب الثانى أن المنطقة العربية وخاصة سواحل شبه الجزيرة العربية كانت مجالا للنفوذ البريطانى ، ولا ترغب الولايات المتحدة الدخول فى منافسة مع بريطانيا فى هذه المنطقة .

وانطلاقا من هذه الحقائق من هذه الحقائق اتخذت الولايات المتحدة على

The American Assembly, Columbia University: The United States and (٥٠)
the Middle East, p. 2.

The American Assembly, p. 15. 1: (٥١)

De Nova J.A.: American interests and policies in the Middle East, p. (٥٢)
356-357.

المستوى الرسمي سياسة ودية غير معقدة مع العرب (٥٣) الذين بدا لهم في بعض الأوقات — خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى ومن خلال نقاط الرئيس ويدرو ويلسون الأربعة عشر ومنها النقطة الثانية عشر الخاصة بحق تقرير المصير للشعوب التي كانت خاضعة للحكم التركي — أقول بدا للعرب أن حكومة الولايات المتحدة تتخذ مواقف عادلة في سياستها الخارجية وأقرب إلى تحقيق الأمنى العربية.

وكان للولايات المتحدة عند العرب إذن بريق، دولة كبرى ناصرت الحلفاء في الحرب حتى كتب لهم النصر، ونادى رئيسها بما فسر العرب تأييداً لحقوقهم، دولة ليست لها أطماع إستعمارية واضحة أمام العرب، بعكس الانجليز والفرنسيين الذين مارسوا سياسات القوة وفرض النفوذ على الأقطار العربية. فكانت خبرة العرب الأثيمة مع إنجلترا وفرنسا، وعدم وجود مثل هذه الخبرة بالنسبة للولايات المتحدة ما يفسر لنا مثلاً اتجاه العرب نحو الولايات المتحدة للحصول على تأييدها السياسى بل والسماح للمصالح الاقتصادية الأمريكية أن تتزايد في نشاطها بالأقطار العربية دون حساسيات أو خشية من إنقلاب هذه المصالح إلى احتلال عسكرى ونفوذ سياسى كالذى تم على يد الانجليز والفرنسيين وغيرهم من الأوربيين.

نستطيع أن نفهم إذن لماذا اتجهت الدولة السعودية في العشرينات من القرن العشرين إلى شركات البترول الأمريكية وأعطتها امتيازات التنقيب واستغلال البترول في أراضيها، بينما الشركات الإنجليزية والفرنسية قد حصلت على مثل هذه الامتيازات في أقطار عربية أخرى إلى جانب إيران وتركيا، كما يمكن لنا أن نرجع خطوة السعودية هذه إلى إطار تحركها السياسى منذ إنشاء الدولة الحديثة على يد الملك عبدالعزيز آل سعود ذلك الأطار الذى يتجنب الدخول في مغامرات عدائية ضد القوى الأجنبية المتواجدة في المنطقة مثل إنجلترا، وفي نفس الوقت يتجنب الارتباط معها براوِبط قوية تقيد من حركة السعودية في السيطرة الكاملة على أراضيها،

وبتعمير آخر إتباع أسلوب الاعتدال في العلاقات الدولية وتجنب كل ما من شأنه أن يؤثر سلبا لغير مصلحة السعودية والعرب عامة .

كما يمكن الإشارة أيضا إلى نشاط الخبراء الأمريكيين في مجال البحث عن المياه وفي الزراعة ، ذلك أن السلطان عبد العزيز استمع في أواخر العشرينات من القرن العشرين إلى نصيحة مستشارية باستدعاء خبراء مياه أمريكيين ، وجاء المهندسون الأمريكيون للمياه من الولايات المتحدة يستكشفون البلاد ويؤكدون صحة حدس البدو البديهي وعثروا على كميات غزيرة من المياه^(٥٤) . كما استخدم السلطان عبد العزيز مجموعة من الجيولوجيين الأمريكيين منذ عام ١٩٣١م في عمل مسح لأراضي نجد للبحث عن المعادن ولأراضي الحجاز عم المياه ، وكان مستر تويتشل Twitchell من هؤلاء الخبراء الذي سجل في تقرير قدمه للسلطان عبد العزيز قلة كميات المياه المتوقعة ، وأكد وجود معادن وخاصة الذهب في منجم «مهد الذهب» Mahad Dahab في عالية نجد ، وأن البترول من المحتمل توفره بكميات كبيرة ، وقد نجح تويتشل رام ١٩٣٤م في تكوين شركة انجليزية أمريكية هي (S.A.M. Saudi Arabian Mining syndicate) للعمل في منجم مهد الذهب^(٥٥) .

كما استقدم السلطان عبد العزيز بعد ذلك ونتيجة لثبوت توفير المياه ولحفر الكثير من الآبار في مناطق الأحساء ونجد والحجاز عددا من المهندسين الزراعيين من الولايات المتحدة وطلب منهم تقريرا شامل عن إمكانيات الزراعة في البلاد ، وقد قرر هؤلاء المهندسين أنه ليس هناك في الواقع حدود للأماكن الزراعية في شبه الجزيرة العربية^(٥٦) .

(٥٤) بنو إميشان ، ترجمة عبد الفتاح ياسين : عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة ،

ص ٢١٧ .

Y. De Nova, American interests.. p. 360.

(٥٥)

(٥٦) بنو إميشان : نفس المرجع ص ٢٢٠ .

وقد نجح «تويتشل» في جذب شركة Standard Oil of California الأمريكية للبحث عن البترول في السعودية ، فتقلّصت لتحل محل الشركة العامة والشرقية - الانجليزية الجنسية - وشركة Eastern Gulf Oil الأمريكية ، في امتياز البحث عن النفط في الأحساء وفي المنطقة المحاذية بين السعودية والكويت ، بعد أن شجعتها نتائج التنقيب عن البترول في البحرين ، ومن ثم نجحت شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» في الحصول على امتياز البحث عن البترول في الأحساء عام ١٩٣٣ م.

وقد نص اتفاق الامتياز المعقود بين الملك عبد العزيز وشركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» على امتداد أجل الاتفاق لمدة سنتين ستة في نهايتها تصبح منشآت الشركة ملكا للمملكة ، وأن تدفع الشركة عند التوقيع على الاتفاق ألفي جنيه ، ومبلغا مماثلا كل سنة إلى جانب أربعة شللات ذهب عن كل طن بترول خام يتم إستخراجه .

ويعتبر هذا الاتفاق اتجاها سياسيا الملك عبد العزيز بعيدا عن النفوذ البريطاني السائد في منطقة الخليج العربي بل في منطقة الشرق الأوسط . وقد أكد الملك هذا الاتجاه في قوله : إن الشركات الأمريكية تتمتع باستقلال كبير ازاء حكوماتها ، كما أن الولايات المتحدة بعيدة عن البلاد العربية ، وليست لها كالدول الأوروبية أهداف سياسية فيها ، ثم أن بعض المواطنين الأمريكيين أدوا لى حتى الآن خدمات لا تقدر ، وآمل أن يفحل هؤلاء مثل ذلك (٥٧) .

بدأت شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» عمليات التنقيب عن النفط في منطقة الامتياز عام ١٩٣٤ م في الدمام بالقرب من حقل الظهران الحالي ، وعثر على البترول في بئر الدمام رقم ٧ وهو الذى أنتج بكميات تجارية في مارس ١٩٣٨ م ، وأصبح يعقل أكبر بئر بترولى منتج في المنطقة .

(٥٧) بنو أميشان : المراجع السابق ص ٢٢٦ .

العربية، وهذا يعتبر أول إنتاج بترولى كبير في الأرض العربية (الأحساء) قد تم بعد حوالى خمس سنوات منذ التوقيع على عقد الامتياز (٥٨).

ومنذ عام ١٩٣٦م دخلت شركة «تكساس» Taxes الأمريكية للبترول في مفاوضات مع شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» من أجل المشاركة في الامتياز بالاحساء، وقد تم الاتفاق بين الشركتين في ديسمبر من هذا العام دفعت شركة تكساس بمقتضاه للشركة المالكة للامتياز (ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا) عمولة نقدية قدرها ثلاثة ملايين دولار، وتعهدت بدفع مبلغ إضافي قدره ١٨ مليون دولار من نصيبها من بترول السعودية وذلك من أجل أن يصبح لها نصف أسهم امتياز بترول المملكة العربية السعودية.

وكانت مشاركة شركة تكساس في امتياز بترول السعودية لمحصة الشركتين الأمريكيتين، ذلك أن شركة تكساس تعتبر إحدى الشركات الخمس التى تحتكر تقريبا صناعة النفط العالمية (٥٩)، كما إنها تمتلك أسواقا واسعة لتصريف البترول (٦٠)، ويانضمم شركة تكساس إلى شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» تغير إسم الشركة ليصبح: الشركة العربية الأمريكية للبترول (أرامكو) Arabian American (Ar.Am.Co) Oil Company وباشرت الشركة بتشكيلها الجديد نشاطها بحديثة، فاستوردت الأجهزة والآلات والخبراء الأجانب وبنت الطرق والموانئ ومعامل التكرير، واجتذبت شباب القبائل العربية السعودية إلى مراكز التدريب والعمل (٦١).

وعندما تم العثور على النفط بكميات تجارية عام ١٩٣٨م مدت الشركة خط أنابيب لنقل البترول من الدمام إلى ميناء «الخبر» لشحن النفط منه إلى البحرين حتى تم تكريره هناك، كما أنشئ في «رأس تنورة» عام

Ibid, p. 148.

(٥٨)

(٥٩) د. صلاح العقاد: الشرق العربي المعاصر ص ٥٧١.

Polk, W.: op. cit., 238.

(٦٠)

Ibid, p. 314.

(٦١)

١٩٣٩ م ميناء أحتفل بإفتتاحه في أول مايو من هذا العام بحضور الملك عبد العزيز وبعض الأمراء السعوديين إلى جانب ممثلى شركة النفط . وكان ذلك فرصة لكى تصل شركة «أرامكو» مع الحكومة السعودية إلى إتفاقية ملحقة بالامتياز الأول الذى حصلت أصلا عليه شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» . وفي نهاية الإتفاقية الملحقة التى عقدت عام ١٩٣٩ م، أمتدت الأجزاء الشمالية والجنوبية من منطقة الإمتياز الأولى حتى شملت المنطقتين المحايدتين اللتين تتقاسم فيها السعودية الحقوق بالتساوى مع العراق والكويت (٦٢)، كما تم تمديد أجل الإمتياز عشر سنوات أخرى فأصبح سبعين سنة مقابل ٤٠ ألف جنيه إلى جانب ٢٠ ألف جنيه إيجاراً سنوياً حتى يتم اكتشاف النفط بكميات تجارية فى المناطق الحديثة التى ضمت إلى الامتياز (٦٣).

وكان العثور على النفط فى السعودية بواسطة الشركات الأمريكية دافعاً للشركات البترولية العالمية لكى تتقدم بعروض سخية للملك عبد العزيز من أجل الحصول على امتيازات مماثلة، وكان من هذه الشركات شركات بريطانية وألمانية ويابانية، ولكن الملك رفض هذه العروض جميعا وفضل الإستمرار فى تعاقداته مع الشركات الأمريكية وحدها، تجنباً للصراع السياسى وتأثيره على التنمية الأقتصادية لبلاده (٦٤).

وقد أثار توسيع الامتياز لشركة «أرامكو» نزاعاً إقليمياً حاداً بين السعودية من ناحية وامارات قطر وساحل عمان من ناحية أخرى حول الحدود وامتداد نشاط الشركات الأمريكية إلى أراضى اعتبرتها الحكومة البريطانية جزءاً من أراضى المشيخات التى لبريطانيا فيها نفوذ تقليدى بموجب معاهدات، ومن هنا إستمر الصراع بين الحكومة السعودية والشركات الأمريكية من ناحية وبين الحكومة البريطانية من ناحية أخرى، ولكن

(٦٢) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٦٣) د. جال زكريا: الخليج العربى ص ٤٨١.

(٦٤) L. enczowski, G.: The Middle East in World Affairs, p. 549.

إشتعال الحرب العالمية الثانية قد أوقفت كل شىء، وحتى عام ١٩٤٥م عندما أعيد إستخراج البترول من آبار النفط السعودية مرة أخرى.

وكانت الحكومة الأمريكية قد بدأت منذ عام ١٩٤٣م فى التفكير فى كيفية نقل بترول الخليج العربى والسعودية إلى البحر المتوسط دون تعرضه لهجمات معادية تصيب ناقلات البترول، وفى فبراير ١٩٤٤م تم التوصل إلى اتفاق بين المسئولين الحكوميين فى الولايات المتحدة ورؤساء شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» وشركة «تكساس» للبترول - مالكتا شركة البترول العربية الأمريكية - تتبنى فيه الحكومة الأمريكية بناء وامتلاك وإدارة نظام خطوط أنابيب لتسهيل نقل البترول الخام من نقطة بالقرب من الحقول البترولية التى تم إكتشافها آنذاك فى المملكة العربية السعودية والكويت، إلى ميناء على نهاية الساحل الشرقى للبحر المتوسط، وأن مثل هذا المشروع سوف يعطى للولايات المتحدة مركزا ممتازا فى الشرق الأوسط (٦٥).

ومع زيادة الأستثمارات الأمريكية فى مجال البترول زادت الاهتمامات الأمريكية الرسمية وبدأت الحكومة الأمريكية تأخذ مواقف فى النواحي السياسية فى علاقاتها بالمملكة العربية السعودية ومن ثم تطورت العلاقات بين الطرفين فى جو من الاحترام المتبادل من أجل ضمان واستقرار الأوضاع فى الجزيرة العربية والخليج العربى.

وانطلاقا من العلاقات الأمريكية السعودية القوية فى المجال الاقتصادى، سعت المملكة العربية السعودية إلى الحصول على قروض ومساعدات أمريكية فى الأوقات التى توقف فيها ضخ البترول - وهى سنوات الحرب العالمية الثانية - ونظرا لانحباس المطر وانخفاض رسوم الحج لقلة الحجاج بسبب الموقف الدولى.

فقد طلب الملك عبد العزيز من شركة «أرامكو» ومن الحكومتين الأمريكية والبريطانية عام ١٩٤٠م قرضا قيمته ٣٠ مليون دولار يتم تسديده على خمسة أقساط سنوية، وبعد تردد الشركة تتدخلت الحكومة الأمريكية

وطلبت من الحكومة البريطانية تقديم القسط الذى حل موعد سداده من القرض الأمريكى وقدره ٤٢٥ مليون دولار إلى المملكة العربية السعودية مباشرة، وقد مكن هذا المبلغ السعودية من تجنب الإفلاس وأدى إلى تقوية العلاقات بين السعودية والولايات المتحدة، والتى مالبت أن قدمت للسعودية معونات اقتصادية فى أبريل ١٩٤٣ م (٦٦).

وقد بعث الرئيس الأمريكى «روزفلت» إلى الملك عبد العزيز آل سعود يبلغه أن القرض الذى تقدمه بريطانيا ليس مصدره كرم الحكومة البريطانية وسخاؤها، وأن الولايات المتحدة يهملها تقوية علاقاتها مع السعودية بحيث يتاح للولايات المتحدة أن تقدم للسعودية المعدات وتقرضها الأموال دون وسيط (٦٧).

وجاء هذا الموقف الأمريكى بعد مشاورات بين المسؤولين الأمريكيين حسمت ببرقية وزير الخارجية الأمريكية المستر «هل» Hull إلى المستر «كيرك» Kirk الوزير المفوض الأمريكى فى القاهرة وجاء فيها : أن الرئيس الأمريكى روزفلت أعلن فى ١٨ فبراير ١٩٤٣ بأن الدفاع عن المملكة العربية السعودية حيوى بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة، وهذا جعل المملكة العربية السعودية مؤهلة لتلقى مساعدة من إدارة التأجير والإعارة (٦٨).

وتأسيسا على هذا الموقف الأمريكى حصلت المملكة العربية السعودية على معونات وقروض أمريكية فى السنوات التالية جاءت فى شكل أموال سائلة وفى شكل معدات عسكرية أو صورة خبرة فنية فى مجال الزراعة وفى مجال تعبيد الطرق بالمملكة، وكلها فى إطار الاستراتيجية الأمريكية التى أعلنها الرئيس روزفلت منذ عام ١٩٤٣ م.

Lenezowski, G.: op. cit., p. 551.

(٦٦)

U.S. Documents.

(٦٧) بنو إيشان : الربيع السابق ص ٢٥٤.

The Secretary of State to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, (٦٨) February 20, 1930, No. 890. F. 24-21 a: Telegram.

وقد بدأت العلاقات الاستراتيجية (السياسية والعسكرية) بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية عندما طلب الملك عبد العزيز من وزارة الخارجية الأمريكية اعترافا بدولته الجديدة عام ١٩٢٨م (سلطنة نجد ومملكة الحجاز)، وعن طريق السفير الأمريكي في لندن استفسرت وزارة الخارجية الأمريكية عما إذا كان الملك عبد العزيز مستعد لعقد إتفاقية صداقة وتجارة مع الولايات المتحدة، وعن القوانين التي تحكم القضاء الأهلي والتجاري والجنائي والأحوال الشخصية بالنسبة للأجانب، المعمول بها في المملكة. وعندما تلقت وزارة الخارجية الأمريكية إجابة مرضية اعترفت الولايات المتحدة بمحكومة الحجاز ونجد في مايو ١٩٣١م، ومن ثم دارت مفاوضات في لندن بين الطرفين حتى تم التوقيع على إتفاقية لتنظيم الأمور الدبلوماسية والقنصلية والتجارية والبحرية والقضائية وذلك في ٧ نوفمبر ١٩٣٣م (٦٩).

ومع ذلك فإنه لم يكن إلا في أول مايو ١٩٤٢م حتى أنشئت قنصلية أمريكية في جدة تعين لها ضابط يدعى «جيمس موسى» James Moose الذي يجيد استخدام اللغة العربية كأول قنصل أمريكي في السعودية، ثم ما لبثت القنصلية أن صارت مفوضية عام ١٩٤٣م ثم أصبحت سفارة في عام ١٩٤٩م، بينما تأسست قنصلية أمريكية في الظهران عام ١٩٤٤م.

وكان انشاء قاعدة الظهران مظهر آخر للعلاقات الأمريكية السعودية في المجال الاستراتيجي، وقد بدأت الاتصالات لانشاء هذه القاعدة منذ مارس ١٩٤٢م بين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والمملكة العربية السعودية، نظرا لحاجة الحلفاء إلى قاعدة كبيرة في منتصف الطريق إلى الشرق الأقصى لمتابعة الحرب ضد اليابان، وإلى تسهيلات جوية ومرور الطائرات في أجواء الأقطار الواقعة في طريق الوصول إلى الشرق الأقصى، فوقع اختيار الأمريكيين على الظهران قرب آبار النفط السعودية (٧٠).

De Nova, J.A.: op. cit., 362.

(٦٩)

(٧٠) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٣٧٧.

وكان هذا بداية للتفكير في إقامة قاعدة جوية بالظهران تحقق هدفين الأول حماية حقول البترول التي تمتلكها الشركات الأمريكية . والهدف الثانى تسهيل عمليات نقل المعدات والقوات الأمريكية إلى ميدان الشرق الأقصى للحرب ضد اليابان . ولكن فى هذا العام - ١٩٤٢م - لم تحصل الولايات الأمريكية من المملكة العربية السعودية أكثر من تسهيلات جوية تحلق الطائرات الأمريكية بمقتضاها فوق الأراضى السعودية من الغرب إلى الشرق أى من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربى فى خطين اثنين هما :-

- ١ - الخط الأول يبدأ من بلدة « البركة » الواقعة على ساحل البحر الأحمر مقابل المدينة المنورة ويمر ببل من بلدة « البرك » و « بيشة » و « سليل » و « الأفلاج » و « بحرة » « فاهفوف » حتى شمال « العقير » .
- ٢ - الخط الثانى من العقبة على البحر الأحمر إلى بلدة « الضبة » مارا بوادى السرحان فشمال « الجوف » ثم إلى الجنوب من « قريات » حتى وادى البصرة على الخليج العربى (٧١) .

وعقب الحرب العالمية الثانية عقدت إتفاقية بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية لإنشاء مطار عسكري - قاعدة جوية عسكرية - فى الظهران بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٥٤ هـ الموافق ٦ أغسطس ١٩٤٥ م ، وقد تم بناء القاعدة عام ١٩٤٦ م لتصبح أكبر قاعدة جوية أمريكية خارجية وأكثرها تجهيزات . وفى ١٨ يونيو ١٩٥١ م تم التوقيع فى جدة على إتفاقية دفاع تمتد لمدة خمسة أعوام بشأن تأجير قاعدة الظهران الجوية للولايات المتحدة ، وتدريب الجيش السعودى بواسطة خبراء أمريكيين ، وأن الأتفاقية تتجدد لمدة أخرى (٧٢) ، وقد وافق الملك سعود أثناء زيارته للولايات المتحدة أواخر عام ١٩٥٧ م على تجديد إتفاقية تأجير قاعدة الظهران لمدة خمس سنوات أخرى .

U.S. Documents, The Charge in Saudi Arabia (Moose) to the Secretary of State (Hull), Jidda, August 29, 1942, No. 890 F. 7962-27: Telegram.

Lenczowski, G.: op. cit., p. 554-555.

(٧٢)

وعلى الجانب السياسى فقد تعددت اللقاءات بين المسؤولين فى البلدين ، من ذلك زيارة الأمير فيصل والأمير خالد والشيخ حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز للولايات المتحدة خلال عام ١٩٤٣ م ، وعام ١٩٤٥ م ، وفى عام ١٩٤٧ م ، زار ولى العهد الأمير سعود بن عبد العزيز واشنطن وهناك استقبله الرئيس الأمريكى ترومان . كما تم تنظيم لقاء بين الملك عبد العزيز نفسه والرئيس الأمريكى روزفلت بينما كان فى طريقه عائدا من « يالتا » Yalta ، وتم اللقاء على ظهر سفينة حربية أمريكية بالبحيرات المرة وسط قناة السويس بمصر فى فبراير ١٩٤٥ م ، وفى هذا اللقاء تحدث الملك - الذى كانت هذه أول رحلة له خارج بلاده - عن حقوق العرب فى فلسطين وقد لقى من الرئيس الأمريكى تعاطفا وتفهما ، وتقديرا للموقف الأمريكى وللعلاقات بين الطرفين الودية أعلنت المملكة السعودية فى أول مارس ١٩٤٥ م الحرب ضد المانيا تضامنا مع الحلفاء ، وتلى ذلك أن اتخذ ممثل المملكة مكانه فى مؤتمر الأمم المتحدة التى عقد بمدينة « سان فرانسيسكو » ، وسمح للأسطول الأمريكى بعمل زيارة ودية لميناء الدمام السعودى (٧٣) .

وسارت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية العربية السعودية ودية ، ومن ثم نجد المملكة تستطلع رأى حكومة واشنطن حول مشروع الاتحاد العربى الذى عرضته مصر عام ١٩٤٣ م على الدول العربية المستقلة وهى إلى جانب مصر والسعودية ، اليمن والعراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن . وجاء الرأى الأمريكى مؤكدا أنه طالما اتخذت الأقطار المعنية قرارها الخاص ، فإنه يبدو لحكومة الولايات المتحدة أن الأحداث والمشكلات التى برزت خلال السنوات القليلة الماضية قد أظهرت أن أقطار الشرق الأدنى تحتاج إلى تعاون أكبر لتدعيم النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأن أولى خطوات الاتحاد بين الأقطار العربية يجب أن تضع فى الاعتبار الأخذ بهذه النواحي أولا (٧٤) .

Ibid, p. 553.

(٧٣)

U.S. Documents, The Acting Secretary of State to the Minister in (٧٤)
Egypt (Kirk), Washington, October 26, 1943, No. 890 B. 00/283:
Telegram.

أبناء عبد العزيز بن عبد الرحمن

توفى الملك عبد العزيز - رحمه الله - يوم ١٦ ربيع الأول عام ١٣٧٢ هـ الموافق ١٢ نوفمبر عام ١٩٥٣ م ليخلفه على عرش السعودية ولي عهده الأمير سعود بن عبد العزيز، وتوالى إخوته بعده حيث خلف فيصل بن عبد العزيز تلاه خالد بن عبد العزيز ثم فهد بن عبد العزيز، وفيما يلي صفحات موجزة عن إنجازات ملوك السعودية أبناء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن .

أولاً: الملك سعود بن عبد العزيز:

- تولى سعود الحكم في المملكة العربية السعودية في اليوم التالي لوفاة المغفور له الملك عبد العزيز ليواصل المسيرة المتمثلة في:—
- ١— بناء في الداخل على أساس من الأمن والاستقرار الشاملين .
 - ٢— عمل من أجل التضامن الإسلامي وخدمة دين الله والأمة الإسلامية .
 - ٣— سعى من أجل الأخاء العربي بحكم روابط الدين واللغة والجوار والأرض والتاريخ والدم .
 - ٤— مساهمة فعالة في الجهود الدولية الرامية إلى إقرار السلام العالمي القائم على الحق والعدل (٧٥) .

وقد استطاع الملك سعود بن عبد العزيز استخدام إمكانات المملكة المادية والبشرية في إستكمال المشروعات التطورية والتوسع في الخدمات الأساسية التي تقدمها الدول للمواطنين، كما كانت له زيارات متعددة للخارج إلى مصر وغيرها من الأقطار العربية كما زار الولايات المتحدة الأمريكية في إطار العلاقات التقليدية بين البلدين .

ثانياً: الملك فيصل بن عبد العزيز:

تولى الملك فيصل رحمه الله ملك السعودية بتاريخ ١٧ جمادى الثانية ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٦٤ م بعد أن تقرر تنحية الملك سعود عن الحكم، وقد بدأت في عهده عملية البناء الداخلي للدولة على أسس حديثة كاعتماد

(٧٥) محي الدين القاسم: فهد في صور، المرجع السابق ص ١٤ .

التخطيط أساسا للخطوات التي تخطوها البلاد على طريق التطور والرقى،
ومثل وضع الخطة الإنمائية الأولى.

وكان في عهد والده قائدا للقوات السعودية في منطقة عسير وتهامة منذ
عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١ م وبعد أربع سنوات عين نائبا للملك في
الحجاز واحتفظ بهذا المنصب إلى أن أُلغى، وبعد خمس سنوات أخرى
(١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠) صدر مرسوم برفع المديرية العامة للشئون الخارجية إلى
درجة وزارة وعين فيصل وزيرا للخارجية. وبعد خمس سنوات أخرى عين
رئيسا لمجلس الشورى بعد صدور مرسوم ملكي يقتضى بوضع نظم جديدة
للمملكة (٧٦).

وبعد وفاة الملك عبد العزيز وتولية سعود حكم المملكة نودى بالأمير
فيصل وليا للعهد في ٢ ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ، ثم عين بعد ذلك رئيسا
لمجلس الوزراء. وبناء على قرار من العلماء والشعب عين في ١٦ زى القعدة
عام ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٣ م نائبا للملك وأسندت له كل سلطات الحاكم
التي كانت من اختصاص الملك.

وبالنسبة لسياسة فيصل الخارجية فقد قام بمجهودات كبيرة لبثورة
مبادئ التضامن الإسلامى كقوة تجمع الشعوب الإسلامية في مؤتمرات
ومؤسسات على مختلف المستويات فقام بسلسلة طويلة من الرحلات شملت
معظم البلاد الإسلامية داعيا إلى وحدة الكلمة والصف الإسلاميين، وساعيا
من أجل عقد مؤتمر إسلامى يكون منطلقا لتنظيم شئون المسلمين
وعلاقاتهم ببعضهم فيما يعود بالخير على دينهم وأمتهم، وهو ما تحقق بالفعل
بانعقاد مؤتمر القمة الإسلامية الأول في الرباط والثانى في لاهور (٧٧).

كما تبنى الدفاع عن قضايا العرب والمسلمين في المحافل الدولية فزار من
أجل ذلك عددا من الأقطار العربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة

(٧٦) عبد مسعود الجهنى: فيصل بن عبد العزيز قائد أمة ورائد جيل. الرياض -
ص ١٣-١٤.

(٧٧) عبد مسعود الجهنى: فيصل .. المرجع السابق ص ١٤-١٥.

الأمريكية، كما شجع حركة تحرير فلسطين وساهم بقدر كبير في مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧م في إنهاء الخلافات العربية وتقرير سياسة الدعم العربي.

ثالثاً: الملك خالد بن عبد العزيز:

ب وفاة فيصل عام ١٣٩٥هـ الموافق لعام ١٩٧٥م آلت المسؤولية للملك خالد بن عبد العزيز الذي عهد إلى أخيه فهد بن عبد العزيز بولاية عهده، وفي عهد الملك خالد نفذت الخطة الإنمائية الثالثة التي بدأ تنفيذها عام ١٤٠٠هـ الموافق لعام ١٩٨٠م.

وفي عهد الملك خالد عقد مؤتمر القمة الإسلامية الثالث عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م في مكة المكرمة حيث اجتمع في رحاب الحرم المكي الشريف ولأول مرة في التاريخ قادة وزعماء الدول الإسلامية. كما قام بعدة زيارات رسمية لعدد من الدول الشقيقة والصديقة لتوثيق علاقة المملكة بهذه الدول، كما أنشئ مجلس التعاون الخليجي الذي هدف إلى تقوية الروابط التي تصل بين الكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية، وهو المجلس الذي جعل من دوله قوة متكاملة في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والتعليمية والحضارية بحكم التجانس الطبيعي لشعوب هذه الدول (٧٨).

وفي ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م توفي الملك خالد بن عبد العزيز إثر أزمة قلبية فتتمة مبايعة ولي العهد فهد بن عبد العزيز مليكاً للبلاد، الذي مالبث أن اتخذ لقب خادم الحرمين الشريفين حيث أشرف على استمرار مشروعات توسعة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

■ الفصل السابع ■

موضوعات في التاريخ اليمني

- ١ — مقدمة.
- ٢ — الصراع الاستعماري حول الجزر اليمنية في القرن التاسع عشر.
- ٣ — أمن البحر الأحمر بين ميثاق أمن جدة ١٩٥٦ م ومؤتمر تعز عام ١٩٧٧ م.



■ مقدمة ■

اليمن تاريخ طويل وقديم حيث عرف في التاريخ القديم بإسم بلاد العرب السعيدة لما تميزت به من حضارة وازدهار في ذلك العصر، ومع بداية العصور الحديثة انقسم سكان اليمن من حيث المذاهب الدينية الإسلامية إلى اتباع المذهب الزيدى وهو أقرب المذاهب الشيعية إلى السنة والذين سكنوا جبال اليمن، واتباع المذهب الشافعى - الذين عرفوا بالشوافع - السنى الذين سكنوا السهول الساحلية.

وقد اصطدم الائمة الزيديون بقوى داخلية متمثلة في القبائل والأئمة الخارجين على الحاكم، كما اصطدم بقوى خارجية كان منها الأتراك الذين حاولوا السيطرة على اليمن منذ القرن السابع عشر حتى انتهت محاولات السيطرة التركية على اليمن بعقد معاهدة «درعا» في عام ١٩١١م، وكان منها البريطانيون الذين نجحوا في عام ١٨٣٩م في احتلال عدن ومنها امتد نفوذهم على قبائل الجنوب العربى.

ونتيجة لظهور جماعات من الشباب اليمنى المثقف قامت عدة محاولات ضد الائمة لاغتيالهم بعضها نجح حيث تم اغتيال الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٤٨م وإن تم القضاء على الثورة. وتولى ابنه أحمد بن يحيى الذى تعرض هو الآخر لمحاولة إنقلابية عام ١٩٥٥م كان للمثقفين فيها دور رئيسى وإن فشلت هى الأخرى.

وفي العام التالي ١٩٥٦م دخلت اليمن مع كل من مصر والمملكة العربية السعودية فيما عرف بميثاق أمن جدة وهو ميثاق دفاعي عسكري مضاد للتفوذ البريطاني في البومبي والخليج والجنوب العربي، كما انضمت إلى الجمهورية العربية المتحدة فيما عرف بإسم ميثاق اتحاد الدول العربية في مارس ١٩٥٨م.

وكان للانفتاح المحدود الذي شهده اليمن في الخمسينيات من القرن العشرين أثره في تطلع المثقفين اليمنيين للتخلص من حكم الأئمة باعتبارهم عقبة في سبيل تطور اليمن وتقدمه، وحدث شبه تحالف بين المثقفين وضباط من جيش اليمن، حتى أنه عندما توفي الإمام أحمد فجأة في ١٩ سبتمبر ١٩٦٢م قام أحد الضباط اليمنيين وهو عبد الله السلال بانقلاب عسكري ضد الإمام البدر الذي فر إلى السعودية، وقد أعلن النظام الجمهوري وألغى النظام الملكي، وانفتح اليمن على العالم وساهمت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية ومصر في تقدم اليمن وتحضره.

ونتيجة لوجود الجيش المصري في اليمن منذ عام ١٩٦٣م لمساعدة الثورة اليمنية تشجعت الحركة الوطنية في عدن والجنوب في مقاومة الوجود البريطاني ولقيت كل مساعدة من الجمهورية العربية اليمنية ومن مصر حتى اضطرت انجلترا إلى الجلاء عن عدن وإعلان استقلالها مع مشيخات الجنوب تحت إسم جمهورية اليمن الجنوبية عام ١٩٦٧م.



الصراع الإستعماري حول الجزر اليمنية في القرن ١٩

■ مقدمة ■

تمثل الجزر اليمنية وأهمها سقطرى وبرم وكمران بمواقعها الجغرافية أهمية استراتيجية خاصة للقوى البحرية العالمية الساعية لفرض سيطرتها على مدخل البحر الأحمر الجنوبي وصولاً للسيطرة على كل الأقطار المطلة على هذا البحر حتى برزخ السويس في مصر شمالاً..

وقد كانت البرتغال أسبق هذه القوى العمالية البحرية نشاطاً في هذا المجال منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي حيث حاولت السيطرة على عدن وجزر سقطرى وبرم وكمران من خلال محاولاتها للوصول إلى موانئ جدة والسويس والسيطرة على الأقطار الإسلامية المطلة على البحر الأحمر مثل مصر والحجاز والسودان واليمن بعد أن نجحت في السيطرة على المدن الإسلامية المزدهرة بشرق أفريقيا ومملكة هرمز وجزر البحرين في الخليج العربي..

ولولا صلابة موقف أهالي عدن والجزر اليمنية القوية في مواجهة الإعتداءات البرتغالية المتكررة، ولولا التقليد الإسلامي الذي وضعه سلاطين المماليك في مصر وأكده العثمانيون عندما احتلوا مصر والحجاز منذ عام ١٥١٧م، وذلك التقليد الذي يحرم على السفن التي ترفع أعلاماً عليها صليب دخول مياه البحر الأحمر لأن أراضي الأماكن المقدسة للمسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة تطل عليه..

لولا هذا وذاك لنجح البرتغاليون في الإستيلاء على عدن والجزر اليمنية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي ومدوا عدوانهم إلى الحجاز والسودان ومصر، وكرروا ما فعلوه في أقطار الخليج من ممارسات عدوانية غاشمة ليس على الأرض فقط بل وضد السكان الآمنين العزل الذين تعرضوا لوحشية وقسوة البرتغاليين..

وإذا كان البرتغاليون قد جلوا عن تلك الجهات مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي فقد بدأت تظهر قوى بحرية عالمية أخرى تمثلت في البرتغاليين والفرنسيين ..

فعندما نجح بونابرت في الإستيلاء على مصر أواخر القرن الثامن عشر تطلع إلى مداخل البحر الأحمر والخليج العربي بهدف السيطرة على طرق التجارة الشرقية ولضرب المصالح البريطانية في الهند، ولو طال أمد بقاء الحملة الفرنسية في مصر وقتاً أطول من فترة الثلاث سنوات التي بقيتها لتحقيق لبونابرت بعض ما كان يهدف إليه إن عجز عن تحقيق كل الأهداف ..

ونتيجة للحملة الفرنسية على مصر تنهت بريطانيا إلى أهمية البحر الأحمر من مدخله عند باب المندب إلى شماله عبر مصر، ومن ثم ساهمت بأكبر قدر في إخراج الحملة الفرنسية من مصر، وحرصت على أن تكون لها النفوذ الأعلى في مصر بعد خروج الفرنسيين وإرتقاء محمد علي كرسي الباشوية في مصر اعتباراً من عام ١٨٠٥ م.

وعندما حاول محمد علي السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبي من قواعده في اليمن وقفت له بريطانيا موقف المعارضة بل والتهديد وانتهى الأمر باستيلائها على عدن عام ١٨٣٩ م، وعن هذا الموقع أخذت تسيطر على مدخل البحر الأحمر الجنوبي عن طريق السيطرة على جزره الجنوبية (جزر اليمن) وأهمها سقطرى وبرم وكمران ..

ولكن القوة الفرنسية والقوة الإيطالية تطلعت إلى شرق أفريقيا وساحل البحر الأحمر وهنا تمت المساومات بين بريطانيا وهذه القوى من أجل تقسيم مناطق النفوذ خاصة بعد إجلاء مصر عن مناطق الصومال الشمالي وأثيوبيا إلى جانب السودان عام ١٨٨٥ م، وقد انتهى الصراع بسيطرة بريطانيا على تلك الجزر المساندة لكل من عدن والصومال الشمالي المستعمرات البريطانية ..

التسابق الإستعماري الأوروبي

لكي نستجلى الصراع حول الجزر اليمنية لابد لنا أن نبحث عن جذور هذا الصراع من خلال التسابق الإستعماري الأوروبي في أفريقيا وفي المنطقة العربية. فقد تميز القرن التاسع عشر بوضوح الظاهرة الإستعمارية الأوروبية، وقد انطلقت الدول الأوروبية للإستعمار تحت ستار البعثات التبشيرية أو الشركات التجارية أو المستكشفين، ومن ثم حدثت منافسة بين الأوروبيين من أجل الفوز بمناطق نفوذ أو سيطرة أو إمتلاك للأرض وما عليها من مواد خام..

وجاء إفتتاح قناة السويس للملاحة البحرية العالمية عام ١٨٦٩م ليزيد المنافسة الدولية حول أفريقيا والمنطقة العربية، تلك المنافسة التي كادت تؤدي إلى صدام محاصرا بألمانيا أن تدعو إلى عقد مؤتمر يكون مقره برلين لتقسيم مناطق النفوذ والإستعمار في أفريقيا دون الحاجة إلى الصدام المسلح، وبالفعل انعقد ما عرف بمؤتمر برلين من نوفمبر ١٨٨٤م وأصدر قراراته في فبراير عام ١٨٨٥م.

وجاءت قرارات مؤتمر برلين لتعطي ضوئاً أخضر للدول الأوروبية لكي تنطلق في سباق لاحتلال أراضي القارة الأفريقية، ذلك أنه على الرغم من أن المؤتمر انعقد أساساً لبحث موضوع الإدعاءات البلجيكية في حوض نهر الكونغو في مواجهة الإدعاءات الفرنسية شمال النهر والإدعاءات البرتغالية جنوب النهر، إلا أن أثره على الإستعمار الأوروبي في أفريقيا السوداء كلها كان أكثر إتساعاً، وكان أقصى ماسعى إليه هو محاولة وضع مبدأ يمكن على أساسه دراسة الإدعاءات الإستعمارية والإعتراف بها (١).

وقد شهد القرن التاسع عشر نشاطاً فرنسياً عموماً لامتلاك أراضي خارج القارة الأوروبية خاصة بعد حروب الثورة الفرنسية و نابليون، وكان الدافع وراء هذا النشاط الفرنسي التنافس البريطاني الفرنسي على المستعمرات في العالم الجديد وفي منطقة البحر المتوسط وخاصة مصر وبلاد الشام، وفي منطقة الجنوب العربي والهند وشرق أفريقيا والخليج العربي.

(١) جون هاتش: تاريخ أفريقيا ص ١١.

وكان وراء النشاط البريطاني الإستعماري عدة عوامل أهمها نجاح ثورة الإستقلال الأمريكية ضد الحكم البريطاني عام ١٧٨٣م بصورة أشعرت بريطانيا بضرورة الإنجاء شرقا لتعويض هذه الممتلكات الغنية، كما أن تهديدات حكومة الثورة الفرنسية وحروب الإمبراطور نابليون الأول وأطماعه كانا من دوافع اتجاه بريطانيا لتأسيس إمبراطورية في الشرق، وما صدامها مع حملة بونايرت على مصر سوى مظهر لهذا الاتجاه البريطاني ..

كما كان من عوامل بناء الإمبراطورية البريطانية الأسطول البريطاني التجاري والحربي الذي كان سيد البحار بلا منازع، والذي استخدمته في الإستيلاء على رأس الحاء الصالح عام ١٧٩٥م أولا من شركة الهند الشرقية الألمانية المغلقة، ثم ثانيا من الجمهورية البتافية (هولندا) عام ١٨٠٦م كرد فعل لتحركات نابليون في أوروبا (٢) ..

هذا إلى جانب نظم الليبرالية ومبدأ حرية التجارة، واتباع سياسة العزلة عن المشكلات المباشرة للقارة الأوروبية، أوبعنى آخر اتباع سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأوروبية (٣) بالإضافة إلى نجاح الثورة الصناعية في بريطانيا التي غدت كما عرفت طوال القرن التاسع عشر بأنها مصنع العالم ..

وقد أدركت بريطانيا أهمية مصر والبحر الأحمر منذ مجيء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م وزادت أهمية البحر الأحمر في نظر بريطانيا منذ افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية عام ١٨٦٩م وأدركت أن البحر الأحمر هو الطريق الطبيعي إلى الشرق الأقصى أو على حد تعبير اللورد سالسبوري Lord Salisbury بأن طريق البحر الأحمر هو «وتر بريطانيا

الحساس» .. Our Road of Communication With the Indies: our Sensitive Nerve- String. (٤) .

(٢) Kirkwood, K.: Britain and Africa, p. 16.

(٣) د. محمد رياض وآخرون: أفريقيا .. ص ٥٢ .

(٤) د. محمد صني الدين: أفريقيا بين الدول الأوروبية ص ١٤٨ .

وكانت بريطانيا قد أخذت تعمل منذ أستولت على عدن عام ١٨٣٩م على إيجاد ممتلكات لها في شرق وشمال شرق أفريقيا (٥)، وأخذت تعمل على الإنفراد بالسيطرة على البحر الأحمر خاصة بعد أن اشترت الحكومة البريطانية نصيب مصر من أسهم شركة قناة السويس بموافقة الخديوي إسماعيل ..

وانطلاقاً من حساسية بريطانيا لكل نشاط استعماري آخر يفرض وجوده في البحر الأحمر، فإنها من موقعها في عدن وجزيرة برم عند مضيق باب المندب أخذت تترقب تحركات الإيطاليين أثناء نشاطهم لتحقيق مطامعهم في إقليم أريتريا منذ رفع العلم الإيطالي على عقب في ١٣ مارس ١٨٧٠م (٦)، ومنذ ضمت إيطاليا أراضي سلطنة «راحيتا» أو «رهيطه» إلى مناطق نفوذها في أريتريا عام ١٨٨١م، وإن كانت بريطانيا قد أغضبت عينها عن النشاط الإيطالي عندما تبين لبريطانيا عام ١٨٨١م أيضاً أن الفرنسيين يبذلون أقصى جهد لإخراج مصر من قبضة بريطانيا (٧)، كما أن بريطانيا كانت تتخشى من وقوع موانئ سواحل البحر الأحمر الغربي في قبضة المهديين (٨).

وعلى الرغم من الموقف الودي من جانب بريطانيا نحو نشاط إيطاليا الإستعماري في البحر الأحمر، فقد كانت حساسيتها لكل ما يحدث في البحر الأحمر يدعوها إلى متابعة كل نشاط تقوم به إيطاليا فنجد مثلاً برقية مرسلة من القنصل البريطاني العام في القاهرة سير إيفلن بارنج يكتب لوزير الخارجية البريطانية اللورد Evelyen Baring «جرانفيل» Granville يقول: إن الكولونيل «تشرمسيد

(٥) Kirkwood, K.: op. cit., p. 19.

(٦) د. السيد رجب حراز: أريتريا الحديثة ص ٨١-٨٢.

(٧) د. محمد صبرى: الامبراطورية السودانية في القرن ١٩ ص ١٦٥.

(٨) د. السيد رجب حراز: التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا ص ١٦٦.

Chermside أبرق من عدن بأن الإيطاليين استلوا جزر دهلك المواجهة
لميناء مصوع» (٩) ..

ونظرا لشدة حساسية بريطانيا نحو النشاط الإستعماري الفرنسي بالذات
في شرق أفريقيا والبحر الأحمر، فقد دار صراع بين الطرفين حول جزر الأخوة
وهي مجموعة من الجزر الأقرب إلى مدخل البحر الأحمر الجنوبي، وهي عبارة
عن مجموعة من الجزر الصخرية عددها سبعة جزر وتبعد عن جزيرة برم
بحوالي عشرة أميال نحو الجنوب، وطبيعة سطح هذه الجزيرة بركانية لونها
بنى وارتفاع سطحها متوسط (١٠) وقد حاولت فرنسا احتلال هذه الجزر
وخاصة جزر «موسى» و«أوباد» أو «أوقات» كما تذكر في بعض المصادر
عام ١٨٨٤م عند تأسيس المستعمرة الفرنسية في «أوبوك»، ولكن الحكومة
البريطانية سارعت إلى الإعلان بأن هذه الجزر صارت لبريطانيا العظمى
منذ عام ١٨٤٠م بموجب تنازل من شيوخ «تاجورة» و«زِيلَع» (١١).

وبناء على هذا قد أعلن الميجور هنتر Hunter بأن وجودا بريطانيا قد
تأسس فعلا في هذه الجزر (١٢). ثم أعلنت الحكومة البريطانية على لسان
نائب الملك في الهند بأن العلم البريطانى قد تم رفعه على تلك الجزر في
الوقت الذى احتلت فيه القوات الفرنسية تاجورة (١٣).

ومع ذلك فقد أصبحت جزر الأخوة من نصيب فرنسا التى رفعت العلم
ذى الثلاثة ألوان على كل الجزر السبعة وذلك في خريف عام ١٨٩٠م

(٩) F.O.403. Further Correspondence respecting the Red Sea and
Somalicoast; No.83/277. Sir Evelyen Baring to Earl Granville Cairo,
June 13, 1885 No. 478.

(١٠) Ibid, No. 126, Inclosure 3 in No. 26 : Extract from the «Red Sea Pilts»
edition of 1883, p. 144.

(١١) Ibid, No. 82, No. 261, Mr. Godley to Sir J.Pannceforte, India Office,
November 7, 1884.

(١٢) Ibid, No. 82, No. 323, Sir Zvylen Baring to Earl Granville, Cairo
December 6, 1884.

(١٣) Ibid, No. 82, Inclosure in No. 349. The Viceroy of India to the Earl of
Kimberley, Culeutta, December 11, 1885.

(١٤)، كجزء من توزيع مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة، واستنادا إلى حصول بريطانيا على ما عرف باسم الصومال الشمالى الذى يضم موانئ «زيلع» و«بلهار» و«بريرة» بينما تأسست مستعمرة فرنسية في جيبوتى التى تنتمى إليها هذه الجزر الواقعة إلى الجنوب من جزيرة برم التى تسيطر عليها بريطانيا..

ومصدر أهمية هذه الجزر أنها تحرس المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، ومن ثم فإن القوة التى تسيطر على هذه الجزر يكون لها صوت مسموع في استراتيجية مدخل البحر الأحمر عند باب المندب وبالتالي يؤثر على بقية الأقطار المطلة على هذا البحر..

جزيرة سقطرى

تقع جزيرة سقطرى بالقرب من الساحل الجنوبى للجزيرة العربية إلى الشرق من عدن وهى جزيرة جبلية وعرة قليلة السكان. تنتشر حولها الشعب المرجانية، ولها أهمية استراتيجية لمن يريد التحكم في مدخل البحر الأحمر..

ونتيجة لهذا الموقع والأهمية الاستراتيجية فقد اتجهت أنظار بريطانيا إليها أثناء صراعها مع فرنسا على السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبى، ومن ثم استطاعت بريطانيا عقد اتفاق مع سلطان سقطرى بتاريخ ٢٣ أبريل عام ١٨٨٦م يضع الجزيرة وملحقاتها تحت الحماية البريطانية (١٥)..

وكان قد ورد تقرير من حاكم الهند إلى المركز السلبورى بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٧٥م حول تطور علاقة بريطانيا بجزيرة سقطرى جاء فيه:

١- أن حق السيادة على الجزيرة للرؤساء الكبار من القبيلة العربية المسماة «المهارة» Mahare تقيم في «كشين» Kisheen، وقد تمت الموافقة بين حكام الجزر وحكومة الهند على إقامة محطة للفحم لتزوين سفن الأسطول البريطانى منذ عام ١٨٣٣م.

Ibid. No. 126. Inclosure 2 in No. 26, Captain Aueste Brigadir General (١٤) Jobb. Aden, September 11. 1890.

F.O.403. 88. No. 26, Mr. Godley to sir J. Pauncefote, India Office. (١٥) September 1. 1886.

٢- وفي عام ١٨٣٨م قدم عرب «كشين» اقتراحا بربط سقطرى ببريطانيا ولكن الحكومة البريطانية رفضت.

٣- وفي عام ١٨٤٧م وردت إلى عدن أخبار عن محاولات فرنسية لفرض السيطرة الفرنسية على جزيرة سقطرى.

٤- وفي عام ١٨٧١م حاولت إيطاليا فرض سيطرتها على جزيرة سقطرى (١٦).

وكان قد حدث اتفاق بين كل من علي بن عبد الله بن سالم بن سعد بن بن عقير سلطان سقطرى من جانب والبريجادير جنرال جون وليام شنيدر John William Schneider حاكم عدن من جانب الحكومة البريطانية على ظهر الباخرة البريطانية «بريتون» Briton في كشين بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٧٦م تعهد فيها سلطان سقطرى عن نفسه وأهله وخلفائه من بعده بعدم الاتفاق مع أية قوة أخرى بما يتعارض مع مصالح بريطانيا بالنسبة لجزيرة سقطرى أو الجزر المجاورة التابعة لها، في مقابل مبلغ ثلاثة آلاف دولار عند التوقيع ومبلغ ٣٦٠ دولار سنويا (١٧).

ومع إتفاقية ٢٣ أبريل ١٨٨٦م - أي بعد عشر سنوات من الاتفاق المبدئي أوتعهد سلطان سقطرى - طلب السلطان أن تمتد الحماية البريطانية المتفق عليها عام ١٨٨٦م، لتشمل جزيرة «كشين» Kishen وتوابعها، ولكن الحكومة البريطانية طلبت أولاً إضافة مادة جديدة لمعاهدة ١٨٨٦م تنص على تعهد السلطان بعدم التعامل مع أية قوة أوروبية أخرى أو إعطائها تسهيلات في أراضيها وذلك لمواجهة التطلعات الألمانية في هذه الجهات (١٨).

وقد تعهد السلطان علي بن عبد الله وسالم بن أحمد عن نفسه وعن ذويه وعن خلفائه كتابة بعدم الدخول في مراسلات أو اتفاقات أو معاهدات مع أية

(١٦) F.O. 403. 8. Inclosure I in No. 64, The Governor-General of India in Council to the Marquis of Salisoury, Fort William, January 29, 1875.

(١٧) Ibid, Inclosure 4 in No., 131. Brigadier-General Schneider to Mr. Thornton, Aden Residency, February L, 1876.

(١٨) F.O. 403. 88. Inclosure 4 in No. 26, the Earl of Kimberley to the Viceroy of India, India Office, March 27, 1886.

قوة أوروبية أخرى، مع التأكيد على قبول الحماية البريطانية على جزيرة سقطرى وملحقاتها وكشين باخلاص ضد أعداء السلطان سواء من المسيحيين أو العرب أو من غيرهم. ولن تدخل السلطنة في أية اتفاقات مع أية قوة خارجية دون علم الحكومة البريطانية، وأن السلطان يأمل أن توافق الحكومة البريطانية على عقد اتفاق بندر كشين وملحقاتها تحت الحماية البريطانية على غرار الإتفاق بوضع سقطرى تحت الحماية البريطانية (١٩).

وقد صيغت هذه التعهدات في إتفاقية تتكون من ثلاث مواد تم التوقيع عليها في ٢٣ أبريل عام ١٨٨٦م - التي سبق الإشارة إليها - وقّعها عن الجانب البريطاني البريجادير جنرال أ. ج. ف. هوج A.G.F. Hogg المقيم السياسي البريطاني في عدن وعن سقطرى السلطان علي بن عبد الله (٢٠).

وتقع جزيرة سقطرى في المضي الهندى على بعد ٢٤٠ كيلومترا من شرقى الشمال الشرقى لرأس عسير - الذى يسمونه في بعض اللغات الأوروبية رأس جوارد افوى - الذى يقع في أقصى الشمال الشرقى من أرض جمهورية الصومال الديمقراطية. وتبلغ مساحة سقطرى ٣٥٧٩ كيلومترا مربعا، وعدد سكانها ١٥ ألف نسمة وأعلى موقع فيها ١٤٠٠ متر.

ويقال إن اسم عاصمتها ومينائها «تمريدا» مشتق من اسم القمر، وينمو بها النخيل والسنت والطلع اللذان يؤخذ منها الصمغ، ويزرع بها الطباق والرومان والمقائى - من خيار وبطيخ وشمام - والعود والند وغيرها من الأشجار العطرية، وقد عرف قدماء المصريين سقطرى وكانوا يسمونها «ربى العطور» وبها الماشية بدسم الجانها، والس من أهم صادرات سقطرى، ومن حيواناتها البرية حمار الوحش والسنور (القط) الذى يؤخذ

(١٩) Ibid, Inclosures. 15. 16, in No. 26, Sultan Ali bin-Abdulla- Bin-Salim- bin-Afrir to Brigadier-General Hogg, 20th Rajab. 1303 (April 23, 1886).

Ibid, Inclosure 19 in No. 26. Protectorate Treaty.

(٢٠)

منه السمك . وفي سقطرى أنهار يجرى بها الماء طول العام و يصطادون منها السمك .

وكانت سقطرى قاعدة بحرية وجوية لبريطانيا حتى أصبحت جزءا من أرض جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بعد الاستقلال .

جزيرة بریم

تقع جزيرة بریم في مضيق باب المندب على بعد ميل من الساحل العربى وأحد عشر ميلا من الساحل الأفريقى، وتفصل باب المندب إلى قسمين . المضيق الصغير الذى يفصل الجزيرة عن الشاطئ العربى وعرضه ثلاث كيلو مترات، والمضيق الكبير وعرضه نحو إحدى وعشرون كيلو مترات، وتستعمل السفن المضيق الصغير نظرا لوجود مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة المسماة الأخوة في المضيق الكبير.

وتتكون جزيرة بریم من تشكيلات صخرية بركانية هي عبارة عن مجموعة من التلال التى تنحدر نحو الشاطئ، وتحيط بالميناء طولها حوالى ميل ونصف وعرضها نصف ميل ويبلغ أعلى إرتفاع في الجزيرة نحو ٢٤٥ قدما، وتبعد الجزيرة حوالى مائة ميل عن ميناء عدن ومائتى ميل عن جزيرة كمران .

ونتيجة لهذا الموقع فقد اتجهت أنظار بريطانيا نحو جزيرة بریم لتحكم السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبى، ولذلك احتلتها القوات البريطانية لتراقب تحركات القوى الأخرى في المنطقة، ولذلك نجد الكابتن « سنيل » Captain Snell مساعد المقيم البريطانى في بریم يكتب للمقيم السياسى البريطانى في عدن البريجادير جنرال « هوج » في ١٨ فبراير ١٨٨٦م تقريراً عن تحركات الأتراك في « الشيخ سعيد » وهى مدينة يمنية جاءها الأتراك من مدينة « غا » اليمنية (٢١) .

وفي ١١ مارس ١٨٨٦م أرسل الميجور هنتر Major Hunter المقيم السياسي في عدن إلى حكومة الهند البريطانية في بومباي أرفق برسالته تقريراً من مساعد المقيم السياسي البريطاني في برم عن وصول قوات تركية من «مخا» إلى «الشيخ سعيد» ومعها أسلحتها من المدافع الكبيرة والبنادق (٢٢)، مما يؤكد استخدام برم كمنطقة مراقبة بريطانية لكل ما يجري قرب مدخل البحر الأحمر الجنوبي.

وفي ١٥ مارس ١٨٨٦م كتب الكابتن «سنيل» مساعد المقيم السياسي البريطاني في برم تقريراً رفعه إلى البريجادير جنرال «هوج» عن تحركات الأتراك في «الشيخ سعيد»، حيث ذكر في التقرير أن الأتراك أنزلوا في «الشيخ سعيد» ما يلي:—

- ٣٧ برميل بارود البنادق.
- ٣٠٠ صندوق يحتوي كل منها على ٢ قذيفة صلبة.
- ١٥٠ صندوق يحتوي كل منها على ٢ قذيفة مدفع (٢٣).

والشيخ سعيد منطقة من مواطن اليمن البحرية وموقعها على مضيق باب المندب قريباً من عدن بازاء جزيرة برم، وقد اعترفت المعاهدة التي وقعت في الاستانة بين فرنسا والدولة العثمانية عام ١٨٧٠م بحقوق فرنسا في هذه المنطقة وأقرت حصول شركة «رابو وبازن» وهي إحدى الشركات التجارية الكبرى في مرسيليا ملكية هذه المنطقة حتى انتقلت هذه الملكية إلى الحكومة الفرنسية عام ١٨٨٦م (٢٤).

ونتيجة لهذه المعاهدة انتهى الصراع العثماني الفرنسي حول منطقة «الشيخ سعيد» وظلت تابعة لفرنسا حتى عادت القوات العثمانية إلى احتلال هذه المنطقة مرة أخرى أواخر القرن التاسع عشر، ولم ينته الوجود

(٢٢) Ibid Inclosure 2 in No. 116, Major, Hunter to the Chief Secretary to the Government, Bombay, Aden, March 11, 1886.

(٢٣) Ibid, Inclosure 4 in No. 126. Brigadier-General Hogg to the Secretary to the Government, Bombay, Aden Residency, March 25, 1886.

(٢٤) عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليمني: تاريخ اليمن.. ص ٦٤—٦٨.

العثماني في الشيخ سعيد إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لتظل المنطقة ،
نسيا منسيا وهي منطقة يمنية تعرضت أيضا لمطامع إيطاليا بعد استيلائها على
الحبشة عام ١٩٣٦م ، ونتيجة للصراع الفرنسي الإيطالي حول المنطقة ظلت
المنطقة بعيدا عن سيطرة القوتين الاوروبيتين حتى انتهاء الحرب العالمية
الثانية .

وأما جزيرة برم التي تعرف أيضا باسم «ميون» فهي جزيرة من جزر
البحر الأحمر اليمنية تقع في مدخل باب المندب وتشرق عليه وموقعها على خط
عرض ١٢ درجة و ١٢ دقيقة شمالا وخط ٤١ درجة و ٣ دقيقة ، وتبعد عن
ساحل جزيرة العرب بمسافة ثلاثة كيلومترات تقريبا .

وكانت جزيرة برم تابعة لإمام صنعاء حتى احتلتها بريطانيا عنوة عام
١٨٥٧م وطولها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي تسعة كيلومترات
وعرضها خمسة كيلومترات ويبلغ أقصى إرتفاع سطحها ٧٥ مترا عن سطح
البحر ، وقد بنى البريطانيون على هذه القمة فتارة عام ١٨٦٠م ، والجزيرة
بيضاوية الشكل ، وليس بالجزيرة ماء عذب ، وجميع الظواهر تدل على أن
جزيرة برم بقيت بدون سكان مدة إلى أن احتلتها انجلترا لتتخذ منها مركزا
استراتيجيا لسياستها الاستعمارية في المنطقة (٢٥) .

وقد سمحت الحكومة البريطانية لشركة الهند الشرقية البريطانية منذ
عام ١٨٥٩م استخدام جزيرة برم لخدمة عملياتها وأصبح العلم البريطاني
يرفرف على الجزيرة منذ شهر فبراير من ذلك العام ، ومن ذلك التاريخ
استطاعت الشركة اقامة منشآت بريطانية كبناء قلعة تضم حامية
عسكرية ، ولها ميناء يستقبل السفن الكبيرة التي ترسو في حماية مدافع القلعة
التي تشرف على الجزيرة كلها وعلى مضيق باب المندب .

وبسبب صعوبة الحياة على جزيرة فان بريطانيا ركزت نشاطها
وسيطرتها على عدن مع بقاء حامية في برم يتم تغييرها بين الحين والآخر مع

تمسك بريطانيا بالجزيرة لأهميتها الاستراتيجية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي .

وتقع جزيرة برم على بعد ١٦٠ كيلو مترا غربي عدن وتبلغ مساحتها ١٣ كيلو مترا مربعا وهي جزيرة جرداء بركانية احتلها البريطانيون أولا عام ١٧٩٩م ثم هجروها لعدم وجود الماء بها ، حتى احتلوها مرة أخرى عام ١٨٥٧ - كما ذكرنا - ومينائها يبلغ اتساع مدخله ٧٨٦ مترا وبها الآن مطار صغير بنائه البريطانيون وكانت الجزيرة خاضعة لسلطة حاكم عدن البريطاني قبل الاستقلال . وهي الآن إحدى الجزر التابعة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

جزيرة كمران

تقع جزيرة كمران على بعد مائتي ميل شمال مضائق باب المندب ، وعلى بعد يسير لا يتعدى ثلاثة أميال من ساحل اليمن الشمالي ، وتقع في مواجهة مدينة الصليف الشهيرة ببحال الملح ، وهي أكبر جزيرة في مجموعة الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة في تلك المساحة وتعرف بأسم كمران .

وتقع جزيرة كمران على خط الطول ٢٤ درجة و ٣٦ دقيقة شرقا ، وعلى خط العرض ١٥ درجة و ٢٠ دقيقة شمالا . وقد جاء أسم كمران في كتاب الممزراني (٢٦) بعد حديثه عن بلاد المهدي في قوله : ثم يتعطف البحر على اليمن مغربا وشمالا من عدن فيمر في سحال لحج وأبين وكثيب بيرامس وهو رباط وسواحل بنى مجيد من المندب فساحل العميرة كمران (٢٧) .

وقد جاء ذكر جزيرة كمران في القرن التاسع عشر عندما فكر محمد علي أن يمد نفوذه إلى اليمن في الثلاثينيات من هذا القرن امتداداً من الحجاز فقرر إرسال حملة عسكرية تحت قيادة ابن أخته إبراهيم يكن باشا الذي سافر في نوفمبر ١٨٣٧م متجهاً بحيشة نحو الحديدة ونحاً ، وكان الأسطول المصري على

(٢٦) الممزراني : صفة جزيرة العرب ص ٢٥ .

(٢٧) حرة لقمان : تاريخ الجزر اليمنية ، بيروت ١٩٧٢ ص ٩ .

أهمية الاستعداد في مياه البحر الأحمر للاستيلاء على جميع الموانئ اليمنية ، وقد سبق لهذا الأسطول أن مهد لهذه الأعمال الحربية بالاستيلاء على جزيرة قران أو « كمران » ونجا وزبيد وبيت الفقيه واللحية ، ووضعت بها حاميات قوية ، ولم يبق من الموانئ الهامة سوى عدن (٢٨) .

وقد اضطر محمد علي إلى سحب قواته من اليمن بل ومن الجزيرة العربية كلها وذلك أثناء صراعه مع السلطان العثماني عام ١٨٣٩ م ، خاصة أن بريطانيا استطاعت إقناع الدول الكبرى — روسيا وفرنسا على وجه الخصوص — بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية كما أن بريطانيا قد نجحت في الإستيلاء على عدن في يناير ١٨٣٩ م ، وقد وقعت جزيرة كمران منذ انسحاب القوات المصرية في دائرة النفوذ البريطاني .

وجزيرة كمران تبلغ مساحتها ٥٧ كيلو مترا مربعا على بعد ٧٢ كيلو مترا من شمالي ميناء الحديدة اليمنى ، وعلى بعد ٣٢٠ كيلو مترا من شمالي جزيرة بريم وأرضها مستوية رملية منخفضة ، وكانت أيام الحكم التركي محجرا صحيا للحجاج واستولت عليها بريطانيا عام ١٩١٥ م أيام الحرب العالمية الأولى .

وهي من جزر جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ويسكنها الآن حوالي ألف نسمة يشتغلون بالصيد ، ويستبدلون بصيدهم الخضراوات من أهل اليمن وبها مصايد صغيرة للؤلؤ . وبعض المراجع الأجنبية يذكر أن اسمها مشتى «قر» ولم يذكر في المراجع العربية إلا بالكاف : كمران .

أمن البحر الأحمر مصر — السعودية — اليمن

■ مقدمة ■

عند الحديث عن أمن البحر الأحمر لا يعنى ضمان أمن مياه هذا البحر دون أراضي الأقطار المطلة عليه ، بل أن أمن مياه البحر من أمن أراضي هذه الأقطار ، ولنا في القرآن الكريم خير مثل إذا يقول الله تعالى « واسأل

(٢٨) د. السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث .. ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

القرية التي كنا فيها» صدق الله العظيم ، وليس المقصود بالقرية مبانيها وشوارعها وإنما المقصود سكانها ، ومن هنا عندما نتحدث عن أمن البحر الأحمر فإننا نعني أمن الأقطار المطلّة على هذا البحر وضمان كيائها واستقرارها ضد الأخطار الخارجية .

وقد أثّرت قضية أمن البحر الأحمر في عام ١٩٧٧م عندما بدأت مشكلة القرن الأفريقي تطفو وتقرض نفسها على السياسة العالمية ، وماتبع ذلك من وجود قوى أجنبية في مياه البحر الأحمر . ومن هنا جاءت مبادرة الرئيس السوداني جعفر محمد نميري الداعية إلى عقد إجتماع قمة لرؤساء الدول المطلّة على البحر الأحمر للبحث في كيفية ضمان أمن هذا البحر .

وليست هذه القضية جديدة على المنطقة بل هي قضية قديمة ترجع إلى أوائل القرن السادس عشر عندما اجتاز البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ووصلوا إلى مداخل الخليج العربي والبحر الأحمر بهدف تحويل التجارة الهندية عن هذين البحرين العربيين كأسلوب لمحاربة التجارة الإسلامية العربية وبالتالي الأقطار العربية التي كانت التجارة العالمية بين الشرق والغرب تمر عبر مياهها وأراضيها .

وهي قضية قديمة عندما استولى العثمانيون على أقطار الشرق العربي في أوائل القرن السادس عشر أيضا وأرادوا إيقاف زحف البرتغاليين إلى هذه الأقطار باتباع تقليد جديد يدعو إلى منع دخول المراكب المسيحية في البحر الأحمر لأنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين في الحجاز ، وهو التقليد الذي ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر (٢٩) وكانت تعني بذلك عدم السماح للسفن البرتغالية المعتدية بصفة خاصة بدخول مياه البحر الأحمر وتهديد الممتلكات العثمانية .

إذن فالقضية قديمة ولكن يحددها ظهور قوى أجنبية غير « بحر أحمر » في مياه هذا البحر بل واتخاذ مواقف عدائية من بعض الدول العربية التي تطل على مياهه . فعندما انتزعت إنجلترا من فرنسا أكبر مستعمراتها في الهند

(٢٩) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٢٨ .

في صلح باريس عام ١٧٦٣ م، اتجه اهتمامها إلى تيسير المواصلات البرية القديمة وأهمها طريق البحر الأحمر ومصر، وطريق الخليج والفترات (٣٠).

ومنذ ذلك الوقت أخذ اهتمام إنجلترا بالبحر الأحمر يزداد، فوجدناها تستولى على عدن - مدخل البحر الأحمر الجنوبي - عام ١٨٣٩ م، وتندرج محمد علي بأن أي اعتداء على عدن يعد اعتداء على جزء من الأملاك البريطانية (٣١). ثم أخذت إنجلترا تعمل على إيجاد ممتلكات لها في شرق وشمال شرق أفريقيا (٣٢). حتى إذا افتتحت قناة السويس للملاحة العالمية عام ١٨٦٩ م عملت إنجلترا على الأفراد بالسيطرة على البحر الأحمر من جنوبه إلى شماله في مصر خاصة بعد شرائها لنصيب مصر من أسهم شركة القناة.

وفي سبيل ذلك وضعت إنجلترا سياستها على الاهتمام بالبحر الأحمر في المقام الأول، إذا جاء في تعليمات اللورد سالسبوري Salisbury وزير الخارجية البريطانية للسفير ادوارد ماليت Malet والأخير في طريقه إلى القاهرة ليتسلم مهام منصبه كقنصل عام لانجلترا في مصر، ووكيل حكومة الملكة، وهذه التعليمات مؤرخة في ١٦ أكتوبر ١٨٧٩ م - يجب أن يكون واضحاً في الأذهان أنه إذا قسمت الامبراطورية العثمانية إلى أقاليم وأصبحت مصر مستقلة فإن الجزء من مصر الذي يستحوذ على اهتمام إنجلترا هو ساحل البحر الأحمر، إلى جانب الخطوط الحديدية ووسائل المواصلات الأخرى عبر برزخ السويس (قناة السويس) وإذا تم فعلاً تقسيم مصر ذاتها وبقي ساحل البحر الأحمر ووسائل المواصلات تحت سيطرة إنجلترا أي خاضعة للنفوذ الإنجليزي بينما ظلت داخلية البلاد من جهة أخرى في حالة من الاستقرار في ظل نظام حكم يكفل هذا الاستقرار فإن إنجلترا لن تجد في هذه الحالة سبباً يدعوها إلى القلق أو عدم الرضا (٣٣).

(٣٠) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ص ٢٢١.

(٣١) جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ١٢٢.

(٣٢) Kirkwood: Britain and Africa. p. 19.

(٣٣) Langer: European Alliances, chap. 8.

وهكذا حدث الأحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢م لتصبح لانجلترا السيطرة على مداخل البحر الأحمر الجنوبية (عدن) والشمالية (قناة السويس)، وحتى عندما أرغمت انجلترا مصر على إخلاء السودان دافعت البحرية البريطانية عن ميناء سواكن وظلت تحتفظ به - باسم مصر - طوال عهد الدولة المهدية فى السودان، ولذلك لانعجب أن نسمع من جوزيف شمبيرلين Chamberlain أحد قادة الاستعمار البريطانى يصف البحر الأحمر بأنه وتر بريطانيا الحساس.

وعندما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢م تطلعت إلى ضمان أمن البحر الأحمر بواسطة الأقطار التى تقع على شواطئه دون وجود قوى خارجية، ومن هنا ظهر ما عرف بميثاق أمن جدة عام ١٩٥٦م الذى ضم كلا من مصر والمملكة العربية السعودية واليمن، وهو وأن كان ميثاقا دفاعيا إلا أنه يعنى حماية أمن البحر الأحمر من خلال الدفاع المشترك عن الدول العربية الموقعة على الميثاق ضد العدوان الخارجى سواء فى الأرض أو البحر.

ثم جاء مؤتمر تعز فى مارس ١٩٧٧م نتيجة لمبادرة الرئيس جعفر محمد نميرى لتثير القضية من جديد أمام خطر جديد، وفى هذه الوريقات سنسوق القضية من ١٩٥٦م، مروراً بعام ١٩٧٣م، وحتى مؤتمر تعز عام ١٩٧٧م.

ميثاق أمن جدة

لم يكن عقد هذا الاتفاق بين حكومات كل من جمهورية مصر، والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية بمدينة جدة بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٥٦م وبحضور كل من الرئيس جمال عبد الناصر، والملك سعود الأول والأمام أحمد إلا حلقة من حلقات الاتفاقات بين الأقطار العربية كانت مصر محورها وقلبها.

ذلك أنه منذ فبراير ١٩٥٥م بدأت مصر سلسلة من اللقاءات العربية والاتفاقات الثنائية والثلاثية والجماعية من أجل التضامن العربى ضد القوى الخارجية، كان منها المؤتمر الذى شاركت فيه حكومات كل من الأردن وسوريا واليمن والسعودية إلى جانب مصر وأصدرت قراراته بالقاهرة فى

فبراير ١٩٥٥ م، وكان منها البيان السوري المصرى الصادر بدمشق في ٣ مارس ١٩٥٥ م، والذي انضمت إليه المملكة العربية السعودية في ٥ مارس من نفس العام، وينص على عدم الانضمام إلى الحلف التركى العراقى أو أية أحلاف أخرى، وعلى إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك، وعلى الالتزام بالاشتراك فى صد أى عدوان يقع على احدى دول المنظمة، وعلى انشاء قيادة مشتركة دائمة، وعلى عدم قيام أية دولة مشتركة فى المنظمة بعقد اتفاقات دولية عسكرية (٣٤).

كما كان من بين هذه الاتفاقات العربية ميثاق الحلف العسكرى الذى تم التوقيع عليه فى القاهرة فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥ م بين كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر لفضمان الأمن والسلام ورد العدوان الخارجى عند وقوعه فى إطار من مبادئ ميثاقى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.

ثم جاء ميثاق أمن جدة لتكتمل المسيرة فى إطار التحالفات العربية حيث جاء فى البلاغ الذى أذيع فى ختام الاجتماعات التى عقدت بين الزعماء الثلاثة بمدينة جدة فى العاشر والحادى عشر من شهر رمضان ١٣٧٥ هـ الموافق للعشرين والحادى والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٥٦ م، بأنه قد عقدت خلال هذين اليومين عدة اجتماعات تم فيها بحث المسائل التى تهم الدول الثلاث بوجه خاص، وتتصل باقرار الأمن والسلام فى العالم العربى بوجه عام، ودارت المباحثات والمشاورات بين الرؤساء فى جو ودى خالص، وتكاتف كامل، وحرص الجميع على تمكين أوامر الاخاء والتعاون بين دولهم مستهفين فى ذلك أمانى الشعوب العربية فى الحرية والكرامة والأمن والسلام. وقد أسفرت هذه الاجتماعات عن عقد اتفاقية دفاع مشترك وقعها الزعماء الثلاثة وأتاحت لهم تبادل الرأى فى وضع الخطط العملية التى تكفل نمو الروابط الاقتصادية والثقافية والفنية بين الدول العربية. وتوثيق عرى التعاون بينها لتحقيق خير الأمة العربية.

(٣٤) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية ج ٢ ص ١٢٩.

من هذه المقدمة للاتفاق تتضح المبررات لعقده بين الدول الثلاث، وهى الدول التى تمسك بكل شاطئ البحر الأحمر الأسيوى ومعظم الشاطئ الأفريقى، والتى تمسك بمدخل البحر الأحمر من الجنوب والشمال، وإن كان الاتفاق دفاعيا إلا أنه يمكن القول أن أمن البحر الأحمر عمل دفاعى.

ومن ثم جاء فى صلب الميثاق: «أن حكومات مصر، والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية، توطيدا لميثاق الجامعة العربية. وتأكيدا لاختصاص الدول المتعاقدة لهذه المبادئ، ورغبة منها فى زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكرى، وحرصا على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها، وإيماننا بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا فى تأمين سلامة واستقلال كل منها، وتحقيقا لأمانها فى الدفاع المشترك عن كيانها، وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها، وعملا بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية، قد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية».

ويقينى أن النص على إيمان كل من حكومات مصر والسعودية واليمن بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا فى تأمين سلامة واستقلال كل منها، دليل على أصرار هذه الأطراف الثلاثة على تأمين سلامتها الإقليمية سواء فى الأرض أو البحر، وحيث أنها تظل على البحر الأحمر ولها فيه مياه إقليمية. فإن تأمين هذا البحر ضد أى اعتداء خارجى من مسئولية هذه الأطراف كدفاعها عن الأرض.

كما أن يقينى بأن الدفاع عن كيان واستقلال هذه الأطراف الثلاثة يستلزم بالضرورة الدفاع عن البحر الأحمر الذى تظل عليه من الناحيتين وأن هذا الدفاع عن الأرض والبحر يحقق أمانها فى الدفاع المشترك عن كيانها بحسبان البحر الأحمر جزء من مسئولية هذه الأطراف فى تأمين السلامة الإقليمية لها.

ومن ثم فقد نصت المادة الأولى من هذا الميثاق الأمنى على حرص الأقطار الموقعة عليه على «دوام الأمن والسلام واستقرارهما» وهذا يعنى اعتزام كل من مصر والسعودية واليمن على تأمين الأرض والبحر ضد كل عدوان خارجى ولكن — كما جاء فى نفس المادة — باللجوء أولاً إلى أسلوب «فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية». وذلك تمشياً مع نصوص ميثاقى هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بهذا الخصوص.

كما نصت المادة الثانية من الميثاق على أن «تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أو على قواتها اعتداء عليها، ولذلك فإنها عملاً بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانها تلتزم بأن تبادر كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع مالىها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابها».

ويقينى أيضاً أن ضمان البحر الأحمر عمل جماعى ودفاع مشترك لا تنفرد به دولة واحدة، ومن ثم نصت هذه المادة الثانية على مشاركة دول الميثاق فى ضمان الأمن والسلام حتى وإن استدعى الأمر اللجوء إلى استخدام القوة المسلحة ضد العدوان الخارجى على أرض أو مياه دول الميثاق مجتمعة أو إحدى دوله حتى ينتهى العدوان. وتعود إلى الأرض أو المياه الإقليمية الأمن والإستقرار ويستتب السلام.. وحسب أن مياه البحر الأحمر مياه إقليمية لدول ميثاق أمن جدة الثلاث باعتبارها تشرف على هذا البحر من جانبيه الأفريقى والآسيوى وتمتلك معظم شواطئه على القارتين.

كما نصت المادة الثالثة على أن «تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها، بناء على طلب إحداها، كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر فى سلامة أراضى أية واحدة منها أو استقلالها، وفى حالة خطر الحرب الداهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى نخطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى إتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف».

واعتماداً أن توتر أو اضطراب العلاقات الدولية بصورة تؤثر على أمن وسلامة أراضى ومياه الميثاق أمر يستدعى التشاور لاتخاذ الاجراءات اللازمة

لضمان الأمن والسلامة لأراضى مصر والسعودية واليمن وبينها مياه البحر الأحمر الواقع وسط هذه الأراضى ، ومن ثم التزمت هذه الأقطار الثلاثة باتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية الضرورية لضمان استمرار الأمن والسلام ودوام الإستقرار للمنطقة أرضها وبحرها .

وحرصت المادة الرابعة من الميثاق على تأكيد التزام الأقطار الثلاثة بالدفاع المشترك وضمان الأمن حتى فى حالة وقوع عدوان خارجى مفاجئ على أحد دول الميثاق سواء حدث العدوان على الأرض أو المياه الإقليمية لتلك الدولة . وجاء هذا التأكيد فى النص أنه «بالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التى تتخذ لمواجهة العدوان ، تقرر الدول الثلاث فوراً الاجراءات التى تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ» (٣٥) .

وتتوالى مواد الميثاق لتؤكد التزام الدول الثلاث بضمان أمن وسلامة أراضيها ومياهها باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا الالتزام ومن بين هذه الاجراءات ما نصت عليه المادة الخامسة بتشكيل عدة أجهزة تتولى تنفيذ ما نص عليه الميثاق من التزام دفاعى مشترك مثل : المجلس الأعلى ، والمجلس الحربى والقيادة المشتركة .

وقد عالجت المواد السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة كيفية تشكيل هذه المجالس واختصاصاتها ووظائفها وتمثيل دول الميثاق الثلاث فيها فالمجلس الأعلى يتكون من وزراء الخارجية والحربية للدول المتعاقدة ، والمجلس الحربى يتكون من رؤساء أركان حرب الجيوش الثلاثة التابعة لدول الميثاق ، بينما تتكون القيادة العامة من قائد عام وهيئة أركان الحرب والوحدات التى يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها وتمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهى ذات صفة دائمة .

ويقضى أن هذه الأجهزة هى الأدوات أو الوسائل العلمية الكفيلة بضمان الأمن والإستقرار، وأن مجرد قيامها دليل على التزام دول ميثاق أمن

(٣٥) وزارة الخارجية : مكة المكرمة : مجموعة المعاهدات .

جدة بالدفاع عن أراضيها ومياهها، هذا وقد تشكلت القيادة العامة وجعل على رأسها قائد عام مصرى واختيرت القاهرة مقر لهذه القيادة العامة.

وانتهى الميثاق بالمادتين الحادية عشرة والثانية عشرة، الأولى نصت على عدن تعارض نصوص الميثاق مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة، بينما نصت الثانية على سريان الميثاق لمدة خمس سنوات تتجدد بتلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا، ولأى دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد ابلاغ الدولتين الأخريين كتابة برغبتها فى ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أى من المدة المذكورة سابقا.

وهكذا كان ميثاق أمن جدة خطوة عربية لضمان أمن البحر الأحمر ولمواجهة أية تهديدات خارجية لهذا البحر، وبالتالي للدول المطلة عليه، لأن تهديد أمن البحر الأحمر تهديد للدول الواقعة على شواطئه الأفريقية والآسيوية فى آن واحد، كما أن تهديد أمن الدول التى لها سواحل على البحر الأحمر تهديد لأمن هذا البحر وجعله مسرحا لاضطرابات دولية بل وتنافس عالمى حول امكانيات البحر الأحمر وامكانيات دوله فى وقت واحد.

ومما هو جدير بالذكر أن ميثاق أمن جدة الذى شاركت فى التوقيع عليه حكومات كل من مصر والسعودية واليمن فى ٢١ أبريل عام ١٩٥٦م تمتش مواد ونصوصه مع مواد ونصوص ميثاق الحلف العسكرى الذى تم التوقيع عليه فى القاهرة بتاريخ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥م بين كل من حكومتى جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية. أى أن الميثاق الثنائى الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٥٥م كان هاديا ومقدمة لميثاق الأمن الثلاثى الذى عقد بجنة فى العام التالى.

مؤتمر تعز عام ١٩٧٧م

لم يكن انعقاد مؤتمر تعز فى ٢٢/٢٣ مارس ١٩٧٧م الا آخر الخطوات التى اتخذتها الدول المطلة على البحر الأحمر حتى الآن للبحث فى كيفية ضمان أمن هذا البحر بعد أن تعرض هذا الأمن لتهديدات قوى خارجية أومعادية للأقطار العربية المطلة على هذا البحر. إذ كانت هناك خطوات

أخرى فردية وجماعية من جانب الأقطار العربية ومنذ ميثاق أمن جدة حتى مؤتمر تعز للحفاظ على أمن وأستقرار البحر الأحمر من بين تلك الخطوات موقف المملكة العربية السعودية من مرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة تحت مظلة قوات الطوارئ الدولية في شرم الشيخ عقب حرب السويس عام ١٩٥٦م — ذلك الموقف العنيد الذي استنكر مرور السفن الاسرائيلية باعتبارها سفنا معادية تهدد أمن البحر الأحمر والدول العربية المطلة عليه، وجاء ذلك الاستنكار في البيان الرسمي الذي أصدرته الحكومة السعودية يوم ١٤ شعبان سنة ١٣٧٦هـ الموافق عام ١٩٥٧م (٣٦). كما جاء هذا الأستنكار مرة أخرى في مذكرة وزارة الخارجية السعودية الموجهة لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٧٦هـ ردا على بيان وزارة الخارجية الأمريكية الصادر في ٥ يونيو عام ١٩٥٧م باعتبار خليج العقبة ممرا عالميا حرا تستطيع السفن الامريكية المرور فيه متى شاءت، بينما لم تكن تستطيع ذلك عندما كانت شرم الشيخ في القوات المصرية، وخليج العقبة خليج عربي تمر فيه فقط السفن المصرية السعودية والأردنية. كما جاء الأستنكار أخيرا في اذاعة لسياسى سعودى بالتليفزيون الأمريكى يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٧٦هـ (٣٧).

ثم جاء عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧م على مصر والاردن وهما من دول البحر الأحمر إلى جانب سوريا لئيبه إلى خطورة انطلاق إسرائيل إلى مياه هذا البحر جنوبا إلى آسيا وأفريقيا، وهذا يستلزم المواجهة العربية للوقوف أمام دخول السفن الاسرائيلية المعادية إلى مياه البحر الأحمر ولم تكن هناك خطورة عملية في هذا السيل قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م.

ولعلنا نتذكر ما أعلنته مصر في بداية المعركة (٦ أكتوبر ١٩٧٣م) — أن كل البحر الأحمر من باب المندب جنوبا حتى قناة السويس شمالا منطقة عمليات عسكرية وأن مصر تحذر من دخول أية سفن إلى البحر الأحمر أثناء الممارك وحتى إشعار آخر حتى لا تتعرض للقذائف المصرية من السفن

(٣٦) أمين سميد: تاريخ الدولة السعودية ج٣ ص ١٩٨.

(٣٧) نفس المصدر ص ٢٠١.

الحربية أوطائرات القتال . وحقيقة هذا الإعلان — في رأيي — هو منع السفن الاسرائيلية من المرور في هذا البحر أودخول سفن أجنبية بهدف مساعدة اسرائيل ، وهذا حفاظ على أمن هذا البحر وضمان لحرمان العدو من المساعدات الأجنبية الخارجية .

وفي اعتقادي أن هذا الإعلان اللتي صدر عن الدولة العثمانية في القرن السادس عشر، عندما احتلت مصر والحجاز ووصلت إلى اليمن، بأن البحر الأحمر تطل على الأرض التي تتشرف بوجود الأماكن المقدسة فيها فيحرم على السفن المسيحية المرور في مياه هذا البحر، والإعلان العثماني يهدف في المقام الأول حرمان السفن البرتغالية من دخول البحر الأحمر حيث كانت البرتغال آنذاك أعدى أعداء الشعوب الإسلامية وإعلان مصر عام ١٩٧٣ م يهدف في المقام الأول إلى ضمان أمن البحر الأحمر لمصلحة مصر والدول العربية المطلة عليه وحرمان القوة المعادية ومن يساندها من انتهاك أمن هذا البحر وتهديد سلامة وكيان الأقطار العربية « البحر الأحمر » وفي مقدمتها مصر .

ثم جاء مؤتمر تعز عام ١٩٧٧ م كخطوة عملية بارزة المعالم على طريق ضمان أمن البحر الأحمر ضد التهديدات الخارجية ومن هنا لابد من الوقوف على مبررات عقد هذا المؤتمر قبل أن نبحث في كيفية انعقاده ونتائج الاجتماعات أى القرارات التي صدرت عن المؤتمر ومدى مناسبتها لضمان أمن البحر الأحمر .

لعل أهم المبررات التي دفعت بالقضية إلى الظهور في الأقطار العربية المطلة على البحر الأحمر هي :-

أولاً: حدوث ثورة اشتراكية في أثيوبيا أدخلت الاتحاد السوفيتي إلى مياه البحر الأحمر عند السواحل الأثيوبية والارتيرية ..

ثانياً: ازدياد اشتعال الثورة الارتيرية ضد السيطرة الأثيوبية ..

ثالثاً: الصدام بين أثيوبيا والصومال حول إقليم أوجادين الذي تسيطر عليه أثيوبيا رغم أن معظم سكانه صوماليون ودخول الاتحاد السوفيتي وكوبا إلى جانب أثيوبيا .

رابعاً: محاولات اسرائيل التعاون مع أثيوبيا ضد الدول العربية من أجل أن تجدد لها مواقع في جنوب البحر الأحمر.

خامساً: الصراع البحري على شواطئ المحيط الهندي قرب مدخل البحر الأحمر بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي.

سادساً: الخلافات العربية البحر احمرية خاصة بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية، وبين اليمن الجنوبية وسلطنة عمان.

هذه أهم المبررات لعقد هذا المؤتمر، وهي ما يمكن تسميته بخريطة الصراع التي دفعت بالرئيس جعفر محمد نميري إلى إعلان مبادرته التي أنتجت عقد مؤتمر تعزز..

أولاً: الثورة الأثيوبية

تعتبر أثيوبيا هي الدولة غير العربية الوحيدة التي تطل على البحر الأحمر ومن ثم نجدتها تنظر بارتياح إلى أى اجتماع يدعو إليه أحد الزعماء العرب حتى ولو كان الاجتماع لبحث موضع أثيوبيا طرف فيه مثل أمن البحر الأحمر. ثم أن إعلان الثورة الاشتراكية في أثيوبيا منذ عام ١٩٧٤م قد باعد بينها وبين التعاون مع الأفطار العربية «البحر احمرية» وخاصة مصر والسعودية والسودان واليمن الشمالية بسبب إدخال الأثيوبيين للوجود السوفيتي والكوبي إلى مياه البحر الأحمر، مما اعتبرته الأفطار العربية تهديداً لأمنها وأمن البحر الأحمر. ولاشك أن هذا مبرر قوى من المبررات التي كانت وراء الدعوة لعقد مؤتمر لبحث ضمان أمن البحر الأحمر.

ثانياً: الثورة الارترية

ترجع أصول القضية الارترية إلى سنوات طويلة منذ أن أنهى الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور أثيوبيا كيان الأقليم الاريتري وجعله جزءاً من امبراطوريته هذا على الرغم من أن الثورة في الاقليم لم تبدأ إلا منذ حوالي عشرين عاماً حين هاجم الثوار ائذاك أحد المخافر الحكومية في أقصى حدود أريتريا الغربية الملاصقة للسودان. ومنذ ذلك الحين والثورة تشتد ضد حكم الامبراطور ثم ضد الحكم العسكري في أديس أبابا حتى سيطر الاريتريون على حوالي ٨٠% من أراضي الأقليم.

ومما يزيد في حدة الأزمة الأريتيرية أن النظرة الامهرية لحكام أثيوبيا الجدد للثورة في الأقليم لا تكاد تختلف عن نظرة الأمبراطور هيلاسلاسي إذ كان الامبراطور يحاول أن يحبسها عن سمع العالم كله، يصورها وهما بأنها مجرد نوع من «الشفقة» — أى قطاع الطرق الجبلية — وحكام أثيوبيا العسكريون يصورونها الآن بأنها مجرد عمليات عنف مصدر من الخارج من بعض الدول العربية من أجل القضاء على الامبراطورية الأثيوبية (٣٨).

ونظرا لاشتغال الثورة الأريتيرية والموقف المتصلب لحكام أديس أبابا فلا يمكن اعتبار الموضوع مسألة داخلية، حيث أن للأقليم الأريتيري تاريخه الذى كان فيه غير خاضع لأثيوبيا، ثم أن الأقليم يقع على ساحل البحر الأحمر وبه مينائى عصب ومضوع اللذان تعتمد عليهما أثيوبيا كل الاعتماد... إلى جانب ميناء جيبوتى فى حركة التجارة الأثيوبية مع العالم الخارجى. ومن هنا لا بد للأقطار «البحر الأحمر» من أن تبحث الموقف فى أريتريا، لأن استمرار التوتر هناك يهدد أمن البحر الأحمر والأقطار المطلة عليه.

ثالثا: الصدام الصومالى الأثيوبى

منذ أن حصلت الصومال على استقلالها فى أول الستينات من القرن الحالى وهى تنظر باهتمام إلى الإقليم الصومالية الخاضعة لدول أفريقية أخرى منذ أن سيطر الاستعمار الغربى على شرق أفريقيا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ومن بين هذه الأقاليم الصومالية إقليم أوجادين الذى تسبطر عليه أثيوبيا رغم أنه يكون جزءا طبيعيا متمما للصومال وغالبية سكانه العظمى من الصوماليين ومن هنا كان التوتر بين الدولتين المتجاورتين أثيوبيا والصومال.

ومما يزيد من حدة الصراع بين الدولتين اصرار أثيوبيا على عدم التفاوض مع الصومال لتقرير مصير إقليم أوجادين بين المتنازع عليه، ورغم أن الاتحاد السوفىيىتى كان صديقا للطرفين: جمهورية الصومال الديمقراطية ذات النظام الاشتراكى، والحكم العسكرية فى أثيوبيا الأكثر اتجاها نحو

(٣٨) جريدة الأهرام (عدد الجمعة ١٥ أبريل ١٩٧٧م).

الاشتراكية، إلا أنه من الواضح أن الروس يتعاطفون مع الأثيوبيين. وهذا يفتح باباً لتدخل قوى أجنبية في مسألة «بحر أحرية» مما يهدد أمن البحر الأحمر.

ومما تجدر ملاحظته أن لروسيا ومنذ القرن التاسع عشر تطلعات نحو أثيوبيا بصفة خاصة، وتشير الوثائق البريطانية إلى محاولات روسيا القيصرية إيجاد موضع قدم لها في أثيوبيا سواء بادعاءات دينية أول لتقديم مساعدات عسكرية للأثيوبيين ضد أعدائهم.

فتذكر موسكو جازيت في عددها الصادر في ١٦ سبتمبر ١٨٨٧م أن من الخطأ تجاهل المصالح الروسية في أثيوبيا والبحر الأحمر في الوقت الذي تتواجد فيه مطامع انجليزية وفرنسية هناك وأن مصالح روسيا مع أثيوبيا تعتمد على الارتباط الدينى بين البلدين إذ أن مذهبيها هو الأرثوذكسية (٣٩).

وتحقيقاً لما نادى به «موسكو جازيت» بدأ توافد الروس على أثيوبيا في شكل جماعات أوحدات منظمة، فيرسل القنصل البريطاني في بورسعيد بتاريخ ٦ يناير ١٨٨٩م أن ٤٤٦ رجلاً روسيا مع قليل من النساء ورجال الدين غادروا — بورسعيد آنذاك على باخرة نمساوية متجهين إلى أوبوك (٤٠). كما أبرق القنصل البريطاني في سواكن بأن هذه البعثة الروسية والتي أتضح أنها بقيادة الجنرال نيكولايف Nicolaieff وعدد أفرادها حوالي ١٥٠ فرداً قد غادرت أوبوك على نفس الباخرة وتراقبها سفينة حربية إيطالية (٤١). ثم أضاف حاكم سواكن عن طريق سير أيفلن بارنج المعتمد البريطاني في مصر — أن هذه البعثة الروسية تنوى التوجه من أوبوك إلى جنوب الحبشة عن طريق هرر للعمل في الجيش الأثيوبي، حيث تحتاج

F.O. 403/90 75: Sir R. Morier to the Marquis of Salisbury, St. (٣٩) Betsburg, September 20, 1887.

F.O. 403/123/2: Consul nurrell to the Marquis of Salisbury, Port (٤٠) Said, January 6, 1889.

F.O. 403/123/13: Sir E. Baring to the Marquis of Salisbury, Cairo, (٤١) January 15, 1889.

أثيوبيا لعدد من الضباط، وحيث يوجد فعلا بعض القوزاق Cossacks في أوبوك ومن المنتظر وصول المزيد الذين يحتمل وصول عددهم إلى ألفين (٤٢).

وكما أن السفير البريطاني في سان بطرسبرج St. Petersburg أرسل لوزير الخارجية البريطانية يذكر أن حملة روسية يقودها كارجوبولوف Kargopoloff في طريقها إلى الحبشة، حيث غادرت طقشند ستمر بكل من فارس، بومباي وعدن إلى جيبوتي، ثم تتقدم إلى هرر تحت ادعاء بأن مهمتها البحث العلمى (٤٣). وكانت هناك بعثة ثالثة بقيادة الكابت الروسى ليونتيف Leentieff في طريقها إلى الحبشة واستمرت هذه البعثة حوالى خمسة سنوات في نزولها بالقاهرة ومحاولة دخول الحبشة عن طريق الخرطوم، أوعودتها بعد وصولها عن طريق البحر إلى الحبشة، وردا على استفسارات البريطانيين في شرق أفريقيا أجاب الايرل أوف كمبرلى Earl of Kimberley بأنه فهم من السفير الروسى في لندن بأن هدف بعثة ليونتيف الوحيد هو الجانب الدينى فقط (٤٤).

وقد سقت هذه الشواهد لأدلل على اهتمام الروس من وقت مبكر بشرق أفريقيا ومدخل البحر الأحمر، فما نشاهده الآن ومنذ أوائل السبعينيات من القرن الحالى من تواجدهم في القرن الأفريقى ما هو إلا إحياء لأطماعهم القديمة منذ الثمانينات من القرن الماضى.

وفى إعتقادى أنه على الرغم من أن الصومال كانت أسبق من أثيوبيا في الإرتباط بالروس حتى وصل هذا الإرتباط إلى جد اعطائهم تسهيلات في ميناء بربره الصومالى، إلا أن أثيوبيا — عندما حدثت بها الثورة الإشتراكية كانت أكثر اغراء من الصومال بحكم وجود ظروف اقتصادية واجتماعية

F.O. 403 123/ 15: Sir E. Baring to the Marquis of Salisbury, Cairo. (٤٢) January 17, 1887.

F.O. 403/125/ 193: Sir. Morier to the Marquis of the Salisbury, St. Petersburg, April 7, 1890. (٤٣)

F.O. 403 22/ 54: The Earl of Kimberley to Sir F. Lascelles, Foreign Office, February 5, 1895 (٤٤)

تشجع على انتشار المبادئ الاشتراكية الماركسية في أثيوبيا عن الصومال ،
ناهيك عن عامل الدين ، فالصومال بلد إسلامي شعبه الفقير يتمسك
بالإسلام ديناً ، بينما الأثيوبيون مسيحيون شرقيون ، والروس كانوا قبل الثورة
البلشفية مسيحيين شرقيين .. لهذا صار الاتجاه الروسي نحو أثيوبيا يهدد أمن
البحر الأحمر ويهدد مصالح الأقطار العربية المطلة على هذا البحر .

رابعاً : اسرائيل ومدخل البحر الأحمر :

منذ أن أصبح لإسرائيل ميناء على خليج العقبة وصارت سفنها خاصة
بعد أحداث السويس عام ١٩٥٦ من تمر عباب البحر الأحمر اتجهت
لتكوين صلاصة قوية مع أثيوبيا لتصبح للسفن الاسرائيلية مواضع قدم في
مواجهة الغلبة العربية على مياه البحر الأحمر ومدخله من الشمال والجنوب
ومن هنا حدث التعاون الاسرائيلي الأثيوبي في المجالات العسكرية
والاقتصادية والفنية .

وعندما تحققت الغلبة العربية على مياه البحر الأحمر أثناء حرب أكتوبر
١٩٧٣م حاولت اسرائيل من جديد اثارة مخاوف أثيوبيا من هذه الغلبة لكي
يصبح لاسرائيل موضع قدم في أى مكان من الجزر الصخرية العديدة الحالية
من الحياة والتي تتناثر حول المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، في مواجهة
جزيرة مينون أو برم التـر تحكم مضيق باب المندب علماً بأن تلك الجزر
الصخرية تتنازع السيطرة عليها كل من حكومات الجمهورية العربية اليمنية
والجمهورية اليمن الديمقراطية وأثيوبيا . ومحاولات اسرائيل هذه تهدد أمن البحر
الأحمر وبالتالي تزيد من تهديدها لأمن الأقطار العربية المطلة على هذا
البحر .

خامساً : أمريكا وروسيا ومدخل البحر الأحمر :

استطاع الأمريكيون الحصول على عدد من القواعد العسكرية في المحيط
الهندي في كل من موريشيوس ومالديف وجزر يوجاسيا ، كما استطاعوا
أيضاً استئجار جزيرتي دهلك وسنتيان لمدة ٢٥ سنة من أثيوبيا والجزيرتان

من الجزر الأخوات السبع التى لاتبعد عن مضيق باب المندب بأكثر من
٦ أميال بحرية (١٥).

وفى المقابل حصل الاتحاد السوفيتى على تسهيلات بحرية فى عدن وفى
ميناء بربره الصومالى، وفى موزمبيق وبدأ يتطلع إلى الموانئ الأثيوبية على
البحر الأحمر.

وهذه التحركات الأجنبية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى تتطلب
بالضرورة اليقظة واعداد العدة لضمان أمن البحر الأحمر ودوله وإبعاده عن
الصراعات الدولية والمطامع الأجنبية.

سادسا: الخلافات العربية « البحر أحمرية » :

ان وجود خلافات سمها كانت أسبابها - بين قطرين أو أكثر من
الأقطار « البحر أحمرية » يهدد بالضرورة أمن البحر الأحمر وأمن أقطاره
ناهيك عن صعوبة القيام بعمل مشترك لإبعاد الأخطار الخارجية والصراع
الدولى عن البحر الأحمر وأقطاره. فالخلاف القائم بين جمهورية اليمن الجنوبية
وسلطنة عمان، من ذلك النوع من الخلافات التى تحول دون الاتفاق على
عمل مشترك لضمان أمن البحر الأحمر وخاصة تأمين مدخله الجنوبى أمام
المحاولات الخارجية للتدخل وفرض الوجود.

كانت تلك - فى رأى - مبررات كافية لأن يعقد مؤتمر تعز ولكن هل
كانت تلك المبررات مجرد اجتماع رؤساء أربع دول فقط من دول هذا
البحر؟.

فى الواقع جاءت مبادرة الرئيس جعفر نميرى لعقد مؤتمر يبحث فى كيفية
ضمان أمن البحر الأحمر موجهة إلى كل دول البحر الأحمر وفى مقدمتها مصر
والملكة العربية السعودية والسودان والصومال واليمنيين فقط هى التى
استجابت للنداء واجتمع رؤساؤها فى تعز فى مارس ١٩٧٧ م.

ولسنا بصدد الدخول فى تفاصيل اللقاء الرباعى، ولكننا نستعرض
بالمناقشة التوصيات التى صدرت عن المؤتمرين، وقد سبقت تلك التوصيات

(٤٥) جريدة الأهرام عدد الجمعة ١٥ أبريل سنة ١٩٧٧ م.

ابراهيم الحمدي رئيس اليمين الشمالية وجعفر نميري رئيس جمهورية السودان
توضح الهدف من المؤتمر واستجابة الأقطار الأربعة للمبادرة السودانية .

ومما جاء في كلمة المقدم ابراهيم الحمدي : «أنا كدولة مطلقة على
حوض البحر الأحمر مسئولية عنه بحكم حقنا في السيادة الوطنية على مياها
الأقليمية .

كما أن هذا اللقاء يعتبر فريدا من نوعه عمليا واستراتيجيا وبخاصة
ومعاداتنا ليست مقتصرة على موضوع بعينه وإنما سنتناول العديد من المواضيع
التي تهنا كمستولين في دولنا وشعوبنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا .

وهذا في رأيي هام للغاية فلا يمكن النظر إلى ضمان أمن البحر الأحمر
باعتبارها مسألة استراتيجية فقط ، لأن وجود تحلف اجتماعي واقتصادي على
شواطئ البحر الأحمر يساعد على عدم الاستقرار ويفتح بابا للصراع الدولي
يدخل منه ويفرض نفوذه . ومن هنا كانت كلمة رئيس اليمين الشمالية لها
دلالته الواعية ودعوة للعمل الجاد المتكامل الشامل .

وأضاف الرئيس الحمدي في كلمته أن هذا اللقاء ليس مظهرة ضد
أحد ولا من أجل التآمر على أحد ولا أرى فيه خروجا عن حقنا المشروع
كأخوة أشقاء في أن نلتقى لتندرس أمورنا وقضايانا صغيرة وكبيرة وخصوصا
ما يتعلق بالتعاون المشترك على مافيه حماية سيادتنا على أرضنا ومياها
الأقليمية في حوض البحر الأحمر وعلينا اليوم تقع مسؤولية عظيمة تلك هي
الخروج بأوطاننا من شباك الصراع الدولي وفي سبيل الحفاظ على أمن البحر
الأحمر في حاجة بالطبع إلى مساندة أشقائنا العرب من مبدأ وحدة النضال
العربي ضد الصهيونية وقوى الغزو الأجنبي ، ومن مبدأ أن أول خطر يهدد
منطقة عربية هو خطر على العرب أجمعين (٤٦) .

كانت هذه الكلمات علامات على أهداف المؤتمر وما ينبغي عمله
لتحقيق تلك الأهداف وإزالة مخاوف أثيوبيا والتمسك بميثاق الأمم المتحدة

(٤٦) جريدة الثورة اليمنية : العدد ٢٩١١ الأربعاء ٣ ربيع الثاني في ١٣٩٧هـ / ٢٣ مارس

الداعية إلى السلام والاستقرار وكانت تلك الكلمات مقدمة للوصول إلى التوصيات التي صدرت عن المؤتمر في شكل بيان صحفي كان أهم جاء به .

بسم الله الرحمن الرحيم : « انطلاقا من روح التضامن العربي وأهمية التشاور بين الأشقاء وفي يوم الثلاثاء الثاني من شهر ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٢ من شهر مارس ١٩٧٧ م تم لقاء تشاوري على مستوى قمة بين كل من :-

- فخامة الرئيس جعفر نميري رئيس جمهورية السودان الديمقراطية .
- فخامة الأخ محمد سياد بري الأمين العام للحزب الاشتراكي الثوري الصومالي ورئيس جمهورية الصومال الديمقراطية .
- فخامة الأخ سالم ربيع علي رئيس مجلس الرئاسة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
- فخامة الأخ المقدم ابراهيم محمد الحمدي رئيس مجلس القيادة والقائد العام للقوات المسلحة للجمهورية العربية اليمنية .

وبعد أن أجريت لهم مراسم الاستقبال تشاوروا حول تنسيق جهود دولهم مع الدول العربية المقتدرة في سبيل تطوير مواردها والرقى بشعبها في إطار التعاون والتضامن العربي وفي هذا الشأن تم الاتفاق على تحرك مشترك . وتناول الرؤساء الوضع في حوض البحر الأحمر واتفقوا على ضرورة أن يظل منطقة سلام ووثام وأن تعمل الدول المطلة عليه على تحقيق هذا الهدف بالتشاور والتنسيق فيما بينها نظرا للعلاقات الطيبة بين فرنسا والدول العربية وتحقيقا لوعود فرنسا المعلنة والمتعلقة في اعطاء الساحل الصومالي - جيبوتي - (٤٧) استقلاله التام عن طريق الديمقراطية الحقة ، يناشد الرؤساء الأربعة فرنسا بمنح جميع المواطنين في الساحل الصومالي حقهم الشرعي في ممارسة الاقتراع على أسس وطنية وديمقراطية وليس على أسس قبلية مما قد يؤدي إلى التناحر وتهديد الأمن والسلام في البلاد وتأزم الموقف في المنطقة .

(٤٧) لم تكن قد حصلت بعد على استقلالها .

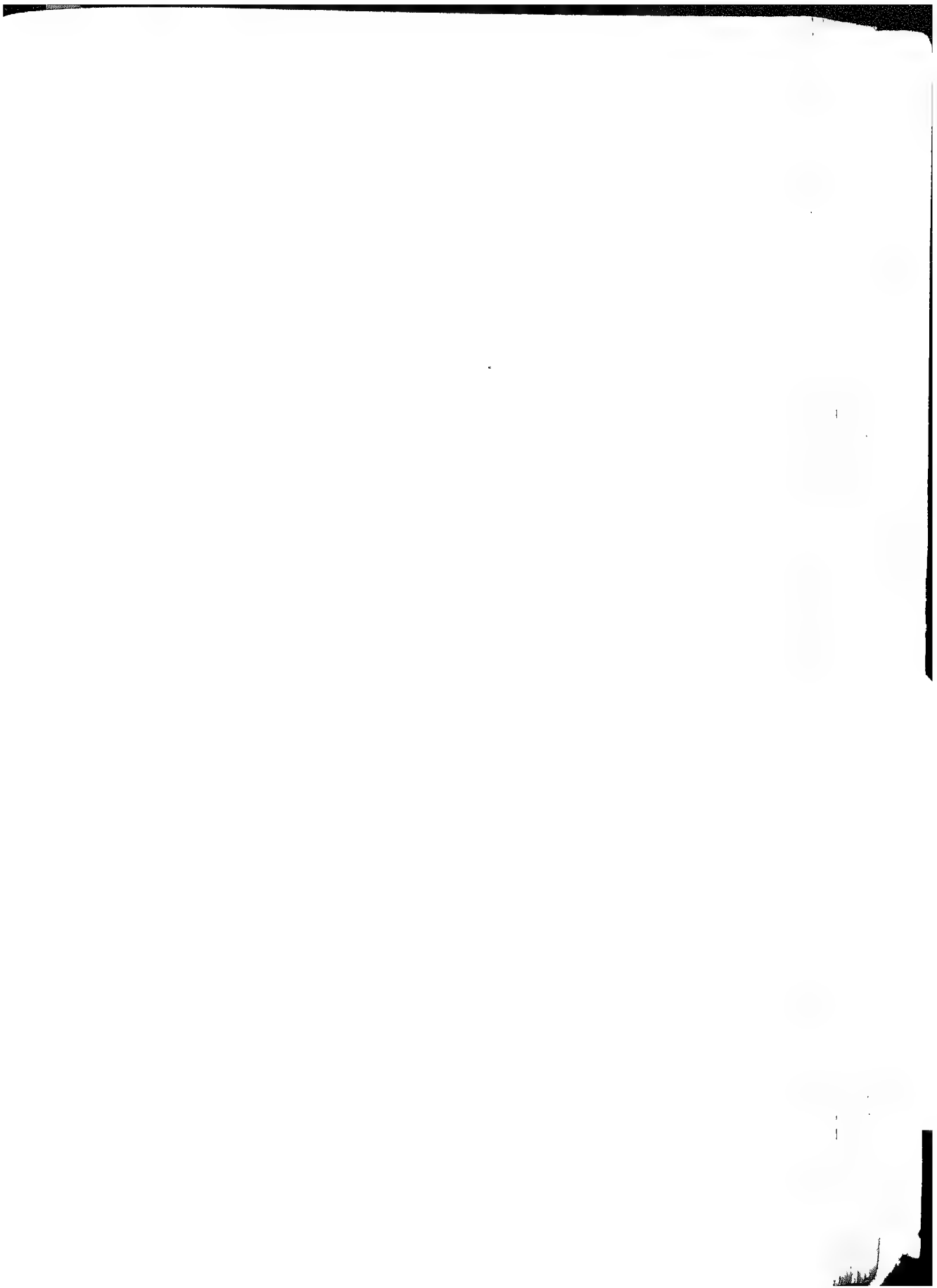
وشدّد الرؤساء على أهمية التضامن لمواجهة السياسة العدوانية لاسرائيل والقوى الصهيونية التي تدعها. واتفق الرؤساء على أهمية استغلال ثروات البحر الأحمر لمافيه خير شعوب الدول المطلة عليه، وتقرر في هذا الشأن تكوين لجنة فنية مشتركة لاجراء الاتصالات الضرورية اللازمة للدول المطلة على البحر الأحمر واعداد الدراسات اللازمة وأن تواصل الدول المشتركة في هذا اللقاء جهودها من أجل عقد لقاء موسع يضم كافة الدول المطلة على البحر الأحمر^(١٨).

« صدر في تعزيز يوم الأربعاء الثالث من ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٣ من مارس ١٩٧٧ » :

وليس لنا من تعليق على هذا البيان الصحفي الذي صدر في ختام يومين من الاجتماعات بين رؤساء الأقطار العربية الأربعة التي تمسك بزمam مدخل البحر الأحمر الجنوبي إلا أن نقول أنه كان بداية لإثارة قضية لها أهميتها وتنبيه الأقطار العربية « البحر أحرية » إلى الأخطار التي تهددهم سواء كانت أخطارا خارجية ترجع إلى الصراع الدولي حول المنطقة أو أخطارا داخلية تتمثل في وجود تحركات اسرائيلية وشكوك أثيوبية ، أو كانت مخاطر تخلف الأقطار العربية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا بصورة تساعد على عدم الإستقرار بل وتتيح الفرصة للتدخل الأجنبي إلى جانب الخلافات بين الأقطار العربية ذات الأثر الخطير على كل عمل مشترك لمصلحة العرب .



(١٨) جريدة الشوكة اليمنية : العدد ٢٩١٢ الخميس ٤ ربيع الثاني في ١٣٩٧ هـ / ٢٤ مارس ١٩٧٧ م.



■ الفصل الثامن ■

سلطنة عمان

— مقدمة

— جغرافية عمان .

— تاريخ عمان .

— عمان والعالم :

أولاً : السيد سعيد بن سلطان .

ثانياً : السلطان سعيد بن تيمور .

ثالثاً : السلطان قابوس بن سعيد .

■ مقدمة ■

نعنى بأقطار الخليج العربية الكويت البحرين وقطر ودولة الإمارات العربية وسلطنة عمان ، التي ظهرت للوجود كدول مستقلة في عام ١٩٧١م باستثناء الكويت التي سبقت بقية أقطار الخليج العربى فى الاستقلال بعشر سنوات .

وفى عدا سلطنة عمان فقد كانت أقطار الخليج العربى قبل الإستقلال عبارة عن مشيخات قبلية تعيش على ساحل الخليج تعمل فى الصيد والغوص على اللؤلؤ وركوب البحر للتجارة أو لإرشاد السفن ، حتى إذا ظهرت على سطح مياه الخليج سفن تحمل رايات مرسوم عليها الصليب ظهرت عمليات الجهاد البحرى الإسلامى حيث قاد رجال القبائل مراكبهم الصغيرة وكانوا يخرجون فى جماعات لمهاجمة تلك السفن الأجنبية .

وكانت عمليات الجهاد البحرى الإسلامى رد فعل لقسوة البرتغاليين فى التعامل مع سكان مشيخات الخليج العربى فى القرن السادس عشر ومن ثم انتقل رد الفعل العربى ضد السفن الهولندية ثم السفن البريطانية حتى حدث الصدام بين البريطانيين ومشيخة رأس الخيمة منذ عام ١٨٠٩م ذلك الصدام الذى انتهى بتدمير رأس الخيمة عام ١٨١٩م وفرض معاهدات الهدنة على رأس الخيمة والشارقة ودبنى وأبى ظبى وغيرها من المشيخات عام ١٨٢٠م وما بعده .

وقد تحولت هذه المعاهدات إلى ماعرف بالمعاهدات المانعة التي فرضتها بريطانيا على مشيخات الخليج العربى وكانت تمنع هذه المشيخات من أربعة أشياء هى:

- ١- عدم القيام بعمليات الجهاد البحرى أو أية عمليات بحرية تهدد السلم والأمن فى الخليج العربى أو تعوق حركة الملاحة والمواصلات للامبراطورية البريطانية.
- ٢- عدم الاتجار فى السلاح أو ادخاله إلى منطقة الخليج العربى.
- ٣- عدم الاتجار فى الرقيق أو جلبه إلى مشيخات الخليج.
- ٤- عدم التنازل عن أية قطعة من الأرض من المشيخات لأية قوة أجنبية دون موافقة بريطانيا.

وبعد الحرب العالمية الأولى تحولت تلك المعاهدات المانعة إلى ماعرف بمعاهدات الحماية التى فرضت على مشيخات الساحل العمانى كما فرضت على سلطنة عمان وعلى قطر والبحرين والكويت، تلك المعاهدات التى ظلت سارية المفعول حتى أنها بريطانيا بالاعتراف باستقلال الكويت عام ١٩٦١م، ثم بإعلانها عام ١٩٦٨م بأنها تنوى الانسحاب من منطقة الخليج العربى. وتعترف باستقلال مشيخات الخليج العربى فى موعد لا يتجاوز نهاية عام ١٩٧١م، وبالفعل قامت فى خريف ذلك العالم أقطار الخليج العربى المعروفة والسابق ذكرها وانتهت الحماية البريطانية.

ويجب أن نذكر أنه بمجرد اعلان بريطانيا عام ١٩٦٨م برغبتها فى الانسحاب من منطقة الخليج العربى قبل نهاية عام ١٩٧١م دارت مفاوضات بين الإمارات التسع وهى البحرين وقطر وأبوظبى ودبى والشارقة ورأس الخيمة وعجمان والفجيرة وأم القرين لتكوين دولة اتحادية فيما بينها، ولكن نظرا لبعض الصعوبات فقد أعلنت كل من قطر والبحرين استقلالهما فى سبتمبر ١٩٧١م، ثم تكون اتحاد ضم الإمارات السبع الباقية فى نفس العام تحت أسم دولة الإمارات العربية المتحدة.

كما يجب أن نذكر أن سلطنة عمان كانت على الرغم من معاهدة الحماية البريطانية تتمتع بشيء من الاستقلال أكثر من أقطار الخليج

الأخرى ، وفي عام ١٩٧١م تمت ازاحة السلطان سعيد بن تيمور لصالح ابنه قابوس بن سعيد الذى أنهى عزلة وانغلاق بلاده لتشهد نهضة عظيمة وتطورا كبيرا .

كما يجب أن نلاحظ أن أقطار الخليج العربى الخمس بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية كونت تنظيما إقليميا تحت اسم مجلس التعاون الخليجى منذ عام ١٩٨١م وهو تنظيم ينسق العلاقات الأمنية والثقافية والاقتصادية لمصلحة تلك الأقطار وهو بهذا إضافة لليقطة العربية .

تاريخ سلطنة عمان المعاصر

تعتبر سلطنة عمان من أقدم الكيانات السياسية فى منطقة الخليج ، ومن ثم كانت لها شخصيتها العربية المبتثقة من هويتها الإسلامية القوية ، كما كانت لها علاقاتها الدولية مما أعطاها مكانة دولية ، وقد نشط أهلها فى مجال ركوب البحر بخبراتهم الملاحية سواء للتجارة مع الهند وجنوب آسيا ، وللتجارة مع شرق أفريقيا ، وسواء لإرشاد السفن التى تمر عبر باب المحيط الهندى مركز تجارة التوابل وأوروبا عبر الخليج وعبر البحر الأحمر ..

وحتى نفهم الدور الحضارى لسلطنة عمان فى مراحل تاريخها الإسلامى والحديث والمعاصر لابد أن نتحدث عن جغرافية عمان وعرض سريع لتاريخها :

جغرافية عمان :

تقع عمان فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العربية وتبلغ مساحتها حوالى ثلاثمائة ألف كيلومتر مربع ، وسطحها يتميز بوجود سلاسل جبلية تمتد من رأس مسندم فى الشمال تتخللها أودية وبقاع خضراء إلى جانب سهل الباطنة الساحلى الخصب ، وتكسو الخضرة أيضا الجبل الأخضر الذى تكثر به الأشجار الثمرة ، وتمتد الجبال من رأس الحد فى الشمال الشرقى لتلتقى مع السلاسل الجبلية الممتدة من رأس مسندم ..

ويحتل موقع عمان أهمية استراتيجية حيث تسيطر على مدخل الخليج العربى عند رأس المسندم ، هذا المدخل الذى يعرف بمضيق هرمز الذى

يتحكم في مدخل الخليج العربي وارتباطه بالمحيط الهندي وتشارك إيران في التحكم في هذا المدخل ، وبذلك تكون إيران قريبة جدا في موقعها من عمان ، إلى جانب قرب عمان من الهند التي تشارك عمان في الإشراف على المحيط الهندي ..

ولعمان شاطئ طويل يبلغ عبر خليج عمان حوالي ألف ميل ، وتكثر الموانئ مثل صحار وبركاء والسبب وخابرة ومسقط وقریات وصور ودقم ، كما تمتلك عمان عدة جزر أهمها جزيرة مصيرة وجزر كوریا موريا الواقعة في بحر العرب وتقع في مواجهة برحكان بالقرب من جعلان وقد لعبت الموانئ والجزر دورا في علاقة عمان بأقطار الخليج العربية وغير العربية وبشبه القارة الهندية عبر التاريخ ..

وتنقسم عمان إلى خمس مقاطعات هي : الباطنة ومركزها صحار ، والشرقية ومركزها سمد ، والظاهرة ومركزها غبي قرب عبري ، وسير ومركزها نزوى ، والجوف ومركزها البرمي ..

ويعيش سكان عمان في تنظيم قبلي يرجع أصله إلى قبائل قحطان اليمنية التي سكنت جنوب الجزيرة العربية والتي يمثلها بنى هينا أوالجانب الهناري ، وإلى قبائل نزار العدنانية أو القيسية التي هاجرت من شمال غرب الجزيرة العربية والتي تمثلها قبائل بنى غافر أوالجانب الغافري ، وتنقسم القبائل في شمال عمان إلى بدو وحضر ، وهو التقسيم التقليدي في المجتمعات العربية ، وإلى جانب بنى هينا وبنى غافر توجد قبائل بنو رواحة التي تسكن في وادي سمايل التي ينتمي شيونها إلى عائلة الخليجي ، وبنى خروص التي تسيطر على واد رئيسي في المرتفعات الوسطى ، كما تتحكم في المدخل الشمالي للجبل الأخضر ، وقبيلة المعاويل في الوادي الخصب المسمى باسمها (وادي المعاويل) ، وقبيلة الموازنة التي تسيطر على واديا (وادي الموازنة) الذي يشكل معبرا يمكن من خلاله اجتياز الجبال في الشمال إلى الجنوب ، وقبيلة الحرث التي تسكن منطقة الشرقية الواقعة جنوب وادي سمايل ، هذا إلى جانب قبيلة العوامر التي تبنى وتضون شبكة الأثنية المسماة بالأفلاج ، وبنى بوحسن وبنى بوعلی ، وبنى خالد بالشرقية أيضا ،

وقبيلة بنى كعب ومركزها مدينة «مهاضة» في منطقة الظاهرة، وقبيلة دورو التى تقطن المنطقة الواقعة جنوب وشرق عبرى وقبيلة حاتم، وقبيلة بنى بطاش التى تسكن في منطقة الواقعة جنوب مسقط، وقبيلة بنى جابر وموطنها وادى سمايل وعلى طول ساحل الباطنة وقبائل وهيب والهرايسس والجنائيا إلى الجنوب من الشرقية، وقبيلة البوسعيد ومقرها مدينة آدم على طرف الصحراء، وفي ظفار تسكن قبائل المهرة والكثير والقراس وشيحو..

وينقسم سكان عمان إلى خمسة أقسام من حيث النشاط الاقتصادى الاجتماعى هى سكان المدن الساحلية مثل مسقط ومطرح وصحار وصور وغيرها من المدن التى يعيش سكانها على التجارة وصيد الأسماك والأسفار البحرية، والسكان الذين يعتمدون على الزراعة وسقياتها من الآبار وهم سكان الساحل في منطقة الباطنية، وسكان المدن الذين يعرفون بأسم الحضرة وهم أهالى نزوى والرسناق وسكان القرى الرئيسية في داخل البلاد الذين يعتمدون على الزراعة وفلاحة الأرض وعلى نظام السقاية المعروف بالأفلاج، والبدو الذين يسكنون السهول الواقعة جنوب البلاد وغربها، وسكان الجبال الذين يعرفون باسم الشحوح وهم يعيشون في شبه جزيرة مسندم وسكان ظفار.

ولوقوع عمان على مدخل الخليج العربى من الجنوب، فقد لعبت القبائل العمانية دورا مهما في سياسة الخليج والمحيط الهندى، وقد خرجت من عمان الأسر المالكة لسيراف وقيس وهرمز، وبقي العمانيون حتى مجيء الأوروبيين يشكلون القوة المحركة الكبرى في تجارة الخليج، وظلت العلاقات مستمرة وطيدة بين الشاطئين الشمالى (الفارسى) والجنوبى (العربى) للخليج طوال عصور التاريخ، وبذلك بقى النفوذ العربى العمانى قويا في جنوب فارس، والنفوذ الفارسى قويا على الشواطىء العربية المجاورة^(١).

تاريخ عمان:

يرجع تاريخ عمان إلى العصور القديمة حيث شهدت حضارات كانت لها صلة بحضارة بلاد ما بين النهرين شمالا وحضارة جنوب الجزيرة العربية

(١) دونالد هوللى: عمان ص ٧٩.

التي أساسها مملكة سبأ والحميرين ويبدأ تاريخها المكتوب باستيطان العرب عمان وهم اليمينيون الوافدون من جنوب غرب الجزيرة العربية وقبيلة نزار التي جاءت من نجد، وعند إنيار سد مأرب عام ١٢٠م ازدادت الهجرات العربية إلى عمان وكان أولها قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهم الأزدى، وكانت عمان من أوائل البلاد التي اعتنقت الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث عمرو بن العاص إلى الملك جيفر بن الجلندي بن المتكبر ملك عمان آنذاك يدعو إلى الإسلام ..

وفي العصر الإسلامي شاركت عمان في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية ليس في جنوب شرق الجزيرة العربية فقط بل وفي نشر الإسلام وحضارته في الهند والصين وشرق أفريقيا وحتى حوض نهر الكونغو بغرب أفريقيا، وكان للإسلام وحضارته الفضل في توحيد القبائل العمانية وجعلها ذات نظام سياسي واجتماعي واقتصادي ونشطت من خلاله في ارتياد مياه المحيط الهندي والخليج العربي من القرن السابع وحتى القرن الخامس عشر الميلادي عندما قدم البرتغاليون إلى المنطقة واحتكروا الملاحة والتجارة وسيطروا على المنطقة ..

وفي التاريخ الحديث كان لسيطرة البرتغاليين على مياه المحيط الهندي والخليج وسواحل شرق أفريقيا والهند ومملكة هرمز عند مدخل الخليج وسواحل الخليج ذاتها تأثير كبير على الوضع في عمان، خاصة أن البرتغاليين فرضوا سيطرتهم على السواحل العمانية حوالي قرن ونصف قرن من عام ١٥٠٧م حتى عام ١٦٤٩م ..

كانت السيطرة البرتغالية تحديا واجهه العمانيون بتحقيق وحدتهم الوطنية بقيادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وخليفته سلطان بن سيف، ومن خلال القوة العمانية تم طرد البرتغاليين عام ١٦٦٢م من هرمز وإن بقوا بمدينة مسقط حتى لحقت بهم هزيمة ساحقة وأخرجوا من عمان نهائيا في عام ١٦٤٩م، ثم ملاحقتهم بطردهم من شرق أفريقيا في عام ١٦٨٩م ..

ومع أوائل سنوات القرن السابع عشر استعادت عمان قوتها وازدهارها الحضاري وعادت لتسيطر على الملاحة في المنطقة الممتدة من سواحل الهند

حتى سواحل شرق أفريقيا والخليج العربي ، ومن خلال هذا النشاط الملاحي اتسعت ممتلكات عمان لتشمل أجزاء من سواحل شرق أفريقيا تطل على المحيط الهندي في عهد اليعاربة في الفترة من عام ١٦٢٤ إلى ١٧٤١ م ..

ولكن الخلافات مالمبشت أن وقعت في عمان بين اليعاربة أدت إلى فقدانهم السيطرة على البلاد مما أدى إلى تعرض البلاد لأخطار الغزو الخارجي ، وكان هذا دافعا لظهور الإمام أحمد بن سعيد والي صغار الذي قاد البلاد لتخليصها من الخطر المحدق بها وكانت نتيجة موافقه الوطنية هذه أن تم اختيار أحمد بن سعيد إماما على عمان عام ١١٣٧ هـ الموافق لعام ١٧٢٤ م ..

وبالإمام أحمد بن سعيد بدأ حكم أسرة البوسعيد التي مازالت تحكم عمان حتى اليوم والتي إشتهر من رجالها السيد سعيد بن سلطان في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٠٤-١٨٥٦ م) الموافق للحمدة من (١٢١٩-١٢٧٣ هـ) . وإذا كان التاريخ سجل للإمام أحمد بن سعيد دوره في بناء الدولة الحديثة على أسس قوية بإنشاء جيش قوى وبتدعيم الأسطول العماني وتطويره ، وإحراز انتصارات ضد المنشقين في الداخل ، وضد المعتدين من خارج عمان مثل الفرس ..

فإن التاريخ سجل لظفائه دورهم في استمرار البناء ، ففي عهد حفيده أحمد بن سعيد نقلت العاصمة من مدينة الرستاق في داخل عمان إلى مسقط على الساحل ، وكان الإمام أحمد بن سعيد قد خلف أولادا منهم سعيد بن أحمد وسلطان بن أحمد وقيس بن أحمد ومحمد بن أحمد وطالب بن أحمد (٢) . وقد توفي الإمام أحمد بن سعيد عام ١١٨٨ هـ الموافق لعام ١٧٧٥ م في الرستاق حيث بويع ابنه سعيد بالإمامة ..

وبسبب سياسة الإمام سعيد السلبية اتجهت الأنظار نحو تعيين ابنه أحمد بن سعيد الذي أصبح فيما بعد الحاكم الفعلي لعمان وأقام بمسقط بينما

(٢) لود الدين السامري : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان - جزآن طبعة خامسة ١٩٧٤ الجزء الثاني ص ١٧٢ .

ظل أبوه في الرستاق، وبذلك بدأ الفصام الحديث بين السلطنة والأمامة، وهو الفصام الذي جر آثار سيئة على السياسة الداخلية في عمان، وكان حمد أول رجل في أسرته يطلق عليه رسمياً لقب، وقد شهدت البلاد في عهده ازدهارا امتد إلى شرق أفريقيا. ولكنه مات في عام ١٢٠٦ هـ الموافق لعام ١٧٩٢ م وكان والده الإمام سعيد على قيد الحياة مقبياً في الرستاق مهملًا شئون الحكم مما أدى إلى المناداة بأخيه سلطان أحد أبناء الإمام أحمد بن سعيد حاكماً لعمان الذي لم يلبث أم جمع في يديه السيطرة الفعلية على مسقط ومعظم مناطق عمان (٣).

وعندما قتل سلطان أثناء صراع مع القواسم عام ١٨٠٤ م (١٢١٩ هـ) في مياه الخليج حدث انقسام عائلي حول من يخلفه، ولكن الحكم انتقل في رأي مؤرخي عمان إلى سالم وسعيد بن سلطان حتى توفي سالم مصاباً بالشلل عام ١٢٣٦ هـ / أبريل ١٨٢١ م فانفرد سعيد بن سلطان بالحكم، وأن كان الحكم الفعلي بقي في يد السيد سعيد منذ وفاة والده سلطان عام ١٨٠٤ م بعد حكم دام اثنتين وخمسين سنة قطاها في بناء دولة كبرى في عمان وشرق أفريقيا..

وكان السيد سعيد حاكماً عظيماً، بل هو أعظم من حكم عمان في تلك الفترة من التاريخ فلقد نجح في دعم أركان الدولة وتوسيع رقعتها وتأكيد الاستقرار ونشر الرخاء في البلاد. وتكوين أسطول قوى وجيش مجهز بكامل المعدات والأسلحة وأصبحت له علاقات بكثير من القوى العربية والآسيوية والأفريقية بل والأوروبية والأمريكية حتى غدت عمان في عهده توصف بأنها دولة بحرية آسيوية من الدرجة الأولى..

وبوفاة السيد سعيد بن سلطان عام ١٨٥٦ م انقسمت السلطنة بين ولديه حيث حكم ماجد زنجبار والأقاليم الأفريقية، وحكم ثويني مسقط، وقد تم الاعتراف الدولي بتأسيس السلطنتين في إعلان رسمي صدر في باريس عام ١٨٦٢ م (١٢٧٩ هـ) وأقرته كل من بريطانيا وفرنسا..

(٣) دونالد هول: المرجع السابق ص ٤٥.

وبوفاة توينسي مقتولا عام ١٨٦٦ م (١٢٨٦ هـ) التي ظل يحكم رغم المؤامرات الداخلية توفي عام ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ) فخلفه ابنه تيمور الذي واجه مشكلات داخلية واقتصادية فتنازل عن العرش لابنه سعيد بن تيمور في عام ١٩٣٢ م (١٣٥١ هـ) الذي ظل يحكم عمان حكما مطلقا ومغلقا حتى تولى قابوس بن سعيد الحكم في ٣٠ يوليو ١٩٧٠ وانتقل السيد سعيد إلى لندن حيث توفي هناك عام ١٩٧٢ م (١٣٩٢ هـ).

تلك كانت صفحات من تاريخ عمان، وهي صفحات تؤكد أن الإنسان العماني لم يكن أبدا بالخامل أو المستسلم وإنما كان يسعى دائما في طموح كبير إلى التغيير لما هو أفضل وأحسن، وأن صفحات التاريخ أثبتت أن عمان كأقدم كيان سياسي في منطقة الخليج كانت لها علاقات خارجية متعددة.

عمان والعالم:

واجهت عمان عدة صعوبات من بعض جيرانها إلى جانب الصعوبات الداخلية ولذلك فإن كل تلك الصعوبات استعدت من السيد سعيد بن سلطان البحث عن خلفاء للمساعدة في التخلص منها، ومن ثم اتجهت أنظاره نحو أقطار أخرى عربية مثل مصر وأقطار أجنبية مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا..

وعن علاقة السيد سعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد علي فقد أوضحت العلاقة بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المنقطع، ورغم أن الرجلين كانا معاديان للنشاط السعودي في الجزيرة العربية إلا أن الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي كانت قليلة، وإن كانت قد عبرت عن إعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة التي أقامها محمد علي في مصر، كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في إقامة علاقات أوثق مع باشا مصر^(١).

وتمشيا مع العلاقة الودية بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي وانطلاقا من تقدير محمد علي للدور الذي قام به السيد سعيد بن سلطان في مقاومة

(١) نفس المراجع ص ١٣٩.

النفوذ السعودي في عمان في الفترة الممتدة من عام ١٨٠٦م إلى عام ١٨١٨م، فقد أحسن محمد علي وشريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد بن سلطان عندما ذهب للحج عام ١٨٢٤م، إذ أرسل محمد علي مجموعة من كبار ضباطه لاستقباله وتحيته، وأطلقت المدفعية في جدة حينما اقتربت العمانية «ليفربول» المقلة للسيد سعيد من الميناء وعند عودته من الحج إلى مسقط حل معه هدايا كثيرة من محمد علي ومن شريف مكة ..

واستمرت الصلات بين مصر وسلطنة عمان ودية رغم موقف بريطانيا المعادي للنشاط المصري في الجزيرة العربية وفي الخليج العربي بصفة خاصة، وذلك الموقف الذي لم يكن باستطاعة السيد سعيد بن سلطان تجاهله نظرا للعلاقة الخاصة التي ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ساعدوه ضد أعدائه والخارجين عليه، ومع ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد علي موقفا عدائيا، بل أن الوثائق المصرية تشير إلى أن السيد سعيد بعث برسالة إلى محمد علي في عام ١٢٥٥هـ الموافق لعام ١٨٤٠م ويطلب فيها بالخاص سرعة إرسال أحد جنود المدفعية المصريين للخدمة في مدفعية السيد سعيد ..

وبالنسبة لعلاقة سلطنة عمان بالقوى الأجنبية، فسوف نستعرض العلاقة بين السلطنة والولايات المتحدة الأمريكية حيث تتضح في هذا الاستعراض شخصية السيد سعيد المتميزة ومكانة السلطنة الدولية في عهده، ذلك أنه إذا كانت المغرب تعتبر أول دولة عربية تقيم علاقات ودية وتجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية فإن سلطنة عمان كانت الدولة الثانية التي أقامت علاقات مع الولايات المتحدة ..

وقد تشابهت نظرة كل من دولة المغرب وسلطنة عمان إلى الولايات المتحدة من حيث أنها دولة حديثة الاستقلال عن بريطانيا ذات التاريخ الاستعماري في العالم، وباعتبارها تسمى لتحقيق مصالح اقتصادية وليست لها نوايا استعمارية واضحة، هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن للعرب معها خبرة استعمارية مؤلة تجعلهم يتشككون أو يتخوفون من إقامة علاقات معها، ومن ثم سميت المغرب إلى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة في مواجهة التآمر الاستعماري الأوروبي على المغرب، كما سعت سلطنة عمان إلى

إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقا للتوازن مع القوى الأجنبية الأخرى الطامعة في مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندي وشرق أفريقيا..

ومن هنا فإن عقد اتفاقية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣م جاء متمشيا مع سياسة الولايات المتحدة في المنطقة العربية بمعنى أن قيام سلطنة عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لا يمكن النظر إليه على أنه عمل منفرد قامت به السلطنة دون غيرها من الأقطار العربية..

تمتعت سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان بقدر كبير من الاستقلال تمتاز به غيرها بمقدر كبير من الاستقلال تمتاز به عن غيرها من أقطار الخليج العربي، كما تميزت بامتدادها حتى شرق أفريقيا حيث صار للسلطنة جناح جناح أفريقي في زنجبار أو (زنزبار) إلى جانب القلب الذي مقره مسقط في مدخل الخليج العربي ورغم أن زنجبار ظلت خاضعة لحكم سلطنة عمان منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي إلا أنها لم تلق العناية الكافية للتنمية والتطور حتى اتجه إليها السيد سعيد بن سلطان في العشرينيات القرن التاسع عشر، حيث أدخل زراعة القرنفل في زنجبار واعتباره محصولا تجاريا، وحيث أنشأ عدة مزارع على الأرض الأفريقية ودفع بالتجار العمانيين للتوغل في القارة الأفريقية للمتاجرة مع الأفارقة. كما قدم مساعدات ذات أثر كبير في نجاح رحلات المستكشفين الأوروبيين داخل أفريقيا الذين مارسوا عمليات الكشف النصف الأول من القرن التاسع عشر..

كان تطوير الشق الأفريقي من سلطنة عمان في عهد السيد سعيد عامل جذب للقوى الأجنبية لكي تسعى إلى تقوية علاقاتها بالسلطنة ككل ولكي تحصل على متاجر وزنجبار بصفة خاصة، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول القوى الأجنبية في التطلع إلى فتح أسواق زنجبار أمام تجار الأمريكيين لبيع المنتجات والسلع الأمريكية من ناحية ولشراء المنتجات والسلع المنتجة في الشق الأفريقي من سلطنة عمان من ناحية أخرى..

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية حينما زار التاجر الأمريكي الكابتن (أدموند روبرتس) Edmond Robertes الذي ينتمى إلى نيوها مبشير في عام ١٨٢٧م زنجبار متطلعا إلى تحقيق كسب مادي كبير هناك ولكنه لم يجد التسهيلات التي يلقتها البريطانيون هناك حلفاء السيد سعيد بن سلطان ومن ثم عاد إلى الولايات المتحدة يحمل فكرة عقد معاهدة مع السلطنة لكي تروج التجارة الأمريكية في ممتلكات السلطنة (*) .

تم توقيع الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م وكانت أول اتفاقية يعقدها السيد سعيد بن سلطان مع دولة كبرى وقد صارت تلك الاتفاقية المثل الذي سارت على منواله معاهدات السلطنة مع بريطانيا عام ١٨٣٩ ومع فرنسا عام ١٨٤٤م وقد ظلت الاتفاقية الأمريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٩٥٨م حين أبطل مفعولها واستبدلت بمعاهدت جديدة للصدقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين ..

وبموجب هذه الاتفاقية تمتع الأمريكيون في ممتلكات السلطان العربية (مسقط) والأفريقية (زنجبار) بامتيازات اقتصادية وقضائية ، حيث صار التجار الأمريكيون يتاجرون في أراضي السلطنة وينزلون في موانئها يدفعون ٥% فقط رسوما على البضائع التي يجلبونها إلى موانئ السلطنة وأن يعفوا من دفع أية ضرائب أخرى على الصادرات والواردات وأن يعفوا كذلك من رسوم الإرشاد الملاحى في موانئ السلطنة . كما صار من حق القنصل الأمريكي في السلطنة فض المنازعات التي تنشأ بين رعايا دولته ، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل السلطنة في الفصل في القضايا بين رعايا دولته في الولايات المتحدة (٦) ..

(٥) د. ريتشارد ستيفنس : استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٣٣-١٨٥٦) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ص ١٢٢ .

(٦) نفس المصدر ص ١٢٥ .

وفي تقييمنا للاتفاقية التجارية الأمريكية العمانية نلاحظ أن الاتفاقية جعلت السيد سعيد بن سلطان يشعر بأهميته وبقدرته على الدخول في اتفاقية مع دولة كبرى، مما جعله يميل إلى كسب المزيد من رضا الأمريكيين فيعرض عليهم امتيازات تجارية خاصة في شرق أفريقيا على أن ينفقوا بجواره ويساعده بالسلاح لإخضاع «مومباسا» لسيادته، ولم يغضبه عدم استجابة الأمريكيين لطلبه ..

كما أن إدارك السيد سعيد بن سلطان بأنه قادر على عقد اتفاقية مع دولة كبرى أشعره بالندية ويستند إليها في مواجهة القوى الكبرى الأخرى — خاصة إنجلترا وفرنسا — في تحقيق نفع له ولسلطته تكسبه مكانه دولية وتكسب السلطنة اعترافا دوليا تسعى إليه الأقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة في كل من أفريقيا وآسيا بل وأمريكا اللاتينية ..

وعلى الجانب الأمريكي فقد استقبل الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون رسالة السلطان التي حملها إدموند روبرتس مع نص الاتفاقية عند عودته إلى الولايات المتحدة بكل تقدير حيث أكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الأمريكي وشكره على الرسالة التي حملها إليه روبرتس التي حلت المودة والتقدير من الرئيس الأمريكي للسيد سعيد ..

ونتيجة لما جاء في الرسالة وما احتوته الاتفاقية من نصوص في صالح الولايات المتحدة دون أن تحملها تبعات أو تضع عليها من قيود، فقد كانت وقع الاتفاقية في الولايات المتحدة طيبا، وتمت مصادقة كل من الرئيس جاكسون والكونجرس دون إبطاء كيف لا والاتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة أية التزامات نحو سلطنة عمان كما أن الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة إحدى القوى الآسيوية الأفريقية التي تفخر بامتلاكها المحفف والتوابل (٧) ..

ونتيجة لازدياد النشاط التجاري الأمريكي في ممتلكات سلطنة عمان بشرق أفريقيا فقد اختارت الحكومة الأمريكية أحد رعاياها ويدعى المستر

(٧) دونالد هول: عمان ونهضتها الحديثة ص ١٨٧.

ريتشارد ووترز Richard Waters عام ١٨٣٦ م ليكون أول قنصل أمريكي في مسقط ذاتها في عام ١٨٣٨ م ..

وقد ظلت العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر أى على مدى يقرب من عشرين سنة منذ عقدت الاتفاقية التجارية بين الطرفين عام ١٨٣٣ م ولكن حدث أن اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها :

أولاً : رغبة السيد سعيد في تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين عام ١٨٣٣ م والتي تنص على أن من حق التجار الأمريكيين دخول كل الموانئ الخاضعة للسلطان وأصر السيد سعيد على أن المادة الثانية تشير في رأيه — إلى أن هذا الحق كان يقتصر على ميناء رئيسى واحد هو ميناء زنجبار ولم ترغب الحكومة الأمريكية في الاستجابة لطلب السلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة في بقية موانئ السلطنة خشية أن تفتح هذه الموانئ أمام تجار دول أخرى ..

ثانياً : الخلاف بين السيد سعيد والأمريكيين حول مدى سلطة المحكمة القنصلية الأمريكية في السلطنة على الرعايا الأمريكيين وقد فجر هذا الخلاف ارتكاب بحار أمريكي جرعة قتل في حق مواطن عربى ، كما فجره الخلاف الذى كثيرا ما كان ينشب بين الرعايا الأمريكيين في السلطنة وبين التجار الهنود المعروفين باسم «البونايا» الهندوس من غير ذوى الكتاب — والمشمولين بالحماية البريطانية^(٨) .

وقد لعب القنصل الأمريكى في زنجبار «شارلس وارد» Charles Ward الذى تسلم مهام وظيفته في الجزء الأفريقى من السلطنة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦ م ، دورا في سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة مما أدى إلى قطع العلاقة بين البلدين في يوليو ١٨٥٠ م ، واعتقد «وارد» أن القنصل البريطانى في زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين

(٨) د. ريتشارد ستيفنس : المربع السابق ص ١٣٠ .

الولايات المتحدة والسلطنة، وتوقع تفكك السلطنة بعد وفاة السيد سعيد وأشاع ذلك مما أغضب السيد سعيد..

ورغم أن السيد سعيد كان حريصاً على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة فإنه اضطر إلى توقف تلك العلاقة بعد أن استنفد الوسائل المتاحة لكى يحل المشكلات التى أثرت بين الطرفين، فقد بعث السيد سعيد برسالة إلى الحكومة الأمريكية فى سبتمبر ١٨٤٧ م، إلا أنه لم يتلق رداً عليها مما دفعه إلى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة الموقعة بين البلدين، وكانت الرسالة تطلب ضمانات أمريكية محددة حول المدى المحدد للتجارة الأمريكية فى سواحل أفريقيا الشرقية التابعة للسلطنة وتطلب تحديداً للاختصاصات القضائية للقنصل الأمريكى فى السلطنة، ووقف أى تدخل فى الشؤون الداخلية للسلطنة من جانب القنصل الأمريكى..

وأرادت الولايات المتحدة ألا تفقد صداقة السلطان فأرسل الرئيس الأمريكى «ميلارد فيلمور» رسالة حملها مبعوثه إلى السيد سعيد يدعى «الكومودور أوليك» وغادر القنصل «وارد» إلى الولايات المتحدة، وعندما وصل «أوليك» إلى زنجبار فى أول ديسمبر عام ١٨٥١ م اجتمع مع التجار الأمريكيين قبل أن يسلم رسالة الرئيس الأمريكى للسيد سعيد، وعرف منهم مدى صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم وأنه لم يسئ للعلم الأمريكى كما ادعى القنصل «وارد» وأنهم يتمتعون بامتيازات فى السلطنة تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الأجانب..

وعندما غادر المبعوث الأمريكى «أوليك» زنجبار ترك أثراً طيباً بين أهل السلطنة وحكامها، وتحمل القناصل الأمريكيون منذ عام ١٨٥٢ م مسئولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايات المتحدة الأمريكية. وبالفعل امتلأت تقارير هؤلاء القناصل بالإشادة بروح المودة التى يبديها السيد سعيد نحو الأمريكيين وأن العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة^(٩).

(٩) نفس المصدر: ص ١٣٣.

ورغم أن العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٣ م، ولمدة مائة عام تقريبا لم تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أى من الطرفين، إلا أن وجودها في حد ذاته كان يبشر بعهد جديد في مجال العلاقات الدولية ..

وتمشيا مع السياسة الودية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة التي بدأت مع معاهدة الصداقة والتجارة التي عقدت بين البلدين عام ١٨٣٣ م بعث السيد سعيد بسفينته المسماة «سلطنة» في رحلة إلى ميناء نيويورك الأمريكى عام ١٨٤٠ م لشراء الأسلحة والذخيرة التي كان في حاجة إليها أثناء صراعه ضد الوجود البرتغالي في موزمبيق وتولى قيادة هذه السفينة ربان بريطاني يدعى «وليام سليمان» William Soliman واختار السيد سعيد أمين سره الخاص الحاج أحمد بن نعمان ليكون ممثلا له في الولايات المتحدة، بل أول مبعوث عماني إلى الولايات المتحدة ..

وقد حمل الحاج أحمد بن نعمان معه هدية السيد سعيد للرئيس الأمريكى وكانت عبارة عن جوازين عرييين، وبعض الجواهر وسيفا مطعما بالذهب إلى جانب العطور وقد أهدى الرئيس الأمريكى للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة بأثاث فاخر إلى جانب ٤ مسدسات تلقائية الدوران وبنديتين تلقائيتين الدوران كذلك ..

كما حلت السفينة «سلطنة» أكثر من ألف من أجولة التمر العماني وحوالي عشرين بالة من السجاد الإيراني، ومائة كيس من قهوة «عنا» و١٠٨ من أنياب العاج وحوالي ثمانين جوالا من ضمغ الكويال الراتنجي، و١٣٥ جوالا من القرنفل، وألف جلد من جلود الحيوان المجففة، وهذه الحمولة بيعت لحساب السيد سعيد في نيويورك (١٠) ..

وقد لقي ركاب السفينة سلطنة كل تكريم وترحيب من محافظ «بهروكلين» ومن رئيس نادى البحرية في نيويورك، وصدرت أوامر الرئيس الأمريكى «فان بورين» Van Buren ووزير بحريته

(١٠) دونالد هولى: المرجع السابق ص ١٨٨ .

بإدخال السفينة سلطنة إلى حوض الأسطول الأمريكي وتجهيزها للإبحار على نفقة الحكومة الأمريكية. ومن ثم شحنها بالمنتجات الأمريكية التي أشرنا إليها لتعود بها إلى السيد سعيد..

استغرقت رحلة السفينة سلطنة حوالي عشرة أشهر منذ أن خرجت من زنجبار حتى عادت إليها، وقد قاد رحلة العودة إلى أرض الوطن ربان أمريكي استطاع أن يجتاز بها المحيط الأطلنطي بأمواله المضطربة بسلام، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج أحمد بن نعمان بعد أن أتم مهمته على خير وجه فكان بحق خير سفير لبلده في تلك البلاد البعيدة..

وإن دلت رحلة السفينة سلطنة إلى نيويورك على شيء فإنما تدل على رغبة كل من سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان والولايات المتحدة الأمريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين وخاصة في المجالات الاقتصادية وهي المجالات التي كانت تستوى التجار الأمريكيين أكثر من أي شيء آخر، في الوقت الذي لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية راغبة في التدخل في المشكلات السياسية انطلاقاً من سياسة العزلة التي سارت عليها منذ أعلنت استقلالها عن إنجلترا..

وقد استفادت سلطنة عمان من علاقتها بالولايات المتحدة في أن الوجود التجاري الأمريكي القوي في السلطنة قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد واستقلالها عند وفاة السيد سعيد أمراً ثابتاً لا يحتاج إلى نقاش. وحتى بعد انقسام السلطنة بين ولدي السيد سعيد: «ماجد» في زنجبار «وتويني» في مسقط، فقد بقيت السلطنة في مسقط بعيدة عن أي نزاع استعماري لأن سيادتها ضمنها اتفاقيات دولية بينها وقعت زنجبار فريسة للاستعمارين الإنجليزي والألماني..

وقد أشار تقرير عن السياسة الخارجية الأمريكية عام ١٩٤٦م نحو إمارات الخليج العربي عامة وسلطنة عمان خاصة (١١)، بأنه في الوقت

Memorandum Prepared in the department of state (secret) (١٢)
Washington, March 15, 1946, No. 790 0014-946- Current U.S. Policy
toward the arab Principalities of the Persian Gulf and the Gulf of
Oman.

ثانياً: السلطان سعيد بن تيمور

كان سعيد الإبن الأكبر للسلطان تيمور وتلقى تعليمه في إحدى مدارس الأمراء التي تشرف عليها حكومة الهند البريطانية، وكانت بريطانيا قد اعترفت به ولياً للعهد أثناء حياة أبيه باعتباره الأبن البكر، وكان ذلك دافعاً للسلطان سعيد في أن يعتمد على عدد من المستشارين البريطانيين والأجانب وإن كان قد نجح في جعل البريطانيين يفضون من قيودهم التي كانوا يفرضونها على سياسة الحكم في عمان منذ عام ١٨٩٩م ..

وقد ورث السلطان سعيد حكم البلاد وهي تعاني مصاعب مالية، ولكنه استطاع من خلاله تصميمه على أن يكون مستقلاً وسيد مصيره أن يعالج الشؤون المالية بما حقق قدراً من الاستقرار وتنمية موارد الدخل خاصة بعد اكتشاف النفط وتسويقه، كما تميز حكمه باستقلال السلطنة وحرية التصرف من الوجهتين الفعلية والقانونية ..

وكان حكم السلطان سعيد لسلطنة عمان يتجه نحو العزلة والانغلاق والجمود أكثر فأكثر، وكانت إقامة السلطان سعيد بمدينة صلالة وعدم زيارة شمال السلطنة منذ عام ١٩٥٨م وحتى إقصائه عن الحكم عام ١٩٧٠م سبباً في ازدياد الجمود والتخلف للحكم في عمان بل كان السلطان شديد التقدير وعدم الإنفاق على رفاهية شعبه ..

لقد عاشت السلطنة في عهد السلطان سعيد خاصة في السنوات الأولى من حكمه هادئة تسير في مجراها الطبيعي. ولكنه واجه ثورة داخلية قام بها نظام الإمامة الأباضية في منطقة عمان، تلك الثورة التي انكشبت منذ عام ١٩٥٩م، كما واجه مشكلة تخطيط حدود السلطنة مع المملكة العربية السعودية حتى انتهى الأمر عام ١٩٥٥م بإقرار الحدود عند منطقة البويمى ..

وكانت مساعدات البريطانيين للسلطان سعيد في التخلص من مشكلات الثورة الداخلية ومشكلة الحدود، مبنية على مواقفه الإيجابية من بريطانيا أثناء معارك الحرب العالمية الثانية بالسماح بإقامة مهابط لطائرات سلاح الجو البريطاني في عدد من المناطق بين صلالة ومسقط ..

الذى تعترف فيه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى في إمارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العماني المتصالح فإن سياستنا — أى سياسة الحكومة الأمريكية — نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطاني الخاص في هذه الإمارات لن يؤدي إلى إلحاق الضرر بالمصالح الأمريكية أو مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة. وأن سياستنا نحو سلطنة عمان تستند على واحدة من أقدم معاهداتنا التي مازالت نافذة المفعول وهى معاهدة الصداقة والتجارية الموقعة بين الطرفين في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣ م..

ويضيف التقرير مؤكدا على أهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان مشيرا إلى أن الذكرى المثوية لتوقيع المعاهدة المشار إليها والتي أحييت في مارس ١٩٣٤ تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية أمريكية خاصة لمسقط وفي عام ١٩٣٦ م استقبل الرئيس الأمريكى «فرانكلين روزفلت» Franklin Roosevelt في واشنطن السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان كضيفه الخاص..

واختتم التقرير سرده للأحداث المقارنة بين تلك المعاهدات التي وقعها الإمارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر وبين المعاهدات العمانية البريطانية فالإمارات العربية الخليجية تعهدت لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠ م بالمساعدة للقضاء على «القرصنة» في الخليج العربى، ووضع حد لدخول السلاح والرقيق على بلادهم، وعن طريق سلسلة من المعاهدات أعطى حكام الإمارات للبريطانيين حق استغلال أراضيهم مقابل الحماية البريطانية، وفيما بين عامى ١٩١٣، و١٩٢٣ ربط حكام الإمارات العربية الخليجية أنفسهم أكثر بالتعهد بعدم إعطاء امتيازات للبحث عن البترول في أراضيهم لأية دولة أخرى دون موافقة وقبول البريطانيين..

بينما وافق سلطان عمان في عام ١٩٢٣ م على مجرد استشارة المركز السياسى البريطانى في الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول في سلطته..

وبينما المفاوضات دائرة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية لحصول الأخيرة على تسهيلات جوية بأراضي المملكة، بدأت، ومنذ أغسطس ١٩٤٢م مفاوضات مماثلة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان أن للولايات المتحدة علاقات خاصة بسلطنة مسقط وعمان تحكمها اتفاقية التجارة والصدقة لعام ١٨٣٣م، إلا أنه صار لبريطانيا منذ وفاة السيد سعيد سلطان مسقط وعمان ووزنبار عام ١٨٥٦م واقتسام ولديه ماجد وتويني ممتلكاته مركز خاص ونقول قوى في السلطنة..

وقد حاولت الحكومة الأمريكية منذ عام ١٩٣٠م احياء نفوذها في السلطنة بعقد معاهدة جديدة بين الطرفين إلا أن الحكومة البريطانية وقفت للمحاولات الأمريكية بالمرصاد، ومع ذلك فقد ظهرت نشاطات أمريكية في السلطنة تمثلت في اتساع نشاط البعثة التبشيرية الأمريكية في مجال الصحة والتعليم في كل من مسقط ومطرح، حتى أنه عند افتتاح المستشفى الجديد التابع للبعثة في مطرح عام ١٩٣٤م قام الوزير المفوض الأمريكي في بنغداد بافتتاح المستشفى أثناء زيارته لمسقط احتفالا بمرور مائة عام على توقيع المعاهدة المسقطية الأمريكية (١٢).

كما تمثلت النشاطات الأمريكية في السلطنة وقبل الحرب العالمية الثانية في التطلع للتنقيب عن البترول في السلطنة، ولما كانت شركة البترول الانجليزية الإيرانية قد بدأت منذ عام ١٩٢٤م بالتنقيب عن النفط في السلطنة فلم تواجه بمناقشات تذكر من جانب الشركات الأمريكية إذ كانت المنطقة خاضعة للنفوذ البريطاني وفي عام ١٩٣٧م بدأت شركات بترول عمان وظفار المحدودة وهي فرع من شركة نفط العراق وبها رأسمال أمريكي في التنقيب عن البترول بموجب اتفاق وقعته الشركة مع سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان..

وقد حاولت شركات البترول الأمريكية استخدام أحد الرعايا الإيطاليين ويدعى باستوري (Pastori) وأحد البولنديين ويدعى الكونت برورك

(١٢) د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربي. دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥م ص ٢٦٣.

(Prork) للحصول على امتياز عن النفط في سلطنة مسقط وعمان لصالح الشركات الأمريكية إلا أن الوكيل البريطاني في مسقط تشكك في نشاطهم ومن ثم رفض التصريح لهما بالإقامة في مسقط . وقد ظهر أن باستورى كان يعمل لحساب بعثة إيطالية أمريكية مهتمة بالتقيب عن النفط كما أوضحت تحريرات الوكيل البريطاني على أن برورك كان بدوره عميلا لشركة على عقود امتيازات في الساحل الجنوبي من الخليج (١٣) .

ومعنى هذا أن سلطنة مسقط وعمان صارت تتبع في سياستها الخارجية «النصيحة البريطانية» وهذا يعنى أن الولايات المتحدة في محاولاتها التفاوض مع السلطنة بشأن التسهيلات الحربية يجب أن تأخذ في اعتبارها الوضع الخاص لبريطانيا في السلطنة والذي يستلزم دخول بريطانيا كطرف في أى مفاوضات تجريها الولايات المتحدة مع السلطنة . وقد دارت هذه المفاوضات من خلال الوزير المفوض الأمريكى في نيودلهى ، وسكرتير حكومة الهند للشئون الخارجية ووزير الخارجية الأمريكية واستغرقت الفترة من يونيو إلى نوفمبر ١٩٤٢ م .

وتبدأ إثارة هذا الموضوع في رسالة بعث بها الوزير الأمريكى في نيودلهى (The Officer in Charge) إلى وزير الخارجية الأمريكية بناءً فيها أنه منذ يونيو ١٩٤٢ م بعث ببرقية إلى البعثة الدبلوماسية الأمريكية بالقاهرة ويعود ليؤكد ما جاء بها من أن سكرتير حكومة الهند المسئول عن إدارة الشئون الخارجية قد سبق واقترح بطريقة غير رسمية أنه من المستحسن لحكومة الولايات المتحدة القيام باتصالات دبلوماسية مع سلطان مسقط من أجل الحصول على تسهيلات من السلطنة لصالح القيادة الجوية الأمريكية ..

وأضافت الرسالة بأنه تبعاً لما قاله سكرتير حكومة الهند ، فإن السلطان الذى كان في الماضى حيادياً ومن السهل إثارة شكوكه عند تعامله مع البريطانيين صار متعاوناً ، ومن أجل هذا السبب ، فإن أى مندوب أمريكى يذهب إلى هناك يجب اختياره بدقة ، ينطبق بصفة خاصة عند الذهاب إلى

(١٣) نفس المرجع ص ١٠٥ .

«سلالة» حيث يتخذها السلطان مقرا لإقامته في الصيف ، وملجأ له حين كان الماضي يبحث عن ملجأ له بعيدا عن البريطانيين ..

ومضت الرسالة إلى القول بأنه طبقا لمعلومات سكرتير حكومة الهند عن الأثر الذي أحدثه عند السلطان وصول أربعة موظفين من شركة بان أمريكان للطيران (Pan American Airways) إلى سلالة بدون سابق إنذار الذين قرروا أنهم جاءوا لعمل ترتيبات ضرورية للتسهيلات الأرضية .

وتضيف الرسالة بأنه تنفيذا لتوجيهات وزارة الخارجية الأمريكية المؤرخة في ٣ يوليو ١٩٤٢م ، فأنتنى سألت سكرتير حكومة الهند إذا كانت حكومة الهند لديها الرغبة لاعطاء الممثل البريطانى في مسقط تعليمات للتباحث مع السلطان بهذا الخصوص نيابة عن الحكومة الأمريكية وبعد عدة أيام تلقيت إجابة مشجعة فسطرت مذكرة إلى السكرتير في ٨ يوليو ١٩٤٢م اعتبر عن الرغبة في الحصول على موافقة السلطان على التسهيلات لجيش الولايات المتحدة شبيهة بتلك التسهيلات المعطاه حاليا للبريطانيين بحيث تشمل هذه التسهيلات استخدام مطارات في مسقط بواسطة الطائرات العاملة في خدمة جيش الولايات المتحدة وإقامة الأشخاص سواء كانوا عسكريين أو مدنيين اللازمين لخدمة الطائرات ولانشاء وتشغيل محطات اللاسلكى والأرصاء الجوية ..

وتمضى الرسالة إلى القول بأن هناك ثمة تأخير من جانب حكومة الهند في إرسال التعليمات للممثل البريطانى في مسقط نظرا لضرورة التشاور مع السلطات العسكرية البريطانية في القاهرة بخصوص تسهيلات اللاسلكى والأرصاء الجوية المطلوبة كما أن الصعوبة أيضا حدثت عند الحصول على وسيلة نقل جوية للوكيل البريطانى السياسى من مسقط إلى سلالة . والمعتاد وجود موظف صغير مساعد للوكيل السياسى في سلالة ..

وعلى أية حال - كما جاء في الرسالة - فإننى تلقيت الآن مذكرة مؤرخة في ٢١ أغسطس ١٩٤٢م من السكرتير المقيم لحكومة الهند تصف نتائج مباحثات الوكيل السياسى ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ، ومعطيا اهتماما لملاحظات السكرتير المقيم بهدف تقديم المساعدة المطلوبة ، وكما

ستلاحظ وزارة الخارجية فإن صاحب العظمة السلطان قد وافق على التسهيلات المطلوبة ولكن تحت خمسة شروط بموجبها يتوقف عليها إعطاء التسهيلات. ويعتقد السكرتير المقيم لحكومة الهند أن هذه الشروط عادية ومعقولة، وقرر أن - أن الوكيل السياسي البريطاني. ومساعد الوكيل السياسي، سوف يكونان مسئولين إذا رغبت وزارة الخارجية الأمريكية في تدبير الأمور للأشخاص الأمريكيين كما يقومون بالنسبة للسلاح الجوي الملكي البريطاني (١٤).

واختتمت الرسالة بطلب تعليمات برقية حول ما إذا كانت شروط السلطان مقبولة من علمه لدى وزارة الخارجية الأمريكية، وأنه يجب أن يكون مفهوما أنه لن تكون هناك صعوبات في سبيل الحصول على التسهيلات المطلوبة في مسقط على أساس مؤقت، وأرفق الوزير المفوض الأمريكي في نيودلهي برسالته هذه ثلاثة مرفقات هي :-

جاء بالمرفق الأول أنه في السادس من شهر يونيو ١٩٤٢م تم إبلاغ المستر ميريل بأن حكومة الهند قد تلقت علما بأن قيادة الدفاع الجوي للولايات المتحدة عازمة على إنشاء محطات للتوقف في مطارات بأراضي مسقط للطائرات التي تستخدم خطوط الطيران المارة بجنوب الجزيرة العربية في كل من «سلالة» و«رأس الحد» وربما مصيره وقد أشير إلى وجود اتفاقية للصدقة والتجارة بين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وسلطان مسقط المعقودة في ٣١ سبتمبر ١٨٣٣م وأقترح أنه من المناسب لتنظيم ذلك أنه قبل إرسال القوات الأمريكية على الحصول على الموافقة الكاملة لصاحب العظمة السلطان ..

وكان واضحاً أنه تحقيقاً لذلك فإن الحكومة البريطانية كانت مهتمة وأخذت على عاتقها مهمة الحصول مسبقاً على موافقة صاحب العظمة سلطان مسقط على بناء مطارات، وأيضاً استخدام الطائرات لها، ووجود فنيين

U.S.. The officer in charge at New Delhi (Merrell) to the secretary of state (Hull), New Delhi, August 23, 1942 (Received September 14, 1942) No. 811. 248/720.

أرضيين من أجل صيانة وحماية هذه المطارات. وكان مفهوما أن مستر «مبريل» قد خاطب وزارة الخارجية بذلك ..

وأنه قد وصلت الآن معلومات من «سلالة» بأن أربعة رجال من شركة بان أمريكان للطيران قد وصلوا هناك وقرروا أنهم جاءوا من أجل إنشاء محطة مرحلية لخدمة خطوط طيران بان أمريكان بين الخرطوم وكرايتشي، وأن رجالا آخرين من الشركة سيفدون خلال أيام قليلة ومعهم معدات لاسلكية وأنهم يتوقعون نقل ركاب لهم صفة الخصوصية حسبما تسمح بذلك الأولويات في سجلات الرحلات الحكومية وأنهم يرغبون في التفاوض مع سلطان مسقط بخصوص بناء معسكر، واستخدام عمال محليين، وتدريب المؤن والامدادات اللازمة ..

وجاء التقرير أن سلطان مسقط شعر بالقلق من وصول هؤلاء الأشخاص المفاجيء — دون سابق إنذار — وفي نفس الوقت أصر على أن هؤلاء الرجال يجب أن يتم إلحاقهم بسلاح الجو الملكي البريطاني وأن يرتبطوا بقوانين سلاح الجو الملكي البريطاني ..

إن التقرير المقدم من رجال شركة بان أمريكان للخطوط الجوية في سلالة والذي يحمل رغبة الشركة بنقل ركاب خصوصيين إذا سمحت بذلك سجلات الرحلات الحكومية إنما يخالف ما أكدته — تعهده به — الكولونيل لويس جونسون Louis Johnson الممثل الشخصي للرئيس روزفلت في الهند. في الاجتماع الذي عقد بإدارة الشؤون الخارجية في السابع والعشرين من أبريل ١٩٤٢م بأن شركة طيران بان أمريكان إنما تعمل تحت ظل إدارة وملكية حربية كاملة وأن عملياتها تتقرر كلياً عن طريق وزارة الحربية الأمريكية، وأن ذلك لم يحدث شيء منه للآن ومن ثم فإنه سوف يؤدي أوقد يؤدي إلى تأكيد أوثبات أو ترتيب حقوق تجارية (١٠).

U.S. Documents, Enclosure 1, The Joint secretary to the Government (١٠) of India in the External Affairs Department (Weight man) to the American Officer in Charge at New Delhi (Merrell), Aide-Memoire, (File Copy not Signed) Joint Secretary to the Government of India, New Delhi. 13 June 1942.

وجاء بالمرفق الثاني رسالة من الوزير المفوض الأمريكي بنيودهي إلى السكرتير المقيم للحكومة الهند المسئول عن إدارة الشؤون الخارجية. ويشير فيها إلى المباحثات التي دارت حديثاً بوزارة الخارجية بخصوص استخدام الطائرات وهيئة الموظفين Personnel في دائرة اختصاص جيش الولايات المتحدة في مطارات «سلالة»، «رأس الحد»، «مصرية»، و«مسقط»، ومذكرة السكرتير المقيم الموضحة للموضوع بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٢م تؤكد هذه الأمور..

وأن لديه الآن ما يمكن إضافته وهو أن حكومة الولايات المتحدة تطلب من حكومة الهند لتقوم بمجهود مكثف لأبلاغ الممثل البريطاني في مسقط لتفتيح صاحب العظمة سلطان مسقط في هذا الموضوع لصالح حكومة الولايات المتحدة. وهذه الرغبة من الحكومة الأمريكية تهدف إلى الحصول على موافقة صاحب العظمة على تسهيلات لجيش الولايات المتحدة مشابه لتلك التسهيلات الممنوحة للبريطانيين، تلك التسهيلات التي تشمل استخدام مطارات مسقط بواسطة طائرات تحت مسؤولية جيش الولايات المتحدة، وإقامة أقل عدد ممكن من الأشخاص، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين، اللازمين لتغطية الطائرات وتشغيلها، وإقامة وتشغيل محطات للاقتصاد الجوية واللاسلكي.

وأن المعلومات المتصلة بالمهمة الجديدة، كما وردت من وزارة الحرب الأميركية والأمنية قدمت من أجل إمكان الاستفادة منها في تقديم تعليمات لممثل بريطانيا العظمى في الهند.

السيرجانت جينرال فيتزجيرالد Brigadir General Fitzgerald من جيش الولايات المتحدة قد عين ليتولى قيادة العمليات الجوية Ferry في الشرق الأوسط وأفريقيا، وستكون تحت إشرافه وإدارته لمباشرة عمليات شركة بان أمريكان للطيران في هذه المناطق، وأن الخدمة المقترحة تعتبر ذات أهمية قصوى لارتباطها بتجهيز المعدات الحربية الأساسية إلى كراتشي، وفي طيران طائرات النقل، وعودة الملاحين الجويين.

وانطلاقاً من ترتيبات متفق عليها مع وزارة الحرب الأمريكية ، فإن شركة بان أمريكان للطيران سوف تشغل رحلات جوية من الخرطوم إلى كراتشي لنقل معدات عسكرية وأشخاص عسكريين . وفي الحالات التي يكون فيها الفضاء مهياً ، وعلى أية حال . وبعد إتمام عملية نقل المعدات الحربية الأساسية ، فإنه من المرغوب فيه أن يسمح للطائرات بنقل أى مسافرين غير رسميين تكون سفرياتهم معينة كضرورة ملحة يقررها ممثلو الولايات المتحدة في المنطقة ..

وفي عرض هذا الموضوع على حكومة الهند ، أبلغت بأن أوضح التأكيدات الكبيرة على أهمية هذه الخدمة - المهمة - الجديدة للدفاع عن الهند (١٦) .

وأمام المرفق الثالث برسالة ميريل Merrell فجاء موجهاً من السكرتير المقيم لحكومة الهند إلى المستر ميريل ، بأن ورد له تقرير من وكيل صاحب الجلالة البريطانية السياسي في مسقط يتعلق بنتيجة مباحثاته ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ، وأنا أقرر الوضع المناسب لمعلوماتك ..

وافق صاحب العظمة السلطان بأن يمنع حكومة الولايات المتحدة تسهيلات للقوات الجوية التابعة لجيش الولايات المتحدة مشابهة لتلك التسهيلات الممنوحة حالياً للحكومة البريطانية ، وتشمل بالتحديد استخدام المطارات في أراضي مسقط بواسطة الطائرات العاملة ضمن خدمات جيش الولايات المتحدة ، والإذن بإنشاء مباني في «صلالة» و«مصيرة» و«رأس الحد» (وتشمل خورجراما Jarama) وعمل محطات نزول لأسراب الطائرات في تلك الأماكن . ومنح الأذن أيضاً بنزول أقل عدد ممكن من الأشخاص اللازمين لتشغيل وصيانة هذه الطائرات ، وإنشاء وتشغيل محطات لاسلكي وأرصاد جوية ضرورية ل سلاح الجو التابع للولايات المتحدة لتدعيم مثل هذه الخدمات القائمة آنذاك والعاملة بواسطة سلاح الجو الملكي

U.S. Documents. Enclosure 2, The American Officer in Charge at New (١٦) Delhi (Merrell) to the Joint Secretary the Government of India in the External Affairs Department (Weightman), No. 20, New Delhi, July 8, 1942.

البريطاني Royal Air Force والاتفاقات (الامتيازات) الممنوحة من قبل صاحب العظمة تشمل أكثر من ذلك بأعفاء الرسوم الجمركية كل من البترول وزيوت التشحيم اللازمة لطائرات سلاح الجو التابع للولايات المتحدة الأمريكية، وأيضا للإمدادات، التي يتم تخزينها، والصالحة التي ترد إلى أراضي مقسط واللازمة لتشغيل هذه الطائرات.

وقد قرن السلطان تحقيق هذه التسهيلات بشروط معينة وهي كما جاءت في كلماته:

- ١- يشترط أن توضح الأمور لنا مثل: على من تقع المسؤولية ومن يجب على أي سؤال يثار بخصوص تصرف الأشخاص الأمريكيين... إلخ
- ٢- الإقرار ببيع الآتي للسلطنة اعترافاً بما قدمته بمنح هذه التسهيلات:
 - (أ) ٢٠٠ بندقية و ٢٠٠,٠٠٠ صندوق من الذخيرة.
 - (ب) ٢ مدفع ماكينة بقطع غيار وذخيرة كافية.
 - (ج) ٢ مدفع يدوي بقطع غياره وذخيرة كافية.
 - (د) ٢ سيارة حجم متوسط والتي تستخدم بواسطة العسكريين.
 - (هـ) بعض المهمات الطبية كما يقدرها أصدقائنا بالحكومة البريطانية.

٣- التعهد بدفع تعويض عن أية أضرار يتسبب فيها الموظفون الأمريكيون أو الطائرات وتصيب ممتلكاتنا، أو الأشخاص أو ممتلكات رعايانا.

٤- التعهد بأن الموظفين الأمريكيين يقبلون ويلتزمون بكل قوانيننا وأحكامنا المحلية كما هي أو ياتم وضعه في تصرفاتهم خاصة تلك التي تتصل بتعيين الحراس لمعسكراتهم أو لأشخاصهم.

٥- والتعهد بأن حراس المعسكرات الأمريكية وحراس الأشخاص الذين نخدمهم نحن بهم يجب أن يقبلوا وأن تدفع لهم رواتب.

ومن المحتمل أن أجد مناسبا إضافة بعض الإيضاحات حول هذه الشروط في ضوء الخبرة التي اكتسبتها حكومة الهند في علاقاتها مع سلطان مسقط ..

بالنسبة للشرط (أ) فإن الحقيقة المؤسفة أن شكوك السلطان المتوارثة في الأجانب قد تدعمت بتصرفات معينة جعلت صاحب العظمة يعترض على هيئة موظفى شركات بان أمريكان للطيران الذين كانوا لفترة ما في «صلالة» تحت إشراف وإدارة غير كافيين . وينصح الوكيل السياسى بأن صاحب العظمة يتمسك بالأهمية العظمى لهذا الشرط ، وأنه من الضرورى أرضاءه تماما بالالتزام بهذا الشرط . وأن حكومة الهند ستكون سعيدة أن تقدم مساعدتها في هذا الأمر ، وأنه إذا رغبت حكومة الولايات المتحدة ، فإنهم سيكونون مستعدين لإعطاء تأكيد للسلطان بأن وكيلهم السياسى ومساعد الوكيل السياسى في مسقط سوف يمثلان سلاح الجو التابع للولايات المتحدة ، تمام بنفس الدرجة التى يمثلان بها سلاح الجو الملكى البريطانى في علاقاتهم بالسلطان ..

والشرط رقم (٢) يتفق مع العادات المألوفة للحكام العرب عند اعطاء تسهيلات في أقطارهم لقوى أجنبية ، وأن حكومة الهند لا تشك أن حكومة الولايات المتحدة سوف تقنع بمطالب صاحب العظمة السلطان . وإذا أرادت حكومتك ورغبت في تلقى مقترحات حول نوع وكمية الإمدادات الطبية التى تكون مقبولة لدى السلطان فإن حكومة الهند ستكون مستعدة تماما لكى تحصل على تقرير من الوكيل السياسى وفى ضوء الظروف والأحوال المحلية . ويمكن الإضافة هنا أنه بالنسبة لتأكيدات الوكيل السياسى فإن الإمدادات بالأسلحة وبسيارات النقل ، والمهمات الطبية ، تلك التى طلبها السلطان يمكن أن تتطلب بعض التأجيل ، وأن السلطان أبلغه بأنه لا يعتبر أمدادهم بأى حال من الأحوال كشرط مسبق لإعطاء التسهيلات المطلوبة .

والشروط رقم ٣ ، ٤ ، ٥ لم تؤخذ كاسباب تؤدى إلى مصاعب خاصة ، أن رجال سلاح الجو الملكى البريطانى قد قبلوا قوانين محلية معينة في سلوكهم في أراضى مسقط وبالنسبة لمسألة تعيين الحراس للمعسكرات والأشخاص فهذه لم تكن باهظة من الناحية العملية كما أن هناك أوامر صارمة بالنسبة لأفراد السلاح الجوى الملكى البريطانى الموجودين في مطارات جنوب الجزيرة العربية في أراضى مسقط .

وبالنسبة للشرط الخامس أن الوكيل السياسى فى مسقط سوف يعطى تعليمات لاستخدام نفوذه لضمان ألا يلجأ السلطان إلى مطالب غير معقولة فيما يتصل بعدد الحراس المحليين الذين يطلب استخدامهم أو بالنسبة للأموال التى ستعطى لهم ..

ويطلب السكرتير المقيم معرفة إذا كانت شروط صاحب العظمة السلطان مقبولة لدى حكومة الولايات المتحدة من عدمه ، فإذا كان الأمر كذلك مطلوب التوقيع على اتفاق مع السلطان فيجب إخطار الوكيل السياسى البريطانى بمسقط حتى يخبر السلطان بذلك (١٧) .

وجاءت خاتمة الموضوع — موضوع التسهيلات الجوية العسكرية الأمريكية بأراضى مسقط — فى رسالة برقية بعث بها وزير الخارجية الأمريكية إلى المستر « ميريل » وجاء فيها : لقد ابلغت وزارة الحربية وزارة الخارجية بأنها سوف ترد على الشروط العديدة التى فرضها سلطان عمان كما جاءت فى المرفق رقم (٣) فى الرسالة المشار إليها ، وفيما يخص بالشرط الأول تقرر وزارة الحربية بأن البريجادير جنرال فيتزرالد القائد العام لجناح أفريقيا والشرق الأوسط ، وقائد النقل الجوى بجيش الولايات المتحدة الأمريكية ، مع أركان حربه فى أكرا وساحل الذهب البريطانى هو الشخص الذى يمكنه الأجابة على أية أسئلة تتصل بتصرفات الأشخاص الأمريكين . وعلى أى حال فإذا رغب السلطان فى وجود شخص أوقريب من أرض عمان فأن وزير الحربية سوف يطلب من فيتزرالد تعيين ضابط له صلاحية من قيادته ..

وبالنسبة للشرط الثانى ، تقرر وزارة الحربية ، أنها فى مركز يسمع لها بتقديم وتسليم الامدادات العسكرية للسلطان خلال الفترة زمنية معقولة . وأن على حكومة الهند — أن يطلب منها — لتعين نوع وكمية المهمات الطبية

U.S. Document, Enclosure 3, The Joint Secretary to the Government of (١٧) India in the External Affairs Department (Weightman) to the American Officer in Charge at New Delhi (Merell), No. 7195-X142, New Delhi, 21 August, 1942.

ليتقديمها. وتعتبر وزارة الحرية الشرط الثالث تماما. وتقرر أن الشرطين الرابع والخامس مقبولين مع المحافظة على الأوامر الحكيمة الصارمة فيما يتصل بالنقاط التي يعسكرفها الأمريكيون، ومن ثم فإنها إذا فسرت بطريقة معقولة فإن تكون هناك عقبات في الوقت الحاضر.

وفي ضوء ما سبق فإن على البعثة أن تطلب من حكومة الهند لتوجيه وكيلها السياسي في مسقط في أن ينقل عن هذه الحكومة — الأمريكية — التأكيدات أو الضمانات الضرورية للسلطان (١٨).

وعند هذا الحد توقفت الوثائق الأمريكية، بقبول السلطات الأمريكية لشروط سلطان مسقط وعمان ازاء منح تسهيلات جوية في أراضي السلطنة للطائرات الأمريكية خلال المعارك العالمية الثانية، واستعانة المسؤولين الأمريكيين بزملائهم البريطانيين في الهند من أجل اعطاء السلطان الضمانات التي طلبها..

ومن الجدير بالذكر أن المناطق التي كانت مثار مفاوضات بين الطرفين من أجل التسهيلات الجوية للطائرات الأمريكية بأراضي سلطنة مسقط وعمان وتركزت على الساحل العماني المطل على البحر العربي مثل سلالة (أو زلالة أوصلالة وهو الأسم الغالب) وجزيرة مصيرة، وخورجارجاما (أوجرما) ومثل رأس الحد عند مدخل خليج عمان..

ثالثا: السلطان قابوس بن سعيد

قاد قابوس بن سعيد حركة تصحيحية في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ليخلف والده على عرش السلطنة بعد أن وجد البلاد تعيش في عزله وسط صراعات بين الداخل والساحل، وجاء جلوسه على عرش السلطنة بداية عهد جديد للإنسان العماني محوره ومحط اهتمامه، ومن ثم وضع خطة للنهوض بالبلاد داخليا وخارجيا في المجالات الآتية:-

أولا: مجال الخدمات.

U.S. Documents. The Secretary of State to the Officer in Charge at (١٨)
New Delhi (Merrell). Washington, November 4, 1942, 6 P.M. No. 811.
248/720: Telegram.

ثانيا : مجال الإنتاج .

ثالثا : مجال العلاقات الخارجية .

ولكى ندرك ماقام به السلطان قابوس بن سعيد من جهود للنهوض بالسلطنة ووضعها في مصاف الدول العصرية ، لابد أن نناقش هذه المجالات التي احتوتها خطته ..

مجال الخدمات :

كان الإنسان العماني محط اهتمام السلطان قابوس ولذلك وضعت الخطط والسياسات من أجل بناء الوطن العماني المؤمن بربه والمنتمى لوطنه والمنتج والعامل فأهتم بالتعليم الحديث على النسق العالمي ، التعليم الذي يعد المواطن الصالح المواطن القادر على العمل والإنتاج المواطن القادر على التفاعل مع أبناء وطنه ومع العالم ، المواطن الذي تفخر به الدولة وتعززه ، وكانت صيحة السلطان قابوس يوم ٩ أغسطس ١٩٧٠م دليلا على وعيه بأهمية التعليم ، فقد قال « أن تعليم شعبنا وتدريبه يجب أن يبدأ في أسرع وقت ممكن ..

وهذه العبارة الموجزة تدل دلالة واضحة على أن التعليم الحديث كان مهما ولم يجد له مجال ، حيث أن قوله يجب أن يبدأ تدل على أنه لم يكن هناك تعليم قبل الحركة التصحيحية وكما تذكر المدارس ، فإن السلطان قابوس تسلم الحكم وفي البلاد ثلاث مدارس فقط تضم ٢٤ فصلا دراسيا ، وبلغ من اهتمامه بالتعليم أنه ضاعف أعداد المتعلمين خلال الخمس سنوات من حكمه ٥٤ مرة ، ولعلنا اليوم نجد التضاعف يزداد ..

ولم تكن سياسة قابوس التعليمية قاصرة على الحكم : أعداد المدارس وأعداد التلاميذ وأعداد الفصول ، بل تعدت ذلك إلى الاهتمام بالكيف ، من حيث أعداد المناهج المتطورة التي تحقق الأهداف الوطنية المرجوة والوسائل التعليمية وأنظمة الامتحانات والريادة والأشراف العلمي والنفسى والاجتماعى ، وارسال البعثات إلى الخارج وعقد اتفاقيات مع الأقطار العربية الشقيقة من أجل التعاون الثقافى والعلمى بما يخدم المواطن العماني كما وجدت الفتاة العمانية فرصتها للتعليم التي حرمت منها في الماضي في

كل المجالات فقد تدفقت الفتيات بأعداد كبيرة منذ البداية على المدارس يطلبن الحصول على حقهن في التعليم ..

وكانت تطلعات السلطان قابوس في أعداد المواطن العماني على أرض عمان وبخبرة عمانية دافعا لانشاء جامعة قابوس ، تلك الجامعة الفنية التي خطط لها أحسن تخطيط على المستوى العالمي ، حيث احتوى التخطيط على اعداد المباني اللازمة والكوادر العلمية المؤهلة للقيام بعملية التعليم في كليات الجامعة قبل افتتاح الجامعة واستقبال الطلاب ، ومن هنا لم تبني الجامعة بطريقة عشوائية ارجالية وانما أسست على خطة علمية مدروسة .

وقد شجعت سياسة السلطان قابوس التعليمية الشباب العماني على الالتحاق بجامعة في تخصصاتهم المختلفة وانضمت الفتيات إلى جانب الفتيان في قاعات الدراسة وحظيت الجامعة بوجود أساتذة متخصصين على مستوى عالي من أبناء السلطنة ومن أبناء الأقطار العربية الشقيقة ومن دول العالم المتقدمة في أوروبا وأمريكا .

وانطوت سياسة السلطان قابوس في مجال الخدمات بالنسبة للإنسان العماني على تحقيق حكمة «العقل السليم في الجسم السليم» بإنشاء المستشفيات والمراكز الصحية ووسائل العلاج الحديثة في كل مكان بالسلطنة بعد أن كانت البلاد محرومة من هذه الخدمات وأصبح شعار السلطنة الصحي العلاج لكل مواطن مهما بعد مكانه وموقعه باعتبار الإنسان العماني أساس التقدم والرخاء ، ومن ثم تعددت الأنشطة الصحية المقدمة للمواطن من مستشفيات ومستوصفات واسعاف وخدمات صحية في القرية والمدينة وفي المدرسة وفي المصنع وحينما يتواجد الإنسان العماني ..

وفي مجال الخدمات أيضا قامت سياسة السلطان قابوس على تنمية الموارد البشرية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية استنادا إلى ما ذكره : لا يمكننا ونحن نمارس مسئولية بناء قطر متراعى واسع الأرجاء خرج من عزله إلا أن نجند أنفسنا ونشمر عن ساعد العمل كل في موقعه وبكل ما وهبه الله من طاقة يرفع البناء عاليا ، لتكون دعامة ثابتة راسخة ، إننا دائما نفكر وندرس ونخطط ثم نعمل ونراقب ونرى النتائج ..

وتأسيساً على ذلك وضعت خطة التنمية الاجتماعية تهدف إلى تنمية القوى العاملة بالبلاد والوصول إلى استخدام الأمثل لها ووضع برنامج شامل متعدد الأهداف لتنمية المجتمعات المحلية بسائر أنحاء السلطنة في ضوء الفهم الكامل للقوى الاقتصادية والاجتماعية في البلاد..

وفي هذا الإطار صدرت التشريعات التي تستهدف حماية المواطن العماني وتحقيق التنمية للمجتمع عن طريق إعداد الكوادر الفنية اللازمة لمجالات العمل وافساح المجال أمام الشباب لممارسة مختلف أوجه النشاط الرياضي والاجتماعي والثقافي بافتتاح الأندية الرياضية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية وإنشاء وحدات للشؤون الاجتماعية والشباب وملاعب الصالحة ليمارس فيها الشباب أنشطتهم الرياضية المتنوعة إلى جانب إنشاء مباني لجمعية المرأة العمانية لتمكين من المساهمة والمشاركة في نشاط الحركة النسائية بعمان.

وفي نفس الإطار الاجتماعي أقامت وزارة الشؤون الاجتماعية مظلة من الرعاية الاجتماعية للأسر المحتاجة، وأنشئت وحدات للشؤون الاجتماعية في العاصمة مسقط والمدن الداخلية والساحلية بالسلطنة قدمت مساعدات لكل ذي حاجة إيماناً من الحكومة بالمحافظة على كرامة الإنسان العماني والترابط الأسري في إطار التقاليد العربية الموروثة..

مجال الانتاج

من المعروف أن انتاج بلد ما هو حصيلة جهد الإنسان مع مكونات بيئته، وحيث حرم الإنسان العماني في الماضي من أن يتفاعل بجدية وبمساعدة من الحكومة، فقد وضعت حكومة السلطان قابوس نصب أعينها إتاحة كل الرفص لكي يمارس الإنسان العماني دوره في زيادة دخل بلده عن طريق الإنتاج الزراعي، والصناعي، والتجاري، والبتروك وما إليها من ألوان الإنتاج التي تعود عليه وعلى بلده بالخير.

وقامت سياسة حكومة السلطان قابوس على تشجيع الزراعة بإنشاء وزارة للمزراعة قامت باتخاذ كافة السبل لزيادة الإنتاج الزراعي في المجالات

الزراعية المتاحة عند حدوث الحركة التصحيحية . وتوسيع رقعة الأرض بهدف زيادة الإنتاج من المحاصيل المألوفة ، وإدخال أنواع جديدة من المحاصيل ، وذلك عن طريق التوسع الرأسى والتوسع الأفقى بحيث تزيد المساحة المنزوعة عن ٩٠ ألف فدان وتزيد غلتها عما هى عليه .

وحيث تمتد الشواطىء العمانية ١٧٠٠ كيلو متر اهتمت حكومة السلطان قابوس بتشجيع عملية صيد الأسماك . وتوفيره للسوق المحلى وللتصدير ، وقد استعانت الحكومة بالخبرة المحلية والخبرة العالمية فى هذا المجال ، وخاصة لأقامة مصانع لتعليب الأسماك وصناعة السفن إلى جانب تشجيع الصيادين ورعايتهم .

وحيث تمثل الثروة الحيوانية فى السلطنة احدى الركائز الأساسية للإنتاج الزراعى فان حكومة السلطان قابوس اهتمت بتنمية الثروة الحيوانية فى السلطنة من حيوانات وطيور لتحقيق الاكتفاء الذاتى والحد من الاستيراد من الخارج . وذلك بتشجيع المواطنين على تربية الحيوان والدواجن وإقامة مصانع للعلف ومصانع لاستغلال جلود الحيوان ، وتهتم بصحة الثروة الحيوانية بتقديم الخدمات الصحية البيطرية .

ويمثل النفط مصدرا مهما من مصادر الدخل فى السلطنة ، وقد تم اكتشاف النفط وبكميات تجارية فى عام ١٩٦٤م بعد عمليات تنقيب شاقة منذ عام ١٩٦٢م ، ومنذ عام ١٩٦٧م بدأ استغلال النفط اقتصاديا ، وفى عهد السلطان قابوس شهد مجال النفط دفعة جديدة باكتشاف حقول جديدة فى وسط السلطنة وجنوبها ، وتعدد شركات التنقيب عن البترول فالى جانب شركة تنمية نفط عمان ، شاركت كل من شركة صن أويل عمان الأمريكية Sun وشركة ألف عمان الفرنسية وشركة ألف سميتومو الفرنسية اليابانية ، وكلها تعمل من خلال اتفاقيات تراعى مصالح السلطنة بما يحقق نسبة أكبر فى عائدات النفط .

وشهدت السلطنة فى عهد السلطان قابوس نشاطا واضحا فى البحث عن المعادن فى أنحاء السلطنة ، وقد تم اكتشاف معدن النحاس منذ عام ١٩٧٣م ، ومعدن الاسبيستوس الذى يستفاد منه فى صناعة الأسمدة فى

منطقة جببى غرب صحم، كما دلت عمليات التنقيب على اكتشاف معدن الحديد والنيكل والفحم والكروم والمنجنيز فى مناطق مختلفة.

وكانت الصناعة من المجالات التى شهدت تطوراً فى عهد السلطان قابوس، إذ كانت الصناعات القائمة فى البلاد قبل عام ١٩٧٠م هى الصناعات التقليدية وفى العهد الجديد بدأت السياسة الصناعية فى اتجاهين الأول المحافظة على الحرف التقليدية وتطوير الصناعات المهنية الصغيرة عن طريق استبدال الآلات المستخدمة بآلات مبسطة حديثة وتدريب الحرفيين على استعمالها وتسويق منتجاتهم بما يضمن زيادة دخولهم ورفع مستوى معيشتهم ودعم حرفهم.

وكان الاتجاه الثانى للسياسة الصناعية يقوم على إنشاء صناعات جديدة ذات مستوى عالمى فبدأ العمل عام ١٩٧٤م فى إنشاء مصنع الأسمنت وإنشاء صناعات عديدة مستخرجة من النفط والغاز الطبيعى وكثير من الصناعات الأخرى التى تحتاجها البلاد والقيام بمشروعات الكهرباء والمياه، بإنشاء محطات للكهرباء لاستخدامها فى الصناعة وفى الإنارة وإنشاء محطات لتحلية مياه البحر.

واهتمت حكومة السلطان قابوس بالتجارة الداخلية والخارجية، إذ تعمل وزارة التجارة والصناعة على تشجيع وتنمية النشاط التجارى بالبلاد وتخطيط السياسات والأنظمة من أجل استقرار المعاملات التجارية وتنظيم اجراءات التصدير والاستيراد لتوفير المواد الرئيسية واستقرار أسعارها، ويقوم ميناء قابوس بدور كبير فى تنشيط الحركة التجارية بين السلطنة والعالم الخارجى، كما تقوم غرفة التجارة والصناعة التى تأسست عام ١٩٧٣م بدور كبير فى تنظيم وتنشيط التطور التجارى والصناعى بالبلاد.

ولخدمة النشاط الاقتصادى بالبلاد فقد شهدت حركة المواصلات تطوراً كبيراً فى عهد السلطان قابوس، إذ أخذت حركة شق الطرق ورصفها تعمل على ربط كافة أنحاء السلطنة بعضها ببعض من أجل تنفيذ خطة التنمية والتطور والبناء فى كافة أنحاء البلاد بعد أن كانت محرومة من الطرق المرصوفة قبل عام ١٩٧٠م، وبالتالي كثرت حركة النقل البرى على هذه

الطرق بما يربط بين مدن السلطنة وبينها وبين الأقطار العربية الشقيقة
المجاورة كدولة الإمارات العربية المتحدة .

ومنذ افتتاح مطار السيب الدولي عام ١٩٧٣ زادت حركة النقل
الجوى ، خاصة مع سياسة الانفتاح على العالم التى اختطها السلطان قابوس
بعد العزلة التى كانت مفروضة على البلاد قبل عام ١٩٧٠ م وصار مطار
السيب يستقبل أضخم الطائرات الحديثة مثل طائرات الجامبو والكونكورد .

هذه صورة مختصرة عن انجازات سلطنة عمان فى عهد السلطان قابوس ،
مقارنة بما عاشته البلاد قبل عام ١٩٧٠ م وهى مقارنة توضح مكانة عمان
بين دول العالم المتحضر..



■ الفصل التاسع ■

إيران — العراق — الكويت

— مقدمة

— الحرب العراقية الإيرانية .

● مقدمة .

● العلاقات العراقية الإيرانية .

● الحرب .

— ادعاء الصهيونية بحق اليهود التاريخي في فلسطين :

● تاريخ اليهود .

● زعم شعب الله المختار .

● زعم الحق التاريخي .

— ادعاء نظام الحكم في العراق بالحق التاريخي في الكويت :

● العراق والكويت .

● مواقف دول العالم .

● المقارنة .

● الدروس المستفادة .



■ مقدمة ■

الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.. لقد كان خزو العراقى للكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠م وادعاء نظام الحكم فى العراق بالحق التاريخى للعراق فى الكويت دافعا لنا للبحث عن أصل هذا الانعلاء.. هل هناك فى السياسة حق تاريخى لدولة ماعلى دولة أخرى أو على جزء منها؟ وهل كانت الكويت فى وقت من الأوقات جزء من العراق؟.

ولقد أثار الإدعاء العراقى اهتمامنا واشفاقنا فى نفس الوقت لأننا منذ أكثر من سبعين عاما ومنذ صدور تصريح اللورد بلفور Balfour وزير الخارجية البريطانية فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م بما نصه :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلاد الأخرى» (١).

نقول أننا منذ أكثر من سبعين سنة ونحن كمرب ومسلمين نعارض فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين القائمة على حق اليهود التاريخى وعلى أن

(١) نخب صدقة : قضية فلسطين ص ٤٧.

اليهود شعب الله المختار أحفاد سليمان الحكيم ملك أورشليم .. ونكون متناقضين مع أنفسنا إذا فعلنا ذلك . فنحن نعتبر الحركة الصهيونية حركة معادية للإسلام فإذا اعتبر موقف صدام حسين في الكويت ؟

هذه التساؤلات هي التي دفعتنا إلى البحث الذي نتقدم به لمقارنة ادعاء الحركة الصهيونية بحق اليهود التاريخي في فلسطين وادعاء حكام العراق بحقهم التاريخي في الكويت حيث أن هذه الحق التاريخي استخدامها بعض الشعوب والدول في عصور تاريخية معينة ، ولكنها كانت تلحقها في كثير من الأحيان الفشل لأنها كانت تؤدي إلى عدم الاستقرار في العلاقات الدولية بل تؤدي إلى الحرب والدمار الذي يصيب العرمان والتقدم الحضاري .

وفي الصباح المبكر من يوم الخميس ١١ المحرم ١٤١٢ هـ الموافق ٢ أغسطس عام ١٩٩٠م اجتاحت القوات العراقية المسلحة أرض الكويت الدولة العربية المسلمة دون سابق إنذار، ففر الكويتيون بأرواحهم وأعراضهم قاصدين أرض المملكة العربية السعودية وبعض الأنهار العربية الشقيقة الأخرى، ولم يستطع منهم القرار تعريض للشغل أو التعذيب أو الإغتصاب .

ولكني أيرر نظام حكم صدام حسين في العراق ما فعله بالكويت أعلن الله :

أولاً : جاء لتأديب أهل الكويت الذين سرقوا بترول العراق عن طريق استخراج البترول بكميات كبيرة من حقل الرميلة المجاور للحدود العراقية مما أدى إلى سحب إذا كان يمكن — لو كان الإدعاء صحيحاً — الحصول على تعويض عن طريق التفاهم مع الكويت وليس عن طريق الغزو وقوات عسكرية كبيرة .

ثانياً : وعندما وجد ضعف الإدعاء الأول والذي لو كان صحيحاً لخرج من أرض الكويت بقواته بعد أن سرت قوات العراق كل ما كان على أرض الكويت من أموال في البنوك ومشغولات ذهبية وآلات وسيارات وغيرها من المحلات وأعلن ادعاء آخر بأن هناك انقلاباً عسكرياً قام به الثوار الكويتيون ضد آل صباح ، وأن هؤلاء الثوار

استنجدوا به لتقوية مركزهم هناك ، وأنه استجاب لهذا الطلب فأرسل قواته المسلحة لنجدة ثوار الكويت .

ثالثاً : وعندما أعلنت المعارضة الكويتية وقفها الوطنية ضد الاجتياح العراقي وأنها تقف مع كل الشعب الكويتي وحكام الكويت الشرعيين من آل صباح لإخراج القوات العراقية الغازية من أرض الكويت أعلن صدام حسين تبريراً آخر قال فيه إن الحكم الجديد في الكويت — والذي اختاره هو — طلب الوحدة مع العراق لينضم كما قال الفرع إلى الأصل في وحدة قوية غنية .

رابعاً : وعندما لم ينطّل هذا الادعاء على أبناء الكويت وأبناء الأمة العربية على امتدادها من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ، ولا على دول العالم في الشرق والغرب على السواء اخترع دعوى شيطانية أسماها الحق التاريخي للعراق في الكويت وراح زبانيته داخل العراق وخارجه يروجون لهذه الدعوى .

- فهل كان للعراق في عصور التاريخ المختلفة سيطرة على الكويت ؟
- وهل فكرة الحق التاريخي مبرر لاجتياح الدول والسيطرة عليها ؟
- وما موقف دول العالم من فكرة الحق التاريخي على مستوى العالم ؟
- وهل تم تطبيق فكرة الحق التاريخي في أى جزء من أجزاء العالم ؟
- وما موقفنا نحن كعرب من ادعاء الصهيونية بالحق التاريخي لليهود في فلسطين ؟

● وماذا يكون موقفنا من ادعاء صدام ونحن ننتكر ادعاء الصهيونية ؟

هذه مقدمة سقتها لأناقش هذه القضية الهامة التي واجهت الأمة العربية بل والأمة الإسلامية بل ودول العالم قاطبة في وقت كان التضامن العربي والإسلامي في أفضل ظروفه أمام النظام العالمي الجديد القائم على نبذ الشيوعية والإتجاه للديموقراطية إلى جانب اتجاه دول الجماعة الأوروبية إلى الوحدة السياسية بعد أن تحققت وحدتها الاقتصادية .

ومن خلال المناقشة أقارن بين ما ادعته الصهيونية وما فعلته في فلسطين وبين ما ادعاه صدام حسين وما فعله بالكويت .

ونعالج أيضا موضوع الحرب العراقية الإيرانية من حيث العلاقات بين إيران والعراق عبر التاريخ والثورة الإيرانية والحرب بين الطرفين ، حيث كان هناك ارتباط بين نتائج هذه الحرب واجتياح القوات العراقية لأرض الكويت .

الحرب العراقية الإيرانية

■ مقدمة:

الحرب العراقية الإيرانية تظل معينا لا ينضب من البحث حول أسباب حدوثها وكيفية حدوثها والعناصر المشاركة فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، والمواقف المتعددة للقوى المحلية والعالمية ..

فالحرب العراقية الإيرانية حرب بين دولتين إسلاميتين وهو أمر مؤسف ، فبدلا من التجمع الإسلامى كما يدعو القرآن الكريم في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » صدق الله العظيم . نجد هذه الحرب تسفك فيها دماء المسلمين بسلح إسرائيلى وأمريكى وفرنسى وسوفيتى وصينى بصفة خاصة .

والحرب بين المسلمين تستلعى إذا كان موقف إسلامى حقيقى — بذل الجهود للمصالحة بين الطرفين المتحاربين تطبيقاً لقول الله سبحانه وتعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تهوى إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما » صدق الله العظيم .

والحرب العراقية الإيرانية حرب بين قوميتين قومية عربية تمثلها العراق وقومية فارسية تمثلها إيران ، فهو صدام يرتكز على الخلاف العرقى بين الطرفين ومن هنا شاركت في هذه الحرب دول أخرى عربية تؤيد العراق انطلاقاً من الارتباط القومى واستنادا إلى ميثاق الدفاع العربى المشترك ، ودول أخرى لها مصالح مع إيران سواء كانت عربية أو كانت معادية

للعروبة مثل إسرائيل وغيرها من الدول التي تستفيد من بيع الأسلحة كالصين ..

والحرب العراقية الإيرانية حرب بين دولتين متجاورتين وفي منطقة تتمتع بميزات استراتيجية واقتصادية هي منطقة الخليج العربي، فالجوار بين العراق وإيران قديم قدم الوجود لهذين القطرين، وخلال مراحل التاريخ كان هناك صراع بين الحكم في العراق والحكم في فارس سواء كان قبل الإسلام أو حتى بعد دخول الإسلام لتلك البلاد.

ذلك أنه تكون في فارس عام ١٥٠٠ م أول دولة إسلامية مذهبها الديني الرسمي هو المذهب الشيعي، وهي الدولة الصفوية تمد نفوذها من تبريز — عاصمة فارس — إلى العراق عام ١٥٠٨ م، ثم حاولت الاستمرار في مد هذا النفوذ إلى الأناضول والشام بما دفع الدولة العثمانية إلى الزحف شرقاً بالاستيلاء على العراق والشام ومصر، ومن هنا دخلت في صراع — وهي الدولة السنية المذهب — مع الدولة الصفوية الشيعية المذهب.

وبجانب ما ذكرنا فإن العراق المستقل — بعد انتهاء الحكم العثماني — بعد الحرب العالمية الأولى قد ورث الصراع مع فارس، واستمر هذا الصراع الذي لم تكن مشكلة تحديد الحدود بين العراق وإيران هي وحدها عك الصراع بين الطرفين وإنما كانت هناك عوامل أخرى قومية ومذهبية وسياسية ساهمت في استمرار الصراع حتى اليوم.

والعراق دولة على رأس الخليج العربي، وإيران تقع على الخليج العربي الشمالي والجنوبي أن من رأسه حتى مدخله عند مضيق هرمز الذي يربطه بالمحيط الهندي عبر بحر عمان أو خليج عمان وهذه المنطقة تمثل مصدراً اقتصادياً عالمياً بسبب توفر احتياطي هائل من البترول في كل أقطار الخليج: إيران، العراق، الكويت، المملكة العربية السعودية، البحرين، قطر، دولة الإمارات العربية المتحدة، سلطنة عمان.

ونتيجة لهذه الثروة البترولية في منطقة الخليج العربي، اهتمت القوى العالمية بأن يكون لها نفوذ في المنطقة، وبدأت الخطط توضع من جانب الدول الكبرى بصفة خاصة بأن تكون لها تواجد مباشر أو غير مباشر،

والتاريخ يعطينا الأمثلة على ذلك منذ محاولة البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر ثم الهولنديين فالفرنسيين ثم البريطانيين الذين استمروا بجهودهم بصفة مطلقة منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٧١م عندما بدأت تظهر أقطار الخليج العربي المستقلة .

والعراق وإيران موضع اهتمام استراتيجي بين القوتين الكبيرتين الحاليتين الاتحاد السوفييتي - وله حدود مشتركة مع إيران - والولايات المتحدة الأمريكية ولها استثمارات بترولية وتجارية هائلة ومصالح استراتيجية حيوية في المنطقة ، ومن ثم وجدنا مغازلة كل من القوتين لطرفي الحرب العراق وإيران .

فالعراق يحصل على معظم أسلحته من الاتحاد السوفييتي ، كما يحصل على أسلحة أمريكية أيضاً . وتعاطف سياسى خاصة بالنسبة لقرار رقم ٥٩٨ الصادر عن مجلس الأمن الخاص بالدعوة لوقف إطلاق النار بين البلدين ، وإيران تحصل على أسلحة أمريكية إما عن طريق إسرائيل أو عن طريق وسطاء آخرين يعلم الحكومة الأمريكية فيما عرف بفضيحة إيران - جيت ، كما أنها تحصل على أسلحة سوفيتية ، وتحصل على تعاطف سوفيتي تمثل في رفض الاتحاد السوفييتي في فرض عقوبات اقتصادية ضد إيران لعدم قبولها قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار .

وهنا تظهر العوامل المرتبطة بالحرب العراقية الإيرانية باعتبارها عوامل عالمية إلى جانب العوامل المحلية باعتبار فهمها . وتوضيح دورها مما يلقي الضوء كاملاً - إلى جانب الظروف المحلية - على الصراع بين الطرفين ويعطى مؤشرات لمسارها الحالي والمستقبل .

العلاقات العراقية الإيرانية :

دخلت بلاد فارس في حظيرة الدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة أبوبكر الصديق على أنقاض حكم الأكاسرة الوثنيين ، وانخرطت الفرس بعد ذلك في الإسلام في ظل الدولة العربية الإسلامية في عهود الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، فقد شارك الفرس في

إسقاط الدولة الأموية التي اعتمدت على العنصر العربي في تسيير أمورها منذ عام ٤٠ هـ الموافق لعام ٦٦٠ م إلى عام ١٣٢ هـ الموافق ٧٤٩ م.

وفي عهد الدولة العباسية التي أعقبت سقوط الدولة الأموية كان للفرس دور بارز سواء في قيامها أو في تسيير أمورها، فكان أبو مسلم الخراساني الرجل الذي أسهم بدور واضح في قيام الدولة العباسية على أنقاض الخلافة الأموية، ولكن طموحاته دفعت الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى التخلص منه ومن رجاله، وكانت أسرة البرامكة سنداً للخليفة هارون الرشيد ومن قبله أبوه الخليفة المهدي، ولكن طموحهم جعل هارون الرشيد يتخلص من بعضهم بالقتل ومن البعض الآخر بالسجن.

وعندما ضعفت الخلافة العباسية في بغداد أخذت تظهر الدويلات الإسلامية في بلاد فارس وغيرها من بلاد المشرق الإسلامي، حتى إذا جاء الغزو المغولي من وسط آسيا اجتاحت بلاد فارس حتى وصل إلى بغداد فدمرها عام ٦٥٦ هـ الموافق لعام ١٢٥٨ م حيث فر آخر الخلفاء العباسيين ليعيش في كنف السلاطين المماليك في القاهرة.

وفي عام ١٥٠٠ م قامت في فارس دولة صفوية على أنقاض الدولة المغولية على أساس المذهب الشيعي، والدولة الصفوية تنتسب إلى الشيخ صفى الدين صاحب طريقة صوفية في «أردبيل» بأذربيجان من بين عدة طرق صوفية انتشرت هناك أثناء الاضطراب الذي عم إيران والعراق عقب سقوط دولة المغول الكبرى. وقد أصبح لهذه الحركة قوات عسكرية تتخذ لاساً للرأس عبارة عن تاج أحمر ذا إثني عشر ذؤابة، كناية عن الإثني عشر إماماً، ولهذا أطلق عليهم العثمانيون أثناء الصدام معهم عام ١٥١٤ م صفة «قزل باش» أي الرأس الحمراء^(٢).

ورغم انتصار القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول بنفسه على القوات الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي في سهل «جالديران» عام ١٥١٤ م ودخول السلطان سليم الأول إلى العاصمة الصفوية «تبريز»

(٢) د. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٠٢.

واستيلائه على أموال وكنوز الشاه ونسائه فإن هذا الانتصار لم ينه العداء بين الفريقين، بل استمر طويلاً وكان العراق - الذي خضع للصفيين منذ عام ١٥٠٨م - ميداناً للصراع والمعارك بين الطرفين، مما جعل العراق موزعاً توزيعاً يكاد يكون متوارثاً بين السنة والشيعة (٣).

ورغم حملة السلطان سليم الأول عام ١٥١٤م المشار إليها آنفاً لم يخضع العراق كله للحكم العثماني، بل خضع شماله فقط في الموصل وديار بكر، وحتى في هذه المناطق لم يكن الحكم العثماني مستقراً كل الإستقرار، أما العراق الأوسط والجنوبي فقد ظل في يد الفرس (٤). وكان هذا الانقسام من أسباب استمرار الصراع بين الأتراك العثمانيين وبين الفرس الصفويين.

وفي عام ١٥٣٣م قاد السلطان سليمان المشرع (القانوني) حملة عسكرية استولى بها على بغداد، وانضمت مدينة البصرة آنذاك إلى العثمانيين طواعية، بذلك أصبح العراق كله تقريباً خاضعاً للدولة العثمانية حتى عام ١٦٣٣م. عندما أعاد الصفويين الكرة واستولوا عليه وبقوا به لمدة خمسة سنوات، إلى أن قاد السلطان العثماني مراد حملة عسكرية في ١٦٣٨م استولى بها على العراق وأعادته إلى حظيرة الدولة العثمانية (٥).

ولم تكن حملة السلطان العثماني مراد على العراق آخر مراحل الصراع بين الفرس الصفويين والعثمانيين حول العراق، إذ أنه بعد سقوط حكم الأسرة الصفوية في فارس على يد نادر شاه عام ١٧٣٣م، حاول هذا الحاكم الجديد الاستيلاء على العراق ولكنه فشل، ثم أعاد الكرة من عام ١٧٤٣ إلى عام ١٧٤٧م عندما توفي نادر شاه، وعقدت بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية معاهدة حددت الحدود التقليدية بين البلدين مع دخول العراق في حوزة الدولة العثمانية، وهذه المعاهدة انتهت فترة الصراع الطويلة بين الفرس الشيعة والعثمانيين السنة والتي كان العراق ميدانها.

(٣) د. رأفت الشيخ: في تاريخ العرب الحديث طبعة أولى ١٩٧٥ ص ٩٢.

(٤) د. محمد أنيس ود. رجب حراز: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ص ٣٨.

(٥) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ٩٢.

وما يجب الإشارة إليه أن مدينة البصرة كان لها وضع خاص، فقد استولى عليها الفرس الصفويون أولاً في عام ١٦٩٧م، ثم تركوها بعد عامين، ثم أغار عليها نادر شاه عام ١٧٤٣م. ثم ارتد عنها. وكانت البصرة بحكم موقعها على شط العرب على رأس الخليج مصدر اهتمام الدول الأوروبية، وقد استفادت العشائر العربية هناك من هذا الاهتمام إلى جانب استفادتها من الصراع العثماني الفارسي^(٦).

وقد ورث الباشوات المماليك في العراق العداء مع الفرس، فقد كان العداء عنيفاً بين آخر هؤلاء المماليك وهو داود باشا وبين الفرس انقلب أثره المدمر على الفرس الشيعة المقيمين بالعراق والمصالح الفارسية بالعراق وتوقف هذا العداء بتوقيع صلح «أرضروم» في مارس ١٨٢٣م الذي أنهى إجراءات داود باشا ضد الفرس في العراق وأعاد منطقة كردستان إلى حظيرة الدولة العثمانية^(٧).

وكان شاهات فارس لا ينفكون يؤيدون ثورات أكراد شمال العراق، ومن ثم كانت الحرب مستمرة بين حكومة الباشوات في بغداد وبين الأكراد حتى عقدت معاهدة أرضروم الثانية بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية في مايو عام ١٨٤٧م وقد نصت على أن تتنازل فارس عن السليمانية ومناطق أخرى مقابل تنازل الدولة العثمانية لفارس عن الساحل الأيسر لشط العرب ومناطق أخرى.

وفي عام ١٩١٣م عقد بين فارس والدولة العثمانية بروتوكول تم التوقيع عليه بمدينة إستانبول لتخطيط الحدود بين العراق وفارس، وشاركت كل من بريطانيا والروسيا في التمهيد لهذا الاتفاق. وقد نص البروتوكول على وصف خط الحدود الفاصل بين البلدين والذي أصبح يمر في منتصف شط العرب لمسافة أربعة أميال، ثم يعود ليسير مع الضفة الشرقية للنهر وحتى عرض البحر (الخليج) بـ

(٦) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات في النهضة العربية الحديثة ص ٢٣٠.

(٧) د. رأفت الشنغ: المرجع السابق ص ٦٦.

وعندما انتهت السيادة العثمانية رسمياً عن العراق عام ١٩٢١م ورث العراق الإتفاقات الموقعة بين الدولة العثمانية وبين فارس ، وفي عام ١٩٣٧م عقدت بين العراق المستقل وإيران معاهدة في الرابع من شهر يوليو أصبحت نافذة في العام التالي (١٩٣٨م) بعد أن جرى التصديق عليها في البلدين ، وقد نصت على أن يكون خط الحدود هو الخط الذي رسمه بروتوكول عام ١٩١٣م.

وفي ١٩ أبريل ١٩٦٩م أعلنت إيران عدم الإلتزام بما جاء بمعاهدة عام ١٩٣٧م من جانب واحد وطالبت بتأسيس إدارة مشتركة للملاحة في شط العرب باعتبار ذلك هو الأساس القانوني الوحيد المعترف به عامة لتحديد الحدود في الأنهار الدولية الصالحة للملاحة ، في حين بقى العراق متمسكاً بمعاهدة ١٩٣٧م بكل بنودها .

ونتيجة لتشجيع الإيرانيين للأكراد شمال العراق بزعامة الملا مصطفى البرزاني توسطت الجزائر بين إيران والعراق حتى اجتمع كل من شاه إيران وصدام حسين نائب رئيس العراق في الجزائر في ٦ مارس ١٩٧٥ ، حيث اتفقا على ما يلي :

- ١- إجراء تخطيط نهائي للحدود البرية بين البلدين وفقاً لما نص عليه بروتوكول إستانبول لعام ١٩١٣م .
- ٢- تحديد الحدود النهرية وفقاً لما نص عليه القانون الدولي الخاص بالأنهار الدولية الصالحة للملاحة ، أى الإلتزام بخط الثالوج (الخط المار بمنصف النهر) .
- ٣- وضع حد نهائي لكل التسلل الناتج عن أشخاص غربيين بين البلدين .
- ٤- اعتبار هذا الاتفاق عنصراً لا يتجزأ لحل شامل .

وكان معنى هذا الاتفاق الذي تم التوقيع عليه في شهر يونيو من ذلك العام هو تنازل العراق مرغماً عن نصف مياه شط العرب لإيران مقابل عدم مساعدة إيران للأكراد بشمال العراق الثائرين ضد حكومة بغداد .

وعندما عاد آية الله خميني إلى طهران من فرنسا في أول فبراير ١٩٧٩م

تسلم زمام الحكم في إيران رجال الدين أتباع الخميني في العاشر من نفس الشهر، لينتهي بذلك حكم أسرة بهلوي الذي استمر لما يزيد على نصف قرن من الزمان، وفي أواخر مارس من نفس العام تم طرح إعلان «الجمهورية الإسلامية» للاستفتاء العام أمام الشعب الإيراني، وبناء على نتيجة الاستفتاء الذي استمر لمدة يومين أعلن آية الله خميني اعتبار أول أبريل يوم «الجمهورية الإسلامية» في إيران.

وقد أعلن الخميني أن حكومته هي أول حكومة دينية في التاريخ للمذهب الإثني عشري، وأن واجب الشيعة أن يحرصوا عليها لأنها تمثل أول إنصاف لهم في التاريخ بعد ظلم إنصب عليهم طوال القرون الماضية لم يتمكنوا فيها من إقامة حكم باسمهم، وأن العالم السني يقف في وجه هذه الحكومة، وهذا الإنصاف الذي تحقق لهم، ولذلك يحاربهم، واستشهد بموقف العراق منهم (٨).

وخطورة هذا القول ترجع إلى تعبئة الرأي العام الإيراني ضد العالم السني، وحث الإيرانيين على الاستمرار في الحرب ضد العراق السني ومن يؤيده من دول عربية سنية المذهب، وأن حقهم الذي حصلوا عليه مؤخرًا — وهو حق الحكم — يجب التمسك به والقتال من أجل بقائه في أيديهم.

وتتمثل خطورة الثورة الإيرانية على الإسلام والدعوة الإسلامية فيما يلي:

- ١ — أنها في بلد نام ككل البلاد الإسلامية.
- ٢ — الإدعاء بأنهم يمثلون الإسلام وهم يسئون إلى الإسلام.
- ٣ — مهزلة المحاكم الثورية وحراس الثورة.
- ٤ — رفض الصلح مع العراق.
- ٥ — التهديد بتصدير الثورة وإسقاط حكومات أقطار الخليج العربي.

فإذا تحدثنا عن أثر قيام هذه الثورة الدينية في بلد نام ككل البلدان الإسلامية وهي إيران فإننا نلاحظ تركيز أجهزة الدعاية الإيرانية على أنها ثورة شعبية بالمعنى التقليدي للكلمة وأنها نموذج فريد في البلاد المتخلفة التي

(٨) د. عبد النعم النمر: الشيعة، المهدي، الدروز، تاريخ ووثائق ص ١٥٤.

لا تحدث بها ثورة إلا بواسطة القوات المسلحة كانقلابات عسكرية تطيح بالحكومات القائمة .

كما أن الدعاية الإيرانية تصور الثورة بأنها أطاحت بنظام حكم الشاه المستند إلى حراب الأمريكيين ورعوس أموالهم ، فكأنهم يقولون لقد أسقطنا العميل الأمريكي ولم تستطع القوة الأمريكية فرضه على الشعب الإيراني .

كما أن الدعاية الخومينية أبرزت أن هذه الثورة الشعبية ظهرت في منطقة تتنافس عليها القوى الكبرى وتتواجد بها مصالح الدول العظمى ، ومع ذلك فلم يحسب الشعب الإيراني لهذه القوى أى حساب ، فهو يتبع بشجاعة فائقة تيمله لا يعبأ بأية أساطيل في مياه الخليج ولا أية قواعد عسكرية قريبة منه (٩) .

كل هذه الإدعاءات تجد تحليلاً لها من المراقبين الأجانب فلا يملكون إلا الرثاء لها لأنهم يعلمون مواقف القوى الكبرى من تمثيلية الثورة في إيران ومن اعتقاد هذه القوى بأن الشاه قد انتهى دوره على مسرح السياسة في بلاده ولا بد من تغييره حتى ولو بشخص يدعى الإسلام ليسىء إلى الإسلام .

وإذا ما انتقلنا إلى الإدعاء الإيراني بأن زعماء الثورة يمثلون الإسلام الحقيقي باعتبار أن زعامة الثورة زعامة دينية أمسكت بمقاليد السلطة في البلاد ، وتفرض على الإيرانيين أفكاراً ومفاهيم جديدة ، فإن خروج هؤلاء الزعماء عن أصول الإسلام يسىء إلى الإسلام والمسلمين .

ومن الأدلة على ذلك ما جاء بكتاب « كشف الأسرار » للخوميني من أن الخلفاء الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان وجميع أكابر الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا طلاب دنيا كما كانوا شر الخلق ، فقد قبلوا الإسلام بالمستهم فقط . طمعاً في الحكم والسلطة فهم في الظاهر مسلمون ولكنهم في الباطن كفار

(٩) السيد زعفران: واقع الثورة الإيرانية وميثاقها، بيروت، دار تبليغ، مجلة السياسة، ١١، العدد ٦٠، يوليو ١٩٨١ م .

وزنادقة، وكانوا على استعداد لارتكاب أى عمل شرير من أجل تحقيق أهدافهم وأغراضهم (١٠).

الحرب:

شهد صيف عام ١٩٨٠م تصعيداً عسكرياً بين العراق وإيران، فقد أذاعت وكالة «أسوشيتد برس» Associated Press تقريراً في شهر أكتوبر ١٩٨٠م عن تطور الأعمال العسكرية منذ شهور يونيو من ذلك العام جاء فيه:

- ١- أعلنت إيران في ٣ يونيو عن مصرع ١٢٢ جندياً عراقياً خلال اشتباكات دامت ٤٨ ساعة بعد مصادمات على الحدود بين البلدين استمرت ثلاثة أيام.
- ٢- اتهم الرئيس العراقي صدام حسين في ١٧ يونيو إيران بالشعور بالعداء إزاء الدول العربية ومحاولة التوسع في منطقة الخليج.
- ٣- وفي ٥ أغسطس هرب خمسة ضباط إيرانيين إلى العراق، وفي ٨ من نفس الشهر ناشد السفير الإيراني لدى موسكو السلطات السوفيتية وقف تزويد العراق بالأسلحة.
- ٤- كما أعلن في ١٩ أغسطس عن انفجار أحد المصانع الإيرانية بإقليم خوزستان كانت نتيجته مصرع ٩٠ شخص وإصابة ٣٥ آخرين (١١).

وتوالى الأحداث حيث تبادل العراق وإيران الإعلان عن عمليات عسكرية حدودية حتى ٢١ سبتمبر، كان منها إعلان الرئيس العراقي صدام حسين في ١٧ سبتمبر إلغاء معاهدة الحدود مع إيران التي أبرمت بينها في عام ١٩٧٥م، وكان منها إعلان إيران بامتداد الممارك إلى منطقة «خورامشهر» وعلى طول حدود إقليم خوزستان (١٢).

(١٠) الشيخ محمد منظور نعماني ترجمة د. سميع عبدالحميد: الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ص ١٩.

(١١) Time: October 1980.

(١٢) مجلة السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١م.

وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ أعلن الرئيس العراقي صدام حسين بياناً لمجلس قيادة الثورة العراقي أكد فيه أن القوات العراقية قررت الرد بقوة على الاعتداءات الإيرانية على أثر قرار إيران إغلاق حدودها ومطاراتها مما يدل على رغبة الزمرة الحاكمة في إيران إعلان الحرب على العراق .

وأضاف بيان مجلس قيادة الثورة العراقية : لقد أعتقدنا أن الزمرة الحاكمة في إيران من أحفاد المجوس الموغلين في حقدهم على العراق سيوقعون اعتداءاتهم بعد قيام الجيش العراقي بتحرير الأراضي العربية المغتصبة على الحدود العراقية ، ولكن إيران لجأت إلى إعاقة الحركة الملاحية في شط العرب بقصف السفن المدنية العراقية والأجنبية ، فكان لزاماً علينا أن نندفع عن أنفسنا ضد حالة الحرب التي فرضتها علينا إيران كحرب شاملة . ومن ثم صدرت الأوامر للقوات العراقية لكي توجه ضربات رادعة إلى الأهداف العسكرية الإيرانية لإحباط مخططات أسيادهم للنيل من سيادة وأمن العراق (١٣) .

ومن هذا البيان ومن استعراض تطور العداء والصراع بين العراق وإيران تتضح الحقائق الآتية :

أولاً : لم يكن يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠م بداية الحرب العراقية الإيرانية المشتعلة حتى الآن ، بل بدأت العمليات العسكرية بين الطرفين منذ أول يونيو كما رأينا .

ثانياً : أن إيران بدأت العمليات العسكرية حسب مذكرته وكالة الأنباء الأمريكية وسجلته مجلة تايم الأمريكية من إعلان إيران قتل ١٢٢ جندياً عراقياً في اشتباكات على الحدود بينما لم تعلن عن خسائر الإيرانيين مما يدل على هجوم مفاجئ إيراني على موقع عراقي على الحدود .

ثالثاً : جاء قرار إيران بغلق حدودها ومطاراتها وأجوائها دليل على نية إيران في الحرب ضد العراق التي كان عليها أن تواجه هذا الإجراء

بأن تسبق في اتخاذ الحيلة انطلاقاً من المبدأ العسكري القائل بأن
المهجوم أفضل وسائل الدفاع.

رابعاً: لجوء إيران إلى تهديد الملاحة في شط العرب بقرب السفن العراقية
والأجنبية دليل على عمل حربي لا بد من مواجهته من جانب
العراق.

ومع استمرار الحرب طوال هذه السنوات، فقد أعلن العراق عن
استعداده لوقف الحرب والبحث عن طريق السلام، وفي البداية كان عرض
السلام العراقي مشروطاً بحصوله على مطالبه المحدودة في شط العرب التي
اغتصبها الشاه باتفاقية عام ١٩٧٥م، ولكنه الآن وفي إطار تكثيف عروضه
للسلام لإحراج حكام إيران عاد إلى قبول الأوضاع السائدة قبل انطلاق
الحرب من عقابها في شهر سبتمبر ١٩٨٠م، ويتفق العرض العراقي مع
نظراته لمنظور الصراع مع إيران، أما حكام إيران فما زالوا يحافظون على
منظورهم للصراع كصراع شامل، ولم يحدث من التغيرات حتى الآن ما يدفع
حكام إيران إلى تغيير موقفهم (١٤).

ادعاء الصهيونية بحق اليهود التاريخي

في فلسطين

تاريخ اليهود:

كان قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية تطبيقاً لدعوى
الصهيونية العالمية بحق اليهود التاريخي في أرض فلسطين. فكيف تم ذلك؟
عاش اليهود كمعتنقي ديانة سماوية إلى جانب العرب سواء منهم الذين
يعتقون الإسلام أم أولئك الذين يعتنقون المسيحية على أرض فلسطين مئات
بل آلاف السنين جنباً إلى جنب كما عاشوا في أقطار أخرى، وظل الحال
على هذا النحو حتى ظهرت الحركة الصهيونية العالمية في أواخر القرن التاسع

(١٤) عبده مباشر: الحرب العراقية الإيرانية كتاب اليوم العدد ٢٦٣ ديسمبر ١٩٨٦م ص ٢٠٤.

عشر. وطالبت بتجميع اليهود المشتتين في أنحاء العالم لإحياء الدولة اليهودية القديمة «جوديا» وعاصمتها «أورشليم» التي كانت قائمة فيما يعرف الآن بفلسطين ثم هدمها الرومان وقضوا على كيائها وشتوا شعبها هكذا تذكر الصهيونية !!

وظل اليهود في أنحاء العالم يعتقدون هذه الفكرة الصهيونية ، فكرة الحق التاريخي لهم في «أورشليم» وما حولها ، ويدعون أنهم ورثة ملك سيدنا سليمان الحكيم ، ويحاولون تفسير نصوص في التوراة تتفق مع أهدافهم بأن لهم جذوراً في فلسطين عليهم إحياءها من جديد بحكم الحق التاريخي .

فيذكر المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي Toynbee في كتابه «دراسة للتاريخ» أن بعض القبائل الإسرائيلية التي عاشت في التيه توقفت شرق نهر الأردن لتسمين العجول التي نهبوا من أرض «باشان» وكانت مملكة يسيطر عليها الملوك العموريون ومركزهم «عشتاروت» وقد هزمتهم القبائل الإسرائيلية في موقعة «إذري» عام ١٩٤٥ قبل الميلاد وقضوا على سكان تلك المملكة ونهبوا ماشيتهم وامتلكوا أراضيهم غصباً وقهراً . وقد جاء ذلك في سفر التثنية الإصحاح الثالث . وتضيف رواية أرنولد توينبي أن هذه القبائل الإسرائيلية استقرت في مراعى «جلعاد» وهى بقعة جبلية تقع إلى الشرق من نهر الأردن وجنوب نهر اليرموك .

انظر فيما قاله «توينبي» لقد كان اليهود منذ فجر تاريخهم عدوانيين واستمرت روحهم العدوانية ضد البشرية لامتلاء قلوبهم بالحق والكرهية ضد بنى البشر.. فإذا فعلت القبائل المسالمة في أرض «باشان» لكى تسعى قبائل بنى اسرائيل العدوانية إلى تدمير مملكة هؤلاء السكان المسالين ولكنها الكراهية اليهودية لبنى البشر.

ويضيف «أرنولد توينبي» موضحاً حركة الإسرائيليين كما يوضحونها بأفكارهم مفسرين التوراة على هواهم بأن الفلسطينيين الذين وصفهم الإسرائيليون وغيرهم بهذا الاسم في بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد تعبيراً عن الإحتقار، ثم استخدم هذا الاسم بعد ذلك تعبيراً عن ضالة

المكانة الاجتماعية والثقافية، وذلك تحت تأثير حالة سكان فلسطين أيام التوراة وقبل أن يسكنها العرب الذين تسموا بالفلسطينيين .

فيذكر «توينبى» أن الفلسطينيين دخلوا في هذا الوقت المبكر قبل الميلاد في صراع مع الإسرائيليين يصفها بأنها معركة خاسرة للعرب للإستحواذ على سهل «يزرعيل» وهو اسم عبري لمكان يعرف الآن باسم «مدرج بنى عامر» - كما جاء في سفر القضاة ٣٣/٧ - وللإستحواذ على «الشفلة» وهى كلمة عبرية كذلك تعنى التلال المنخفضة وموقعها الآن السهل الساحلى الممتد من «غزة» إلى «يافا» - كما جاء في سفر أخبار الأيام ص ٣٨/٢٨ - ويصف توينبى الصراع بين الفلسطينيين واليهود بأنه كان صراعاً شديداً الوطأة خاصة أن القبائل اليهودية المعتدية كانت أشد قوة ومراساً في الحرب، وهى تلك القبائل التى عرفت باسم إسرائيليو تلال «إفرايم» و«يهوذا» .

وتذكر لنا المصادر أن اسم إسرائيل نفسه كان غير معروف عند المؤرخ اليونانى «هيرودوت» الذى زار مصر قبل الميلاد وسجل صفحات من تاريخها وتاريخ المنطقة وكانت أرض إسرائيل - كما يذكر أرنولد توينبى - فى الصورة العامة التى رسمها «هيرودوت» عن العالم السورى ما تزال تحجبها أرض الفلسطينيين (أو السهل الساحلى) التى ظل اسمها حتى اليوم فلسطين .

ويردد الإسرائيليون روايات توضح تفوقهم الفكرى على البشرية بسرد رواية تقول بالنص كما جاءت فى التوراة سفر الملوك الأول (٥/٣ - ١٢) تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلاً وقال الله اسأل ماذا أعطيك ؟ فقال سليمان : اعط عبدك قلباً فهِمياً ، فحسن الكلام فى عينى الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر فقال له الله من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك ، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم ، هوذا قد فعلت حسب كلامك ، هوذا أعطيك قلباً حكيماً مميّزاً ، إنه لم يكن مثلك قبل ، ولا يقوم بعدك نظيرك .

وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله : غنى وكرامة حتى إنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك .

فهنا لا بد لنا من وقفة . فنحن المسلمين نعتقد بأن تفوق سيدنا سليمان في العلم والفهم والملك والسلطان حقيقة لأن القرآن الكريم أخبر بها في وضوح لا لبس فيه . والآيات من ٧٨ إلى ٨٢ من سورة الأنبياء تقول : بسم الله الرحمن الرحيم : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحث إذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلّمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون . وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين . ومن الشياطين من يفوضون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين » صدق الله العظيم .

والآيات من ١٥ إلى ٤٤ من سورة النمل تقول : بسم الله الرحمن الرحيم : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . وورث سليمان داود وقال أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على واد النمل قالت غملة يأها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين . وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائين . لأعذبه عذاباً . بدأ أولاذجته أو ليأتيني بسلطان مبين . فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئت من سبأ نبياً يقين . إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم » وتستمر الآيات ٢٤ حتى ٤٤ تروى قصة بلقيس ملكة سبأ .

وتذكر الآيات من ٣٠ إلى ٤٠ من سورة ص : بسم الله الرحمن الرحيم : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . رُدوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق . ولقد فتنا سليمان وألقينا

على كرسيه جسداً ثم أناب . قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رضا حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . وإن له عندنا لزلفى وحسن مثاب « صدق الله العظيم .

كما تذكر الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ من سورة سبأ : « ول سليمان الريح غُدُوها شهر و رَوْاحُها شهر وأسلنا له عَيْنَ القِطْرِ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين « صدق الله العظيم .

هذه الآيات كلها من سور الأنبياء والتل وص و سبأ تبين ما أعطاه الله للنبي سليمان من العلم والفهم والملك والسلطان الذي امتد إلى الجن والطيور والحيتوان والرياح والحشرات إلى جانب الإنس .. إن الإيمان بهذا يدخل في صميم العقيدة الإسلامية . لكن تفسير اليهود لهذا التفوق للنبي سليمان بأنه يعطى خصوصية لبنى اسرائيل في العلم والفهم على غيرهم من البشر حتى أصبحوا شعب الله المختار فهذا شيء آخر .

لقد روج اليهود بأنهم شعب الله المختار استناداً إلى أنهم ورثة سليمان الحكيم وهو ضرب من الإدعاء لا صحة له ولا برهان لهم به . ونحن لا ننساق وراء المؤرخين الغربيين خاصة إذا نظروا إلى ما اختص الله به نبيه سليمان فعنده ضرباً من الأساطير فهذا شأنهم وهذه عقيدتهم ونحن لا نقرهم عليها ، لأننا نؤمن بأنه حقيقة كما وردت في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فإذا رُوج الإسرائيليون لفكرة التفوق وفكرة شعب الله المختار لأن العبرانيين (أى الاسرائيليين) بفضل قوة فهمهم الروحاني قديماً قد فاقوا — كما يدعون — ما قام به الفلسطينيين من مهارة حربية وما أتى به الفينيقيون من

أعمال بحرية بارزة، اعتماداً على ميراث سليمان النبي من الحكمة والعلم فإنهم بذلك يدعون باطلاً ويروجون ضللاً.

وهذه المقولة التي يستند إليها اليهود تتمثل في نقطتين هما :

النقطة الأولى: أنهم سكنوا فلسطين منذ آلاف السنين ومن ثم فإنهم اليوم في القرن العشرين الميلادي يطالبون بحقوقهم التاريخية في هذه الأرض ويسعون إلى تأكيد هذا الحق التاريخي وإن نجحوا جزئياً في ذلك بإقامة دولة إسرائيل على جزء من فلسطين فإنهم يسعون إلى زيادة رقعة هذه الدولة لتصبح ممتدة من النيل إلى الفرات أرض الأجداد كما يدعون زوراً وبهتاناً. المهم أنهم نجحوا في غفلة من العرب تحقيق فكرة الحق التاريخي بالقوة في قلب الوطن العربي.

النقطة الثانية: أنهم أي اليهود شعب الله المختار المتفوق على كل شعوب الأرض بدليل أن الله سبحانه وتعالى اختص ملكهم سليمان بالحكمة والعقل الراجح وهم ورثته وبالتالي فإن تميزهم بالعقل والفهم الحسن أكبر ميزة يحصل عليها بشر.

وهنا نتوقف عند هذه المقولة ذات الشقين: الحق التاريخي لليهود في فلسطين، وأنهم شعب الله المختار، وهم بهذه الصفة ينظرون إلى أعدائهم بأنهم أعداء الله، إذ كيف يعادى أحد من اختاره الله واختصه وميَّره على كافة البشر. نقف عند هذه المقولة لنناقش مواقف الأطراف الدولية منها :

أولاً: وافقت بريطانيا على منح اليهود وطناً قومياً في فلسطين يقيمون فيه دولتهم أو بحسب تعبيرهم لإعادة حقوقهم التاريخية في فلسطين وظلت بريطانيا تساعد اليهود حتى قامت دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ م.

ثانياً: كانت الحركة الصهيونية العالمية أكثر تحركاً وتنظيماً من العرب ولها رجال ذوى نفوذ في الدول الكبرى الأربع: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ولم تكن تبغى الحركة الصهيونية أن يظل وعد «بلفور» اتفاقاً خاصاً بينها وبين بريطانيا ولكن أن يصبح هذا الوعد عنصراً فعالاً في كل السياسات التي تخطط لمنطقة الشرق الأوسط.

ثالثاً: مارست الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة ضغوطاً شديدة بحكم سيطرتها على أجهزة الإعلام وعلى كثير من الشركات الرأسمالية من أجل دفع الحكومة الأمريكية إلى تبني وجهة النظر الصهيونية بتحقيق مخططاتها نحو فلسطين. وقد تمكنت الحركة الصهيونية من الحصول على تأييد الحزبين الأمريكيين الديوقراطى والجمهورى لأهدافها وذلك أثناء انتخابات عام ١٩٤٤. وقد ظل التأييد الأمريكى للحركة الصهيونية بمختلف صوره قائماً منذ الدقيقة الأولى لإعلان قيام دولة اسرائيل فى مايو عام ١٩٤٨م وحتى الآن.

رابعاً: رفض العرب فكرة الحق التاريخى لليهود فى فلسطين منذ البداية برفضهم لوعده بلفور ولقيام دولة اسرائيل. وقام الشعب الفلسطينى بدور أساسى فى هذا الرفض بشوراته ضد الهجرة اليهودية فى ظل الانتداب البريطانى، وحتى بعد أن اضطرت أعداد كبيرة منه إلى مغادرة فلسطين أمام بطش اليهود وصاروا لاجئين فى الأقطار العربية استمرت مقاومة الشباب الفلسطينى داخل فلسطين المحتلة بقيادة مؤمنة بالله وبالوطن الفلسطينى المطهر من النجس الإسرائيلى رافضين فكرة الحق التاريخى لليهود فى فلسطين.

والخلاصة أن اليهود نجحوا بمساعدة خارجية فى فرض فكرة الحق التاريخى التى أدعوها بأنها لهم فى فلسطين وذلك على حساب العرب، وهؤلاء اليهود الذين وصفهم الفيلسوف الفرنسى «فرانسوا دى أرويه فولتير» بأنهم أحقر شعوب الأرض وأنهم إذا غلبوا استذلوا وإذا انتصروا أذلوا. وأن فى طباعهم الخيانة والقدور. فكيف يكونون شعب الله المختار؟

وأما دعواهم بالحق التاريخى فى فلسطين فإنها دعوة حديثة نادت بها الحركة الصهيونية العالمية دون أن يكون هناك منطق تاريخى لهذا الإدعاء فليس مجرد وجود حكم ما لمدة محدودة على أرض ما يعطى الذين يدعون بالانتساب لهذا الحكم الحق فى الإدعاء بأنهم ورثة هذا الحكم الذى جاء فى المرة الأولى على حساب العرب وهذه المرة على حساب العرب كذلك.

وهكذا زعم اليهود عدة مزاعم منها أنهم شعب الله المختار، ومنها أن لهم حقاً تاريخياً في أرض فلسطين، وهذه المزاعم لا أساس لها وذلك للأسباب الآتية :

أولاً - زعم شعب الله المختار:

بالنسبة للزعم الأول بأن اليهود شعب الله المختار كما روجوه في التوراة، نجد الفيلسوف الفرنسي «فرانسوا ماري أرويه دي فولتير Francois Marie Aroute de Voltair» يذكر في كتابه الرسائل الفلسفية الذي نشره عام ١٧٣٤م، نقداً عنيفاً لقصاص العهد القديم (التوراة) والتاريخ المستند إليه وخاصة تاريخ اليهود.

فقد ذكر فولتير في كتابه هذا أن التاريخ سجل أن اليهود هم في الأصل جماعة من الساميين - أي أبناء سام بن نوح عليه السلام - الرحل الذين عاشوا في العصور القديمة مشتبين في الصحراء الممتدة بين مصر وسوريا وأنهم حاولوا الإغارة على مصر فطردهم ملكها «أماسيس».

ويضيف فولتير إلى ذلك قائلاً: من الخطأ الظن بأن اليهود كانوا مضطهدين في الدولة الرومانية أو غيرها لقولهم بإله واحد في عالم وثني، بل لأنهم يكرهون الأمم الأخرى إذ أن اليهود - في رأيه - شعب متبربر لئيم جاهل يزدرى أكثر الأمم حضارة، وأنهم - أي اليهود - أحقر شعوب الأرض.

وزاد فولتير وصفاً لليهود فذكر أن اليهود إذا كتب لهم النصر على غيرهم فتكوا بالمغلوبين ويطشوا بالنساء والأطفال في نشوة جنونية، وإن كتبت عليهم الهزيمة تجدهم في مذلة مشينة ثم تساءل فولتير قائلاً: هل شمل الله هذا الشعب الوضيع - كما وصف اليهود - كما تقول التوراة ليكون شعب الله المختار؟ أو ليكونوا مخلصي الجنس البشري؟ (١٥).

(١٥) ويل ديورانت: قصة الفلسفة من ٤٢٤ - ٤٢٨.

والبيان ج ويدجري: التاريخ وكيف يفسرونه من ١٤٣ - ١٤٤.

ود. أحمد صبحي: فلسفة التاريخ ص ١٨٣.

وقد أبرز فولتير خطأ الاستناد إلى قصص العهد القديم — التوراة — واتخاذها أساساً للتاريخ ، ليس فقط لمبالغة هذه القصص في الاهتمام باليهود واحتقار شعوب الشرق الأخرى بل لأن هذه القصص موضع شك من الناحية التاريخية .

هذه شهادة محايلة لم تأت من عربى تصف ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار بأنه كذبة تاريخية أو تزييف للتاريخ التاريخ منه براء ، لأن هذا الادعاء ما هو سوى تبرير للجرائم الصهيونية التى تسعى لإبادة الشعوب اقتصادياً أو حربياً استناداً بأن هذه الشعوب ليست موضع محبة الله أو اختياره ، ومن ثم تفريغ الأرض منهم ليحتلها شعب الله المختار وهم اليهود .

وهذه الأكذوبة الصهيونية روجها اليهود بين الشعوب والدول وحاولوا إقناع الناس بها مستخدمين وسائلهم الإعلامية والمالية ومستغلين جهل البعض بالتاريخ الحقيقى ويركزون على هذا الزعم « شعب الله المختار » ومن يعترض على إرادة الله فى اختيار اليهود كأفضل الشعوب عند الله سبحانه وتعالى .

وهذه الأكذوبة تذكرنا بزعم ساد أوروبا فى العصور الوسطى حتى أسقطته الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩م ، هذا الزعم القائل بحق الملوك المقدس فى الحكم الذى عرف بالتفويض الإلهى .. هذا الزعم الذى روج له رجال الدين والأسر الحاكمة فى دول أوروبا حتى يظل الحكم احتكاراً لهذه الأسر ، ومن يثور ضد هذه الأسر فكأنما يثور على تفويض الله سبحانه وتعالى لهذه الأسر بحكم دول أوروبا .. هذا الزعم الذى أسقطه جان جاك روسو فى كتابه العقد الاجتماعى الذى صار دستور الثورة الفرنسية ، حيث أوضح أن الأصل فى الحكم تعاقد بين الحاكم والمحكومين (الشعب) وأن الحكم إذا أخل بشروط التعاقد كان للشعب الحق فى إزاحته .

وعلى هذا علينا كمسلمين إسقاط هذا الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار كما أسقطت الثورة الفرنسية زعم ملوك أوروبا بالتفويض الإلهى أى الإدعاء بالحق الإلهى المقدس فى الحكم .. حيث أن الزعم الصهيونى لا يمكن قبوله دينياً أو منطقياً لليهود ، لأن هذا الزعم يتناقض مع قول الله

سبحانه وتعالى في أمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » صدق الله العظيم .. من إذن الأمة المفضلة عند الله خالق البشر جميعاً .. اليهود أم المسلمين ؟؟

كما أن لنا في رأى البروفيسور أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى في كتابه «دراسة التاريخ» عن الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار ما يؤكد فساد هذا الزعم، حيث ذكر «توينبى» : لأننى لست عربياً ولا يهودياً فليس لى أية مصلحة شخصية فى أن أحابى أو أحل على أى الفريقين، وإنى أعتقد فيما يتعلق بالمشكلة القائمة بين العرب الفلسطينيين والصهيونيين أن الفلسطينيين العرب على صواب، وأن الصهيونيين على خطأ، وأن هذا الرأى تأتى قيمته من أنه يقوم على الوقائع (التاريخية) التى أراها بنفسى .

ويضيف «توينبى» قائلاً : فإننا عندما نعتقد بأنفسنا بأننا شعب الله المختار فإنه يوسوس إلينا أن نحتقر الأديان الأخرى وأن نحمد أنفسنا عندما نقدر على ذلك . وأن مأساة جرائم الصهيونية ضد العرب المسلمين ، بادعائها أن اليهود شعب الله المختار، أعظم شأناً من مأساة جرائم ألمانيا النازية (١٦) .

كما أن جريدة «جويسن نوزلتر» التى تصدر فى نيويورك نشرت يوم ٢٧ أبريل عام ١٩٥٣م مقالة بقلم الكاتب اليهودى «وليام زوكمان» تحدث فيه عن فكرة العقيدة الصهيونية، حيث ذكر عن الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار مانصه : أن اليهود أتوا وجدوا فى العالم وحيثما سكنوا جغرافياً، وكيفما تأثروا ثقافياً، ومهما انتموا سياسياً، وإلى أى دولة يدينون بالولاء هم شعب واحد يختلف عن بقية الشعوب ولا يمكن لهم أن يفقدوا هويتهم العنصرية الجامعة (١٧) .

(١٦) جامعة الدول العربية : مقال للبروفيسور أرنولد توينبى .

(١٧) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ٦٠ .

وهكذا يتضح أن الزعم الصهيوني بأن اليهود شعب الله المختار زعم باطل
مهما روج له المروجون من الصهاينة والاستعماريين، وعلى المسلمين تفنيد
هذا الزعم ومقاومته لأنه يتنافى مع تعاليم الإسلام الحنيف ويتنافى مع
الإنسانية التي ينتمى إليها اليهود والمسلمين معاً.

ثانياً — زعم الحق التاريخي:

وبالنسبة للزعم الصهيوني بأن لليهود حق تاريخي في فلسطين، فإنه أيضاً
زعم باطل نشأ في القرن التاسع عشر أثناء التسابق الإستعماري الأوروبي
للسيطرة على شعوب القارتين الأفريقية والآسيوية، ومن هنا تلاقت المصالح
الصهيونية مع المصالح الإستعمارية في البحث عن وطن لليهود خارج
أوروبا، وهنا ظهرت الفكرة الصهيونية الداعية لعودة اليهود إلى أرض
الميعاد.

وتنسب الصهيونية إلى جبل يقع شرق مدينة القدس يسمى جبل صهيون
كان النبي داود قد بنى عليه قصراً ومعبداً وحصناً. ويتركز المفهوم
الصهيوني بصفة خاصة في ضرورة تكوين مجتمع خالص يتمتع بالحكم
الذاتي في فلسطين، وقبل ظهور دعوة «تيودور هرتزل» الصحفي اليهودي
التمساوي الذي كان أول من جهر بفكرة الصهيونية في كتابه «الدولة
اليهودية» الذي أصدره عام ١٨٩٥م كانت هناك حركة فكرية يهودية تنادي
بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصاً من الظلم الذي تعرض له اليهود في أرض
الشتات، وفي عام ١٨٨٢م تأسست مستعمرة «ريشون لوزيون»
Rishon le zion أي الأولون في صهيون وجاء إنشاؤها بالقرب من مدينة
يافا الفلسطينية (١٨).

وتلى ذلك إنشاء مستعمرات أخرى في نفس العام تهجر إليها مزارعين
يهود، وتأسست تبعاً لذلك شركة «البيكا» وهي منظمة للاستيطان في
فلسطين، وقد وضعت تحت تصرف هذه الشركة الأموال لشراء الأراضي

(١٨) محمد عبد الرؤوف سليم: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ — ١٩١٨ القسم الأول

وتدريب المهاجرين الجدد على الفلاحة في المستعمرات الأربعة التي تكونت عام ١٨٨٢م وهى إلى جانب «ريشون لوزيون» و«زبخرون يعقوب» و«روشينا» و«بتاح تكفا». وقد شاء اليهود أن ينسبوا حركتهم السياسية إلى تل جبال القدس ليجعلوا لدعوتهم طابعاً قومياً يربط بينها وبين فلسطين (١٩).

كانت هذه الخطوات تحقيقاً للزعم اليهودى بالحق التاريخى لليهود في فلسطين وتأسيساً على هذا الحق المزعوم فلهم أن ينزحوا إلى فلسطين أفواجا متلاحقة متراسة من جميع أنحاء العالم وأن يتخذوا منها وطناً لهم وقيموا فيها دولة يهودية لهم — طبقاً لهذا الزعم — ليسوا غرباء يهاجرون إلى أرض غريبة أو أجنبية، بل أنهم أصحاب الأرض وسكانها الأليون يعودون إلى ديارهم وأوطانهم بعد أن شردوا منها وظلوا مبعدين عنها أحقاباً ودهوراً وعصوراً (٢٠).

وطبقاً لهذا الزعم فإن اليهود مهما أقاموا في الأوطان الأخرى واستقروا في بلدان العالم هم أولاً وأخيراً غرباء ضيوف مؤقتون أينما كانوا، فهم متغيبون عن بلادهم التاريخية وعليهم أن يجمعوا شملهم من جميع أركان المعمورة، وأن يعودوا إلى وطنهم الأصلي، ورسالة الصهيونية هى خلاص اليهود من مفاهم ووضع حداً لتشردهم الأبدى (٢١).

وكان صدور كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» نقطة تحول في التاريخ الصهيونى حيث جاء به : وطننا التاريخى — فلسطين — الذى لا ينسى والذى يجذب سحر اسمه اليهود. وفي مؤتمر «بال» بسويسرا الذى عقد في المدة من ٢٩—٣١ أغسطس ١٨٩٧م جاء في نص البرنامج الذى وافق عليه المجتمعون : إن هدف الصهيونية هو تأسيس موطن للشعب اليهودى في فلسطين يتحقق عن طريق القانون العام (٢٢).

(١٩) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ٥—٧.

(٢٠) د. حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية ج ١ ص ٣٦—٣٧.

(٢١) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ٦—٧.

(٢٢) محمد عبد الرؤوف سليم : المرجع السابق ص ٢٤—٢٨.

ولقد نجحت الصهيونية في تزييف الحقائق التاريخية لدى الرأي العام في أوروبا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وثبت في أذهان هؤلاء وأولئك أن لليهود حقاً تاريخياً في فلسطين، واستقر هذا الزعم الباطل في أذهان العالم الغربي مما كان له أثره في تأييد قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، فهل هذا الزعم له سند تاريخي حقاً وما أصل العلاقة بين اليهود وفلسطين في التاريخ القديم؟

من الثابت تاريخياً أن الكنعانيين الوافدين من جزيرة العرب استوطنوا فلسطين منذ فجر التاريخ وكانت فلسطين تعرف باسم أرض كنعان التي كانت أرض الخيرات حتى جاءت لتلك الأرض غزوتان إحداها من جزيرة كريت قامت بها قبيلة «فلسطين» التي استقرت في السهل الساحلي وسميت الأرض بفلسطين نسبة إليها، وكان ذلك بعد حوالي ألف وخمسة مئة سنة من استقرار الكنعانيين في تلك الأرض (٢٣).

وكانت الغزوة الثانية هي غزوة العبرانيين التي خرجت من مدينة «أور» جنوب شرق العراق وجاءت إلى أرض كنعان حوالي عام ١٨٠٥ قبل الميلاد، وهم ينتسبون إلى سيدنا إبراهيم الخليل الذي هاجر من مدينة «أور» إلى مدينة «حبرون» جنوب مدينة القدس الحالية والتي عرفت بعد ذلك باسم الخليل نسبة إليه، واشترى إبراهيم عليه السلام قطعة أرض لتكون مدفناً له في «حبرون» كما تذكر التوراة، كما اشترى أحد أبنائه مدفناً ماثلاً في نابلس.

وتذكر المصادر التاريخية أن اسم العبرانيين جاء لأن هذه القبائل التي وفدت من «أور» إلى أرض كنعان عبرت نهر الأردن، وهذا يعني أنها وافدة وليست أصيلة في أرض كنعان وهذا يعني أن العرب أسبق وجوداً في أرض فلسطين، كما أن شراء إبراهيم قطعة أرض وكذلك أحد أبنائه يدل على أن اليهود «العبرانيين» لم يكونوا يملكون أرضاً في أرض كنعان (فلسطين) قبل مجيء إبراهيم عليه السلام.

(٢٣) د. حسن صبري الخولي: المرجع السابق ص ٣٨ - ٣٩.

وقد دخل العبرانيون في صراع دموى مع الكنعانيين منذ أن وفد هؤلاء العبرانيون إلى أرض كنعان كان منها حادث تدمير مدينة أريحا على يد «يشوع» والشعب اليهودى التائه بعد وفاة موسى عليه السلام ، حيث أنهم أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة ، وطفل رضيع — من الكنعانيين — حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس فإنهم جعلوها فى خزانة الرب (٢٤).

كما جاء فى سفر التثنية الإصحاح رقم ٢٠ مانصه : «إذا أذخلك الرب إهلك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها ، واستأصل أماً كثيرة من أمام وجهل الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والغزريين والحوبيين واليبوسيين ، سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إليك وضرهم فأبسلهم إيسالاً ، لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رافة ولا تصاهرهم » . كما جاء فى السفر نفسه الإصحاح رقم ٧ : «أما مدن أولئك الأمم التى يعطيها لك الرب ميراثاً فلا تستبق فيها نسمة بل أبسلهم إيسالاً » .

ونتيجة لهذه الأعمال الوحشية تمكن العبرانيون من إقامة دولة يهودية بدأت بحكم «داود» حوالى ١٠٠٠ قبل الميلاد وانتهت بحكم ابنه سليمان الذى حكم من ٩٦٠ إلى ٩٣٥ قبل الميلاد ، أى أنها لم تستطع أن تعمر أكثر من سبعين سنة تقريباً . وبعد وفاة سليمان انقسمت الدولة اليهودية إلى مملكتين الأولى فى الشمال تسمت باسم إسرائيل وعاصمتها «السامرة» والثانية فى الجنوب إسمها «يهودا» وعاصمتها أورشليم أو القدس وقد قضى «سرجون» ملك الآشوريين على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ قبل الميلاد وأسر كثيرين من شباب المملكة وعاد بهم إلى آشور وأحل عليهم قبائل من بابل وسوريا وجزيرة العرب .

ورغم أن مملكة «يهودا» عاشت قرابة ١٣٥ سنة بعد سقوط وزوال مملكة إسرائيل إلا أنها انتهت عام ٥٨٦ قبل الميلاد على يد الملك الكلدانى «نبوخذ نصر» الذى استولى على أورشليم ودمرها ودمر هيكلها والمدن

(٢٤) نفس المرجع ص ٣٩ نقلاً عن سفر يشوع .

اليهودية الأخرى، وأمر بترحيل ٥٠ ألف من سكان مملكة «يهوذا» إلى بابل الذين ظلوا هناك حتى استخدمهم الفرس - الذين استولوا على بابل - في احتلال مصر وفي مقابل ذلك بنى الفرس لليهود هيكل سليمان من جديد (٢٥).

ومن الملاحظ أنه على الرغم من قيام مملكة «إسرائيل» ومملكة «يهوذا» على أرض كنعان فإن الكنعانيين ظلوا يعيشون على أرضهم ولم يتركوها ليصبحوا لاجئين في البلاد المجاورة حيث يؤكد سفر القضاة: بنو بنيامين لم يطردوا البيوسيين سكان أورشليم، فسكن البيوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم. ولم يطرد منشئ أهل بيت شان وقراها ولا سكان «يلعام» وقراها ولا أهل «تفك» وقراها، ولا سكان «مجدو» وقراها، فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض.. ولم تشدد إسرائيل في وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً، وإفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في «جازر» فسكن الكنعانيون في وسطه في «جازر» (٢٦).

وبعد هزيمة الفرس على يد الاسكندر الأكبر صارت فلسطين أرضاً يونانية، ثم صارت بعد البطالمة أرضاً رومانية إلا أن اليهود أشعلوا ثورتين في فلسطين ضد الرومان كانت الأولى في عهد الإمبراطور نيرون حيث استطاع الرومان قمع التمرد المقدس وهيكل سليمان والفتك باليهود، وكانت الثورة الثانية في عهد الإمبراطور هادريان عام ١٣٢ قبل الميلاد حيث أخذت الثورة بمقتل عشرات الألوف من اليهود ولم ينج منهم إلا من استطاع مغادرة فلسطين إلى مدن البحر المتوسط وجزرها سواء في أوروبا كإسبانيا وإيطاليا واليونان وغيرها أو المدن العربية المزدهرة مثل الإسكندرية وطرابلس وغيرها.

بعد أن استعرضنا الزعم الصهيوني بأن لليهود حقاً تاريخياً نتساءل أين العرب؟ لقد تأكد من هذا الاستعراض وجود العرب قبل اليهود في فلسطين، كما تأكد أن للعرب كياناتهم السياسية في فلسطين قبل قيام

(٢٥) نفس المرجع ص ٤٢ - ٤٣.

(٢٦) نفس المرجع ص ٤٢.

الكيانات اليهودية الهزيلة «إسرائيل» و«يهودا» كما تؤكد كذلك أن الكيان السياسي للعرب على أجزاء متناثرة من أرض فلسطين .

ثم تجيء الحركة الصهيونية الحديثة لتتحدث عن الحق التاريخي لليهود في فلسطين ليس هذا افتئاتاً على أصحاب الحق الشرعيين وهم العرب ، ثم عندما نسمع في مؤتمر السلام المنعقد في باريس عام ١٩١٩م رأى «وايزمان» زعيم الصهيونية العالمية يرد على سؤال وزير الخارجية الأمريكية «لنسنج» عن المقصود بالوطن القومي لليهود في فلسطين : المقصود بهذه اللفظة هو أن تصبح فلسطين يهودية كما أن انجلترا انجليزية وأمريكا أمريكية» (٢٧) .

ادعاء صدام حسين بالحق التاريخي للعراق في الكويت

العراق والكويت:

هل كان للعراق حق تاريخي في الكويت في الزمن الماضي حتى يأتي صدام حسين ويحتاج الكويت بقواته المسلحة بدعوى الحق التاريخي للعراق في الكويت ؟ سؤال يتبادر إلى الذهن بعدما حدث ما حدث منه ونظام حكمه وقواته المسلحة في دولة الكويت العربية المسالمة .

لم نسمع النعرة العنصرية زمن الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعبر عصورها التاريخية زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، فلم نسمع عن المسلمين اعتزازهم وتعصبهم لأوطانهم المحلية وإنما كان الكل يفخر بأنه مسلم من بلاد الشام أو من بلاد الرافدين أو من وادي النيل أو من بلاد الحجاز والجزيرة العربية وهكذا .. فالكل في حق الحياة سواء كما قال الشاعر .

وعندما جاء الحكم العثماني للمنطقة العربية منذ عام ١٥١٤م وحدث الصراع بين العثمانيين السنة والصفويين الشيعة في إيران كان العراق ميدان

(٢٧) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ١١ .

هذا الصراع ولم يمتد الصراع ليشمل الكويت إذ لو كانت الكويت جزءاً من العراق لخضعت لما خضع له العراق من سيطرة عثمانية أو سيطرة إيرانية. هذا على الرغم من أن الصراع على العراق ظل طوال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادية رغم عقد معاهدات بين الطرفين العثماني والإيراني أعوام ١٧٤٧، و١٨٢٣م، و١٨٤٢م لتحديد الحدود بين الطرفين باعتبار العراق ولاية عثمانية.

وطبقاً لمشور التنظيمات الخيرية الذي صدر في شهر يونيو عام ١٨٥٦م انقسم العراق إلى ثلاث ولايات هي:

١- ولاية بغداد وهي الولاية الأساسية منذ الوجود العثماني على أرض العراق في القرن السادس عشر.

٢- ولاية الموصل في الشمال والتي أنشئت عام ١٨٧٩م لإحكام السيطرة على ثورات الأكراد ضد الحكم العثماني.

٣- ولاية البصرة في الجنوب التي أنشئت عام ١٨٨٤م والتي امتدت سيطرتها على أجزاء من الخليج العربي وخاصة مشيخات قطر والأحساء والكويت بعد أن نجحت حملة مدحت باشا والي العراق عام ١٨٧٠م لد النفوذ العثماني إلى مشيخات الخليج العربية.

وقد ظل موقف الكويت له استقلاله حتى مع الاعتراف بالسيادة العثمانية وفي ظل ولاية البصرة العثمانية. كيف كان ذلك؟

أصبح آل صباح وهم فرع من قبائل العتوب النجدية العربية شيوخاً لمنطقة الكويت حوالي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (١٧٥٠م تقريباً) قادمين من الجنوب بعد أن أمضوا على شاطئ الخليج في قطر والأحساء نحو نصف قرن، وحرصوا على الاحتفاظ بكيان داخلي في وطنهم هذا دافعوا عنه وتمسكوا بعدم الخضوع لأية قوة بقدر ما يطيقون.

فعندما استطاع البريطانيون إرغام القواسم شيوخ رأس الخيمة على توقيع معاهدة الهدنة والمعاهدة المانعة عام ١٨٢٠م، ومعاهدات مماثلة مع معظم شيوخ القبائل في الساحل العماني وفي قطر والبحرين، اعتذر شيخ الكويت آنذاك «جابر الصباح» والذي حكم في الفترة من عام ١٨١٣ إلى عام

١٨٥٩م، عن رفع العلم البريطاني على داره بالكويت محتجاً بأن علاقته بالدولة العثمانية كدولة مسلمة تمنعه من ذلك .

ومع ذلك فلم يكن شيخ الكويت خاضعاً خضوعاً كاملاً للدولة العثمانية رغم اعترافه عام ١٨٢٩م بالسيادة العثمانية، ورفع العلم العثماني على داره بالكويت . ولا يعنى الاعتراف بالسيادة العثمانية من جانب شيخ الكويت الارتباط بالعراق الخاضع للدولة العثمانية كولاية من ولاياتها المتعددة في الوطن العربي وفي أوروبا .

وكانت قوات محمد علي والى مصر العثمانى قد امتد نشاطها ووجودها إلى الأحساء بعد عام ١٨١٩م، وتعامل مبعوث هذا الوالى مع شيخ البحرين ومع الشيخ جابر حاكم الكويت تعاملًا تعاونياً دون أن يكون لمصر قوات عسكرية في البحرين أو الكويت .

وتمثل تعاون الشيخ جابر الصباح مع مبعوث محمد علي في عقد اتفاقية لإمداد القوات المصرية في نجد الأحساء بالأموال والمواد الغذائية وعندما وصل مبعوث محمد علي إلى الكويت استطاع أن يرسل من هناك عدة سفن محملة بالأغذية وخاصة الشعير، كما استطاع أن يجمع معلومات عن الكويت والجنوب العراقى المائل على الخليج، وقد استطاع هذا المبعوث أيضاً أن يحصل على تقدير حاكم الكويت حتى أنه كان يأخذ مكان الصدارة في مجلس الحاكم .

ونتج عن التعاون بين الشيخ جابر الصباح ومبعوث محمد علي استخدام قيادة قوات محمد علي في الأحساء سفن الأسطول الكويتى الكبير والمجهز تجهيزاً جيداً في نقل شحنة من الأسلحة والأعتلة العسكرية من ميناء الحديدة باليمن إلى ميناء القطيف بالأحساء في شهر نوفمبر عام ١٨٣٩م .

وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا التعاون المصرى الكويتى على العلاقة بين الكويت وحكومة الهند البريطانية التى كانت تسعى للانفراد بالنفوذ في المنطقة دون سائر القوى الأخرى، ولذلك استاءت حكومة الهند البريطانية من استقبال الشيخ جابر الصباح للمبعوث المصرى بالكويت استقبالاً طيباً منذ عام ١٨٣٨، مما فسرته البريطانىون كتبدل لموقف الشيخ

جابر الذي لم يستقبل الملائم «إدمونز» مساعد المقيم العام البريطاني في الخليج الاستقبال الودي المعهود، عندما وصل إلى الكويت في نوفمبر عام ١٨٣٩م.

ونظراً لأن البريطانيين لم يشاءوا توجيه إنذار للشيخ جابر، على غرار الإنذارات البريطانية لحاكم الشارقة وحاكم البحرين اللذان تعاونوا أيضاً مع قوات محمد علي، فقد التمسوا للشيخ جابر الصباح العذر بأن مسلكه مع الملائم «إدمونز» لم يكن صادراً عن نوايا سيئة نحو البريطانيين، لكنه كان يهدف إلى خداع الوكيل المصري - مبعوث محمد علي - عن حقيقة العلاقة القائمة بينه، أي بين الشيخ جابر وبين السلطات البريطانية. وهو تبرير فيه من خداع النفس وقبول الأمر الواقع من جانب البريطانيين أكثر من الحقيقة التي عرفها مساعد المقيم العام البريطاني «إدمونز».

وعندما انسحبت قوات محمد علي والى مصر ليس فقط من منطقة الخليج بل من كل شبه الجزيرة العربية بعد أزمة عام ١٨٤٠م، استعانت الدولة العثمانية ١٨٤٥م بالشيخ جابر الصباح لحماية ميناء البصرة بأسطول الكويت الكبير والقوى.

وحقاً حاول والى بغداد العثماني محمود نامق باشا الذي تولى الباشوية في الفترة من عام ١٨٦٦م إلى عام ١٨٦٩م مد النفوذ العثماني إلى الكويت عن طريق إنشاء جرك وإدخال نظم الإدارة العثمانية وإسناد منصب القائمقامية إلى أمير الكويت، ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها الإستمرار حيث رأى شيخ الكويت قضاء على مكانة الكويت لحساب البصرة، واستمر ميناء الكويت يباشر دوره الاقتصادي المتميز بالمنطقة.

ومع ذلك ساهم الشيخ عبدالله الصباح منذ عام ١٨٧٠م في مساندة حملة مدحت باشا والى بغداد العثماني على الأحساء ومنطقة الخليج ووافق على قبول الأوامر العثمانية باعتبار الكويت سنجقية مستقلة استقلالاً ذاتياً، وتشكل قضاء عثماني بالكويت تتوارثه أسرة الصباح وتلقب بشيوخ آل الصباح في ظل هذا التنظيم لقب قائمقام أسرة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني شيخ قطر.. وذلك في إطار تجنب الصراع بين البريطانيين والعثمانيين

حول المنطقة .. وتمشياً مع فكرة الجامعة الإسلامية التي روجت لها الدولة العثمانية ورأى فيها الحكام المسلمون دعوة مقبولة ومناسبة لمقاومة الأطماع الإستعمارية بموقف إسلامي واحد.

فكما قبل الشيخ عبد الله الصباح منصب القائمقام بالكويت قبل الشيخ قاسم ابن محمد آل ثاني نفس المنصب في مشيخة قطر ورفع العلم العثماني على داره في الدوحة منذ عام ١٨٧١م رغم معارضة والده الشيخ محمد الذي ظل يرفع العلم العربي على بيته وكان العثمانيون قد أرسلوا قوة عسكرية إلى شبه جزيرة قطر في ذلك العام بأمر مدحت باشا والي العراق العثماني بعد أن احتلت القوات العثمانية ميناء القطيف بالأحساء.

ويبدو أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قبل التعاون مع العثمانيين بحكم أنهم القوة البرية الإسلامية التي تعاون معها من قبيلة آل الصباح بالكويت وأنه قبل مثل الشيخ عبد الله الصباح — بالوجود العثماني من أجل مناوأة سيطرة بريطانيا البحرية في الخليج ، ويدل على ذلك التحركات المحمومة للمقيم العام البريطاني ومساعدته في الخليج عقب نزول القوات العثمانية ورفع العلم العثماني في الكويت وفي الدوحة .

وقد أصبحت قطر قائمية تتبع لواء الأحساء الذي يحكمه متصرف يخضع لوالى ولاية البصرة — كما كانت الكويت تابعة لوالى البصرة العثماني — ويتبع قائمية قطر بعض القرى الصغيرة على رأس كل منها مدير يخضع إلى قائمقام قطر. وكان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أول قائمقام عثماني لقطر عام ١٨٧٦م ، طالما لايتدخل العثمانيون في زعامته الداخلية .

ومع ذلك فعندما حاول العثمانيون إحكام قبضتهم على قطر حدث صدام بين قوة العثمانيين الموجودة بقطر وقوات الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في ٢٦ مارس ١٨٩٣م كانت نتيجتها إلحاق الهزيمة بالقوات العثمانية وعزل والى البصرة العثماني الذي دبر الهجوم على قطر وأدار المعركة بنفسه ويدعى محمد حافظ باشا .

هذا نموذج للعلاقة بين العثمانيين ومشیخات الخلیج وفيه تشابه بل تطابق بين قطر والكويت في علاقة كل منها بالدولة العثمانية وليس بالعراق ، وإذا كانت ولاية البصرة العثمانية تشرف على هذه العلاقة فإن ذلك لصالح الدولة العثمانية وليس لصالح العراق .. فالعراق خاضع للسيادة العثمانية على نفس المستوى بخضوع مشیخات الخلیج للسيادة العثمانية ، ولم يكن ولاية العراق العثمانيين عراقيون بل كانوا عثمانيين ينفذون سياسة بغداد ، حيث كانت الأخيرة مركز ولاية وليست عاصمة دولة .

ومن هذا المنطلق نقول إن الكويت لم تكن جزءاً من العراق في العهد العثماني كما لم تكن قطر جزءاً من العراق في نفس العهد ، ومن ثم فإن الإدعاء بأن الكويت كانت خاضعة لمتصرفية البصرة أو ولاية البصرة في العهد العثماني بما يجعلها أي الكويت جزءاً من العراق ادعاء غير صادق وتبرير لاجتياح نظام الحكم الحالي في العراق لأرض الكويت ، وهو تبرير غير منطقي لا يمكن قبوله ، وإلا اختلطت الأمور وظهرت دعاوى مماثلة كالقول بأن العراق نفسه كان مقر كسرى أنوشروان امبراطور فارس !!

ونأتي الآن لفترة مابعد الحرب العالمية الأولى حيث صار العراق خاضعاً للانتداب البريطاني بموجب معاهدة سان ريمو عام ١٩٢٠م حيث أن العراق الذي انتهى حكم الدولة العثمانية عليه بهزيمتها في الحرب العالمية الأولى ، بموقعه على رأس الخليج مركز هام في شبكة المواصلات البرية والجوية بين الشرق والغرب ، ثم كان لظهور البترول وماله من أهمية استراتيجية كمادة أولى في تسير آلة الحرب الميكانيكية الحديثة ، وأهمية اقتصادية في استثمار رؤوس الأموال البريطانية ، والعراق خزان هائل للبترول عصب الحضارة في القرن العشرين . وكان اهتمام البريطانيين بالعراق بعد الحرب العالمية الأولى قائماً على تقديرهم لهذه العوامل الجديدة مجتمعة فعملوا على أن يمتد نفوذهم الجديد على العراق كله .

ولذلك فقد قررت دول الوفاق المنتصرة في مغارك الحرب العالمية الأولى وضع العراق تحت الانتداب استناداً إلى معاهدة سيفر ١٩٢٠م والتي نصت على فصل العراق عن الدولة العثمانية ، والاعتراف به دولة مستقلة بشرط أن

تشولسى إدارتها دولة منتدبة طبقاً لما نصت عليه المادة ٢٢ من معاهدة (قرساي) الموقعة في ١٨ يونيو عام ١٩١٩ م.

وبعد ثورة العراق ضد الانتداب البريطاني في يونيو عام ١٩٢٠ م تقرر في مؤتمر القاهرة في مارس ١٩٢١ م أن يكون فيصل بن الشريف حسين ملكاً على العراق. وتمت مبايعته في ٢٣ أغسطس عام ١٩٢١ م إثر استفتاء نظمت السلطات البريطانية في العراق وقد تشكلت أول حكومة عراقية مؤقتة برئاسة عبدالرحمن الكيلاني في أكتوبر عام ١٩٢١ م. ثم عقدت معاهدة تحالف بين الحكومة العراقية والحكومة البريطانية في عام ١٩٢٢ م تم التصديق عليها بعد عامين أي ١٩٢٤ م. ومع ذلك ظلت بريطانيا تسيطر على مقدرات الأمور بالعراق بوجود قوات وقواعد بريطانية على أرض العراق أحبطت كل انتفاضة وطنية بالعراق.

وقد ظل النفوذ البريطاني بالعراق مسيطراً حتى قامت ثورة عام ١٩٥٨ م بهدف تخليص العراق من هذا النفوذ الأجنبي وإجلاء القواعد الأجنبية من على الأرض العراقية ولم نسمع طوال تلك الفترة أي من عام ١٩٢٠ — عام فرض الإنتداب البريطاني على العراق — حتى قيام ثورة ١٤ يوليو عام ١٩٥٨ م أية إدعاءات بأن الكويت جزءاً من العراق.

أما عن الكويت في هذه المرحلة فإنه كان لآل صباح علاقة طيبة مع البريطانيين من ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية الذين استفادوا من الكويت منذ عام ١٧٧٥ م في إرسال واستلام مراسلات الشركة البريطانية، واستمرت العلاقات طيبة — كما رأينا من قبل — حتى نقلت وكالة الشركة من البصرة إلى الكويت، وساعدت الشركة آل صباح في صد زحف الوهابيين حملة رسالة الإصلاح السلفية على الكويت، وأظهر شيخ الكويت استعداداً للمشاركة مع البريطانيين في حملاتهم الحربية ضد القواسم في رأس الخيمة.

واتساقاً مع هذه العلاقات عرض الشيخ مبارك آل صباح منذ أن وصل إلى السلطة في الكويت عام ١٨٩٦ م أن يدخل في حيازة بريطانيا، ورغم تردد بريطانيا في قبول هذا العرض حرصاً على علاقاتها مع تركيا إلا أنها

سارعت عام ١٨٩٩م إلى عقد معاهدة مع شيخ الكويت على نفس نسق المعاهدات مع كل من مسقط والبحرين ، تقع الكويت تحت حماية بريطانيا . وجاءت هذه المسارعة البريطانية بسبب ظهور نشاط روسي في الخليج عام ١٨٩٨م لمد خط حديدي من البحر المتوسط إلى الخليج وبناء محطة للفحم وميناء في الكويت .

كما كان لظهور النشاط الألماني في العراق وتوقع امتداده إلى الخليج والمتمثل في الامتياز الذي حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية بمد خط حديدي من برلين إلى بغداد والبصرة ، كان لذلك أثره في تدعيم الوجود البريطاني في الخليج والعراق ، فمقدت بريطانيا مع شيخ الكويت عدة اتفاقيات أحكمت النفوذ البريطاني هناك نظير اعتراف بريطانيا بإمارة الكويت بمحدودها الحالية واعترافها كذلك بآل صباح حكماً يتوارثون السلطة هناك ، وظل الحال كذلك أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها .

وهنا تأتي المقابلة .. العراق يخضع للنفوذ البريطاني في النصف الأول من القرن العشرين ويتولى الحكم فيه رجال ارتبطوا بصداقة بريطانيا أمثال توري السعيد ومحمد فاضل الجمالي وغيرها ، هل يمكن لها أو لغيرها من حكام العراق قبل ثورة عام ١٩٥٨م التطلع للكويت المشغول بالحماية البريطانية ؟ هل يمكن لرجال الحكم في العراق الذين وقعوا حلف بغداد المعادي للتحرز العربي أن يصطلموا بالغرب أعضاء حلف بغداد والذين يرتبطون مع الكويت باتفاقات حماية وامتيازات ؟

بأي منطق يقول نظام الحكم في العراق أن له حقاً تاريخياً في الكويت ؟ ولماذا سكنت حكومات العراق المتعاقبة منذ عام ١٩٢١م حتى عام ١٩٦١م عتسماً بدأ عبد الكريم قاسم مغامرته بالتهديد بالاستيلاء على الكويت ؟ .. أربعون عاماً ولم تخرج ادعاءات من بغداد بأن هناك حقاً تاريخياً للعراق في الكويت ثم يدعى عبد الكريم قاسم حاكم العراق مدعى الشيوعية والعروبة أن الكويت بجزء من العراق ويعلن قراراً بضم الكويت إلى العراق وتعيين حاكم الكويت محافظاً على بلاده من قبل حاكم العراق

براتب شهري قدره خمسين ديناراً... ليس هذه سخية من مخربات
القدر؟..

لماذا اختار عبد الكريم قاسم حاكم العراق عام ١٩٦٨م ليعين اتصاله
على الكويت بعد أن مر على قيام ثورة العراق ثلاث سنوات؟ إن اتصاله
عبد الكريم قاسم بالنسبة للكويت جاء بعد أن أعلنت كل من بريطانيا
والكويت اتفاقهما على إنهاء السبل بجامعة المسألة الموقفة بين الطرفين عام
١٩٦٩م، وبذلك صارت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة واحترفت بهذا
الاستقلال ببريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية والولايات المتحدة
الأمريكية إلى جانب مصر والمملكة العربية السعودية ومسلم الأقطار
العربية.

جلست دعوى عبد الكريم قاسم بأنه للعراق حقاً تاريخياً في الكويت وأنه
الكويت جزء من العراق مثابة للدعوى الحالية التي أثارها حاكم العراق
الحالي صدام حسين بعد حوالي ثلاثين سنة من الإطعام الأول. وإنا كنا
العهدة عبد الكريم قاسم قد تم إبطاله بوقف مصر والمملكة العربية السعودية
وبريطانيا فلم يجوز حاكم العراق أن يقدم بوائمه نحو حدود الكويت، قاله
حاكم العراق الحالي صدام حسين غزا الكويت، أولاً ثم اتهم أن للعراق
حق تاريخي في الكويت، وكأنه وعلى الدرس من عائلة عبد الكريم قاسم...
وباليتيه درس للعائلة والملي وليس درساً في الضلالة والبهالة؟

إن حكام العراق الذين وقفوا ضد استقلال الكويت أوائل الستينات
من القرن الحالي لم ينجحوا كذا رأينا في فرضي الصالحات بأن الكويت جزء
من الأرض العراقية ولذلك لا يمكن أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة،
ولكن حكام العراق اضطروا في ٤ أكتوبر ١٩٦٢م إلى الاعتراف باستقلال
الكويت تحت حكم آل صباح وسحبوا اعتراضاتهم على الضمان الكويت إلى
كل من الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة.

هكذا رأينا عبر مراحل التاريخ أنه لم يكن للعراق سيطرة على الكويت
وبمعنى آخر لم تكن الكويت جزءاً من العراق تحت حكم العراقيين...
وبذلك ينتفي الإطعام العراقي بأنه للعراق حق تاريخي في الكويت.

وبالتالي نستطيع القول أن هذا الإدعاء دعوى شيطانية تهدف إلى الاجتياح والاعتصاب والتدمير لكل شيء وكل قيمة تحرص عليها العروبة ويدعو إليها الإسلام.

وإذا كان نظام الحكم العراقي يدعو إلى ضم الكويت إلى العراق بدعوى أن الكويت كان قضاء من أفضية ولاية البصرة في العهد العثماني فلماذا لا يتحدثون عن ضم العراق نفسه إلى تركيا وريثة الدولة العثمانية.. إذا أخذنا بمقولة وإدعاء نظام الحكم العراقي بشأن الحق التاريخي فإن العراق نفسه يصبح من ممتلكات الجمهورية التركية الحالية. إذ نحن نعلم أن العراق ظل خاضعاً للأتراك العثمانيين طوال أربعة قرون من عام ١٥١٤م حتى عام ١٩٢٠م عندما فرض الإنتداب البريطاني على العراق وإنهاء السيادة العثمانية عليه.

إذن نحن أمام دعوى شيطانية تذكرنا بعصور تاريخية خلت على امتداد العالم أذاقت العالم ويلات حروب أفنت الأخضر واليابس وأفنت ملايين البشر. ونحن الآن على مشارف القرن الحادي والعشرين وقد خطا العالم نحو التسمية ومواجهة تحديات التكنولوجيا المعاصرة، ومن ثم فإن دعوى صدام حسين الشيطانية بالحق التاريخي للعراق في الكويت لا تتناسب مع العصر ولا يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون.

الفكرة تاريخياً:

■ وهنا نتساءل؟ هل الحق التاريخي مبرر لاجتياح الدول؟

للإجابة على هذا التساؤل نقول إن فكرة الحق التاريخي استخدمتها بعض الدول في عصور تاريخية مختلفة ولكن كان يلحق بها الفشل في كثير من الأحيان حيث أدى هذا الإدعاء إلى الإثارة وعدم الاستقرار في العلاقات الدولية، ومن ثم تنشب الحروب المدمرة بين الأقطار.

■ وإذا أسلمنا جدلاً بصحة فكرة الحق التاريخي وضرورة تطبيقها فهل يقبل نظام الحكم في بغداد تطبيق هذه الفكرة على العراق نفسه وعلى غيره؟

● لقد كان مقر إيوان كسرى أنوشروان امبراطور فارسي بأرض العراق فهل نوافق على ضم العراق لإيران لو طالبت بالحق التاريخي . وهل نوافق إيران إذا ادعت أن العراق في العصر الحديث كان جزءاً منها زمن الشاه إسماعيل الصفوي من عام ١٥٠٨ ولدة قرن ونصف من الزمان .

● لقد كان العراق جزءاً من الدولة العثمانية منذ أوائل القرن السادس عشر ولدة أربعمئة عام حتى فرض الانتداب البريطاني على العراق بموجب قرارات مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ م . فهل نعطي لتركيا المعاصرة وريثة الدولة العثمانية أرض العراق حلالاً تطبيقاً لفكرة الحق التاريخي !

● لقد حكمت الدولة العثمانية أجزاء كثيرة من الوطن العربي إلى جانب العراق منها مصر والشام بأجزائه السياسية المعروفة الآن وهي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، وليبيا وتونس والجزائر واليمن وبعض أقطار الخليج العربية والحجاز ، فهل نسمح لتركيا الآن المطالبة بضم هذه الأقطار إليها استناداً إلى فكرة الحق التاريخي ؟

● حكم المسلمون بلاد الأندلس لمدة قاربت على ٨٠٠ سنة حتى أخرجهم منها الأسبان بسقوط آخر معاقل المسلمين هناك وهي غرناطة عام ١٤٩٢ م ، فهل نوافق أسبانيا على فكرة الحق التاريخي فتقبل أن تفقد استقلالها وتضع نفسها تحت سيادة أية دولة عربية أو إسلامية .

● ولقد حكم الاسكندر الأكبر ومن بعده البطالمة امبراطورية شاسعة في العالم سواء في أوروبا أو في آسيا وأفريقيا وكانت معظم أقطار المشرق العربي جزءاً من هذه الإمبراطورية . فهل سمعنا من دولة اليونان المعاصرة وريثة الاسكندر والبطالمة أي إدعاء بحقها التاريخي في أي جزء من أجزاء امبراطورية الإسكندر والبطالمة ؟

● ولقد حكم الرومان من روما امبراطورية كبرى في أوروبا وأفريقيا وآسيا وكانت أقطار شمال أفريقيا جزءاً من هذه الامبراطورية إلى جانب مصر واليمن ، فهل سمعنا من إيطاليا وريثة الامبراطورية الرومانية — اللهم إلا فتنة موسوليني — الإدعاء بالحق التاريخي في أي جزء من الأجزاء التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية .

• ولقد حكم ملوك مصر الفرعونية مصر والشام وشمال السودان لفترات من التاريخ خاصة زمن كل من أحس وحتشبوت وتحتس الثالث ورمسيس الثاني وغيرهم .. فهل سعت مصر إلى المطالبة بالحق التاريخي في هذه الأقطار؟ بالطبع لم يحدث.

• اجتاحت الامبراطور نابليون الأول امبراطور فرنسا في المدة من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨١٥م معظم دول غرب أوروبا مثل ألمانيا (الامارات الألمانية ومملكة بروسيا) والنمسا وإيطاليا وبولندا وبلجيكا وهولندا وأسبانيا والبرتغال وضمها إلى فرنسا، فهل سمعنا من حكومة فرنسا الحاضرة المطالبة بميراث الامبراطور نابليون الأول في أوروبا الغربية؟

• حكمت بريطانيا مستعمرات لها في أمريكا وفي أفريقيا وفي آسيا، وصارت هذه المستعمرات دولاً مستقلة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والأقطار العربية المستقلة والأقطار الآسيوية، فهل تسمح هذه الدول المستقلة بأي ادعاء بريطاني بالحق التاريخي لبريطانيا وتعود عجلة الزمن إلى الوراء من جديد إلى عصر المستعمرات؟

• كما أن فرنسا كونت مستعمرات لها في أمريكا وفي أفريقيا وفي آسيا، ثم استقلت هذه الأقطار الآن، فهل نوافق نحن شعوب الأقطار التي خضعت للاستعمار الفرنسي بالعودة إلى أحضان فرنسا كجزء منها كما كنا؟

• واحتلت إيطاليا أجزاء من أفريقيا مثل ليبيا وأرتيريا والصومال الجنوبي ثم إثيوبيا خلال سنوات من القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين فهل نسمح لإيطاليا الآن المطالبة بالسيطرة من جديد على مستعمراتها السابقة هذه؟

• حقيقة حاول زعيم إيطاليا الدكتاتور الفاشي موسوليني في الفترة من عام ١٩٢٢ إلى سقوطه عام ١٩٤٣م إحياء الامبراطورية الرومانية القديمة في ظل فكرة الحق التاريخي. ولكن النتيجة كانت سقوطه وخسارة كبيرة لحقت بالشعب الإيطالي والأرض الإيطالية.

• وحقيقة حاول زعيم ألمانيا الدكتاتور هتلر النازي في الفترة من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٤٥م إحياء الامبراطورية الجرمانية بضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ادعاء بالحق التاريخي وبأن هذه الأقطار تسكنها شعوب ألمانية،

ثم التوسع في أوروبا على حساب فرنسا وبلجيكا وهولندا ثم شرق أوروبا كله حتى الاتحاد السوفيتي، ثم الامتداد إلى أقطار شمال أفريقيا في طريقه إلى مصر، مدعياً أنه وريث الامبراطورية الجرمانية التي حكمت في العصور الوسطى.. فإذا كانت النتيجة؟ خراب العالم وخراب ألمانيا وإذلالها بعد الحرب العالمية الثانية وانهيار النظام النازي وانتحار هتلر نفسه.

هذه أمثلة سقتها لكي نعرف مدى الجريمة التي ساق صدام حسين العراق والأمة العربية والإسلامية إليها.. جريمة أسماها الحق التاريخي كانت نتيجتها كما رأينا وعاصرنا تدمير للعراق وقتل لأبناء الكويت والعراق واستنزاف لخيرات وإمكانات الأقطار العربية المتمسكة بالحق والعدل.

■ ونصل إلى تساؤل آخر عن موقف دول العالم من ادعاء صدام حسين بالحق التاريخي للعراق في الكويت. حيث لم يحدث في التاريخ منذ نشأة هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م أن اتخذت دول العالم كما اتخذت ضد اجتياح قوات صدام حسين لأرض الكويت.

فقد أجمعت شعوب الأمة الإسلامية والتي مثلها وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي كان مجتمعاً بالقاهرة عند حدوث الاجتياح العراقي للكويت وأصدر المؤتمر بياناً استنكر فيه غزو الجيش العراقي للكويت، وطالب بانسحابه وعودة حكومة الكويت الشرعية إلى ممارسة دورها في حكم الكويت وفي التعامل على المستوى العربي والإسلامي والعالمي.

كما أن مؤتمر القمة العربية الذي عقد بالقاهرة بدعوة من الرئيس محمد حسني مبارك يوم ١٠ أغسطس قرر تنفيذ قرارات مجلس الجامعة العربية المنعقد بالقاهرة على مستوى وزراء الخارجية يومي ٢٠ و٢١ أغسطس ١٩٩٠م بانسحاب القوات العراقية من أرض الكويت وعودة الحكم الشرعي، كما قرر مؤتمر القمة تنفيذ قرارات مجلس الأمن أرقام ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ بوصفها تعبيراً عن الشرعية الدولية. وأدان المؤتمر العدوان العراقي على الكويت وطالب العراق بسحب قواته من الكويت. واستجاب المؤتمر لطلب

المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة فيها دفاعاً عن أراضيها وسيادتها الإقليمية ضد أى عدوان خارجي .

ولا يقلل من قوة وقيمة قرارات القمة العربية ومجلس الجامعة العربية رفض العراق لها ، أو تحفظ بعض الأقطار العربية على مسألة تدويل المشكلة وعلى الاستعانة بقوات صديقة غير عربية . فإن هذه القرارات الحاسمة وجدت تجاوباً من معظم الدول العربية ومن الدول الإسلامية ومن دول العالم شرقه وغربه ، حيث سارعت مصر وسوريا والمغرب بإرسال قوات عسكرية إلى المنطقة تنفيذاً لهذه القرارات .

مواقف دول العالم

وبالنسبة لمواقف دول العالم ، فإن قرارات مجلس الأمن الدولي بالحصار الاقتصادي براً وبحراً وجواً تدل على رفض دول العالم واستنكاره لاجتياح قوات صدام حسين لأرض الكويت وتشريد أهلها ، والمطالبة بانسحاب القوات الغازية وعودة الحكم الشرعي ، وإسقاط دعوى صدام حسين بأن للعراق حقاً تاريخياً في الكويت .

كما أن التأييد الفوري من الولايات المتحدة الأمريكية للشرعية في الكويت ومساندة المملكة العربية السعودية ضد التهديدات العراقية ، لم يكن وحده ضد الاجتياح العراقي لأرض الكويت ، لقد جاءت قرارات الحكومة الأمريكية متتالية لمواجهة الغزو العراقي للكويت بالادعاء بالحق التاريخي إذ جمدت الودائع المالية والممتلكات الكويتية والعراقية في الولايات المتحدة وفروع المؤسسات الأمريكية في الخارج يوم ٢ أغسطس .

كما أمر الرئيس الأمريكي «جورج بوش» يوم ٨ أغسطس الطائرات الحربية والقوات العسكرية الأمريكية بالتوجه إلى المملكة العربية السعودية لمساعدتها في الدفاع ضد أى هجوم عراقي محتمل ، وذلك بناء على طلب من السعودية ، وأعلن رفض الولايات المتحدة الأمريكية لقرار العراق ضم

الكويت، وفي ١٧ أغسطس بدأت الولايات المتحدة تنفيذ العقوبات الاقتصادية ضد العراق بالقوة إذا دعت الضرورة لذلك.

وفي ٢٢ أغسطس أعلنت المصادر الرسمية الأمريكية أن القوات الأمريكية في منطقة الخليج تقترب من مائة ألف جندي، وأصدر الرئيس «جورج بوش» أوامره باستدعاء احتياطي الجيش الأمريكي الذي يقدر بنحو ٤٠ ألف جندي لتعزيز القوات الأمريكية في الخليج. وفي اليوم التالي - ٢٣ أغسطس - أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن هيئة قيادة أركان القوات الأمريكية في الخليج بدأت انتشارها في المنطقة. وفي اليوم التاسع والعشرين من نفس الشهر أعلن الكونغرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب تأييده لسياسة الرئيس «بوش» في مواجهة الغزو العراقي للكويت، كما رفضت الحكومة الأمريكية اقتراح الرئيس العراقي صدام حسين بإجراء مفاوضات مباشرة مع الرئيس الأمريكي جورج بوش.

وأما موقف المملكة المتحدة - أي بريطانيا - من ادعاء صدام حسين بالحق التاريخي للعراق في الكويت، كتبرير لغزو القوات العراقية أرض الكويت وتشريد أهله، فقد تمثل في إعلان صدر عن الحكومة البريطانية في ٩ أغسطس عن اشتراك القوات البريطانية المسلحة في قوة متعددة الجنسيات للعمل في منطقة الخليج، كما رفضت اقتراح صدام حسين بإجراء مفاوضات مباشرة بينه وبين السيدة «مارجريت تاتشر» رئيسة وزراء بريطانيا، هذا إلى جانب اشتراك المملكة المتحدة في قرارات مجلس الأمن لفرض الحصار الاقتصادي الشامل ضد العراق، وتجميد أرصدة العراق والكويت في البنوك البريطانية وفروع المؤسسات البريطانية في الخارج.

وأما فرنسا فقد تشابه موقفها مع موقف كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وخاصة استنكار الغزو العراقي للكويت تحت أي ادعاء سواء كان حقاً تاريخياً كما يذكر صدام حسين أو غير ذلك، والمطالبة بانسحاب القوات العراقية من الكويت، وترك الشعب الكويتي حراً في التعامل مع حكومته الشرعية.

وجاءت إجراءات الحكومة الفرنسية منسجمة مع الإجراءات العالمية، فقد شاركت في استصدار القرارات عن مجلس الأمن بفرض الحصار الاقتصادي ضد العراق، وفي تجميد الأرصد العراقية والكويتية في البنوك والمؤسسات الفرنسية داخل وخارج فرنسا، والاشتراك بقوة عسكرية ضمن القوات متعددة الجنسيات المرسلة إلى الخليج لتخليص الكويت من قبضة نظام الحكم العراقي الفاشم، وإيقاف تهديداته للمملكة العربية السعودية ولبقية أقطار الخليج العربي الأخرى، وبدأت المشاركة الفرنسية بوحدة عسكرية قوامها مائة جندي وست طائرات مروحية إلى المملكة العربية السعودية لتزايد طبقاً لتطور الأمور، وقد تزايدت بالفعل القوة المسلحة الفرنسية طوال شهور الأزمة.

وبالنسبة لموقف الاتحاد السوفيتي المعروف بصداقته لنظام الحكم العراقي في إطار معاهدة للصدقة والتحالف بين البلدين، فقد تمثل هذا الموقف من اجتياح الجيش العراقي لأرض الكويت في مطالبة بيان سوفيتي أمريكي مشترك صدر في موسكو يوم ٣ أغسطس عن معادئات وزيري خارجية البلدين بانسحاب القوات العراقية القوری وغير المشروط من الكويت وعودة السيادة الكاملة لهذا البلد.

وفي ٩ أغسطس أدان الاتحاد السوفيتي قرار العراق بضم الكويت، وطالب بعمل جماعي تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة للرد على هذا الموقف، كما أكدت الحكومة السوفيتية معارضتها استخدام القوة لإنهاء أزمة الخليج. وفي ١٧ أغسطس أكد «إدوارد شيفرنادزة» وزير الخارجية السوفيتي آنذاك أن حكومته سترسل قوات عسكرية إلى منطقة الخليج إذا اتخذ مجلس الأمن قراراً بتشكيل وإرسال قوات متعددة الجنسيات إلى هناك لمواجهة الأزمة التي فجرها غزو العراق للكويت.

كما أن الرئيس السوفيتي «ميخائيل جورباتشوف» هدد يوم ٢٤ أغسطس في رسالة منه إلى الرئيس العراقي صدام حسين بأن المجتمع الدولي ممثلاً في مجلس الأمن سيكون مضطراً لاتخاذ إجراءات إضافية لإرغام العراق

على الالتزام بقرارات المجلس والمتعلقة بضرورة الانسحاب من الكويت وإطلاق سراح جميع الرعايا الأجانب.

وأما موقف دول المجموعة الأوروبية فقد جاء منسجماً مع الموقف الدولي باستنكار الغزو العراقي للكويت تحت أى ادعاء من جانب صدام حسين وحكومته، والمطالبة بالانسحاب العراقى من الكويت وعودة الحكومة الشرعية، وتأييد قرارات مجلس الأمن بإحكام الحصار الاقتصادى حول العراق حتى تنسحب القوات العراقية، ومساندة المملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية ضد تهديدات صدام حسين.

وكان موقف منظمة الوحدة الأفريقية مؤيداً للشرعية الدولية برفض اجتياح العراق للكويت والمطالبة بانسحاب القوات الغازية من أرض الكويت وعودة الحكومة الشرعية، وعدم الاعتراف بادعاء صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت، وتأييد قرارات مجلس الأمن الدولى بفرض الحصار على العراق، ومساندة حكومات المملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية الأخرى ضد التهديدات العراقية.

وأما تركيا فقد استتكرت الغزو العراقى للكويت تحت أى ادعاء سواء كان حقاً تاريخياً أو انقلاباً عسكرياً أو سياسياً، وأيدت قرارات مجلس الأمن بإحكام الحصار الاقتصادى ضد العراق. كما قررت الحكومة التركية يوم ٧ أغسطس إغلاق خط أنابيب البترول الممتد من كركوك والموصل عبر أراضيها ووقف جميع أعمال الاستيراد والتصدير مع العراق والكويت تحت الاحتلال. كما صرح مسئول تركى كبير بالقوات المسلحة بأن تركيا وضعت قواتها الجوية فى حالة تأهب، وألغت جميع الأجازات لمواجهة احتمالات حدوث أى توتر فى الخليج، وأصبحت القوات التركية المسلحة فى حالة استنفار كامل أمام تهديدات نظام الحكم العراقى للمملكة العربية السعودية ولأقطار الخليج العربية الأخرى.

وكان موقف إيران الجارة غير العربية الثانية من ادعاءات صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت تبريراً للغزو مثار تساؤل من الجميع حيث حاول صدام حسين كسب تعاطف إيران معه أمام الموقف الدولى

الرافض لإدعاءاته وقضاائه بالكويت. ولكن رغم المفاجأة المذهلة التي أعاد
صدّام حسين بانتسحاب القوات العراقية من الأرض الإيرانية وإطلاق سراح
الأسرى الإيرانيين دون قيد أو شرط، والاعتراف بحق إيران في مياه شط
العرب بموجب اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥م، لقد تمثل الموقف الإيراني من
البداية في الآتي:

- ١- أعلنت إيران يوم ٩ أغسطس رفضها قرار العراق بضم الكويت. وقال
بمبان حكومي أن إيران يوصفها دولة كبرى بمنطقة الخليج لن تسمح
بتغيير جغرافية المنطقة السياسية.
- ٢- وفي ١١ أغسطس دعت إيران إلى حل إقليمي لإجبار العراق على
الانسحاب من الكويت بالتعاون بين إيران ودول الخليج العربية.
- ٣- وفي ١٦ أغسطس أكد الرئيس الإيراني «علي أكبر رافسانجاني» أن
السلام مع العراق قضية متعلقة تماماً عن قضية العدوان العراقي على
الكويت.
- ٤- وفي ١٩ أغسطس طلبت إيران من السكرتير العام للأمم المتحدة
تكليف قوات حفظ السلام المنتشرة على الحدود الإيرانية العراقية
بالإشراف على انسحاب القوات العراقية إلى الحدود الدولية بين
البلدين.
- ٥- وفي ٢١ أغسطس أكملت القوات العراقية انسحابها من الأرض
الإيرانية التي كانت تحتلها والتي تقدر مساحتها بـ ٢٥٠٠٠ كيلومتر
مربع.
- ٦- وفي ٢٦ أغسطس أكمل العراق تسليم جميع أسرى الحرب الإيرانيين
السجناء للدين، وبعد الزيارات المتبادلة بين المسؤولين العراقيين
والإيرانيين في محاولة من حكّام بغداد للتخالف مع حكّام طهران
للمواجهة الموقف العالمي والمصار الاقتصادي الفروض على العراق بسبب
غزوه للكويت.
- ٧- ورغم استنارة الإيرانيين ضد وجود القوات العربية والإسلامية والدولية
في مياه الخليج وفي أراضي المملكة العربية السعودية، فإن الحكومة

الإيرانية رفضت الاعتراف بضم العراق للكويت، وطالبت بانسحاب القوات العراقية من أرض الكويت.

٨- ثم كانت عملية هبوط الطائرات المدنية والحربية العراقية في مطارات إيران بعد بدء عملية عاصفة الصحراء لتثير تساؤلات حول حقيقة الموقف الإيراني من الأزمة.

٩- وأخيراً يأتي الاعتراض الإيراني على اشتراك مصر في ترتيبات أمن الخليج، علماً بأن مصر تمثل عمقاً استراتيجياً للمملكة العربية السعودية، كما تمثل سوريا نفس العمق الاستراتيجي للمملكة.. هذا الموقف الإيراني يثير تساؤلات أخرى؟

المقارنة

بعد أن استعرضنا كيف ادعت الصهيونية بالحق التاريخي لليهود في فلسطين وحقت هذا الادعاء على حساب عرب فلسطين، وموقف الأطراف العربية من هذا الإجراء الإسرائيلي المدعوم من قوى عالمية، وكيف ادعى صدام حسين بالحق التاريخي للعراق في الكويت واجتياحه لأرض الكويت وتشريد شعبها. وتدمير الحياة فيها، وموقف الأطراف العربية والعالمية من الأزمة، نأتى إلى المقارنة بين الصهيونية وصدام حسين على النحو الآتي:

أولاً: ادعت الصهيونية بأن لليهود حق تاريخي في فلسطين، وادعى صدام حسين بأن للعراق حق تاريخي في الكويت.

ثانياً: اغتصب اليهود أرض فلسطين كلها على مرحلتين الأولى عام ١٩٤٨م والثانية عام ١٩٦٧م، واغتصب صدام حسين أرض الكويت كاملة في الثاني من شهر أغسطس ١٩٩٠م حتى أرغم على تركها.

ثالثاً: شرد اليهود شعب فلسطين الذي فرّ لاجئاً إلى الأقطار العربية المجاورة، وشرد صدام حسين شعب الكويت الذي لجأ إلى الأقطار العربية الشقيقة المساندة لحق الكويت.

رابعاً: كان قيام إسرائيل على أرض فلسطين تهديد للأقطار العربية المجاورة

مصر وسوريا ولبنان والأردن بل لم يسلم منها العراق نفسه مثل
الاعتداءات الإسرائيلية المتتالية أعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وما بعدها
حتى عام ١٩٧٣م، واحتلال جنوب لبنان، وضرب المفاعل
النووي العراقي. وكان اجتياح صدام حسين لأرض الكويت تهديد
لأقطار المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة
وقطر والبحرين. وقد توالى التهديدات التي أطلقها صدام حسين
ضد هذه الأقطار بل وضد مصر أيضاً بسبب موقفها المساند للحق
العربي وللأمن القومي، كما سبق وسأندت بالعراق عندما احتلت
القوات الإيرانية أرضاً عراقية في الفاو وغيرها.

خامساً: رفض العرب الادعاء الصهيوني في فلسطين، كما رفضوا ادعاء
صدام في الكويت. وإن اختلف الموقف الدولي وخاصة موقف
الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا، حيث ساندت موقف
الصهيونية في فلسطين وقاومت موقف صدام حسين في الكويت.

سادساً: اغتصب اليهود أراضي العرب وممتلكاتهم في فلسطين واغتصب صدام
حسين كل أرض الكويت وأموالها في البنوك ورصيدها الذهبي
والسلع والأجهزة من المحلات الكويتية بل وممتلكات الكويتيين
بمنازلهم.

سابعاً: قتل اليهود واغتصبوا الآلاف من عرب فلسطين، وقتل جنود صدام
حسين الآلاف من الرجال واغتصبوا الآلاف من النساء في
الكويت بطريقة وحشية.

ثامناً: حاول اليهود بذور الشقاق بين الأطراف العربية بعضها البعض
بأسلوب الخبيث الذي تعود اليهود بعد أن نجحوا في كسب الرأي
العام الأوروبي والأمريكي في صفهم ضد الحق العربي، وحاول
صدام حسين تقريق الصف العربي بين دول تسائده ودول تساند
الحق والعدل حتى انتهت الأزمة فعاد المنشقون يسعون إلى التضامن
العربي.

تاسعاً: حاولت إسرائيل غرس مستوطنات في أرض فلسطين يسكنها
المهاجرون اليهود من الاتحاد السوفيتي وإثيوبيا وغيرها، وحاول

صدام حسين تغيير التركيبة السكانية في الكويت بنقل عائلات عراقية إلى هناك بعد تفرينج الأرض من أصحابها تمشياً مع إعلانه بأن الكويت جزء من العراق .

عاشراً: انفرد صدام حسين بأنه عدو الحياة الطبيعية ، فقد أسال بترول الكويت في مياه الخليج لقتل الحياة البرية والبحرية والبشرية . كما أشعل النيران في حوالى ستمائة بئر بترول كويتى مما أدى إلى تلوث البيئة في المنطقة كلها بالإضافة إلى خسارة عربية وعالمية من احتراق البترول .

وهنا وجدنا أن صدام حسين وضع نفسه مع الصهيونية في غنى واحد ..
فهل نثق فيه بعد ذلك ؟

الدروس المستفادة

ما سبق نستخلص الحقائق الآتية :

١- أن فكرة الحق التاريخي للعراق في الكويت لا أساس لها ، وإنما ساتها صدام حسين لتبرير اجتياح قواته لأرض الكويت وتشريد أهلها لاجئين في الأقطار العربية وغير العربية .

٢- ان الإدعاء بالحق التاريخي للعراق في الكويت أكلوبة كبرى ، حيث أنها بداية لفرض سيطرة وطغيان حاكم العراق ليس على الكويت فقط بل على غيرها من الأقطار العربية وليس أدل على ذلك من الآتى :

أ- لماذا حشد صدام حسين جيوشه بأعداد كبيرة على الحدود

السعودية ، هل له حق تاريخي في الأراضي السعودية ؟

ب- لماذا تهاجم وسائل إعلام العراق وتهدد بلسان صدام حسين نفسه

وبلسان رجال نظام حكمه دولة الإمارات العربية المتحدة ؟ هل

دولة الإمارات كانت جزءاً من العراق في أية حقبة تاريخية ؟

٣- إن الإدعاء بالحق التاريخي يثير الاضطراب وعدم الاستقرار، لأنه يفتح باباً لمطالبات عديدة من أطراف دولية كثيرة كما رأينا، وإذا فتح هذا الباب فإن العراق نفسه لن ينجو من مطالبات البعض بالحق التاريخي في الأرض العراقية.

٤- أن لجوء نظام الحكم في العراق إلى مهاجمة كل من مصر والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة إعلامياً بسبب موقف البلدين المساند لحق الكويت لم يؤثر في موقف أيها أو كليهما حتى انجلت الغمة.

٥- أن التأييد العربي والعالمي لشعب وحكومة الكويت الشرعية يدل على فساد نظام حكم صدام حسين الذي أدى إلى تجميع دول العالم ضده، ولا يُعقل أن يكون هو الصائب وكل دول العالم غطّة.

٦- أن المساندة العربية والدولية للمملكة العربية السعودية للدفاع عن أراضيها ضد تهديدات صدام حسين وزمرته دليل على سلامة موقف المملكة التي رفضت فكرة الحق التاريخي لليهود في فلسطين منذ طرحت هذه الفكرة، ودافع مؤسس المملكة الحديثة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عن حق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه، وما زال أبناؤه يدافعون عن هذا الحق.

٧- أن خروج بعض الأطراف العربية عن الإجماع العربي والدولي المساند لحق الكويت الشرعي لا يقلل من قيمة وقوة التأييد العربي والإسلامي والعالمي. حقيقة كان تأييد بعض الزعامات العربية لخطوات صدام الطائشة في الكويت وفي الخليج طعنة للتضامن العربي، ولكن هذا التأييد ذاب مع هزيمة صدام حسين أمام قوات التحالف المدافعة عن الحق.

٨- أثبت صدام حسين عدم وفاءه حيث أن الكويت والمملكة العربية السعودية وأقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية الأخرى تحملت كثيراً من التضحيات المادية والبشرية لمساندة العراق في حربه مع إيران.

٩- صب صدام حسين جام غضبه على مصر ورئيسها محمد حسني مبارك بسبب رفض مصر لما فعله صدام حسين، على الرغم من عضوية مصر

في مجلس التعاون العربي مع العراق والأردن واليمن ، بل أرسل صدام حسين الإرهابيين إلى مصر لترويع الأمنين من أبناء شعب مصر الذي ساند العراق في البناء وفي أثناء الحرب ضد إيران .

١٠- كان خير درس نخرج به العرب من هذه الأثمة بعد هزيمة صدام حسين وطرد قواته من أرض الكويت هو الاتفاق على ترتيبات أمنية بالمنطقة تشترك فيها قوات دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا ، وهي الترتيبات التي صدرت عن «إعلان دمشق» .

١١- أن يعي العرب الدرس بأن يطالبوا بتطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة على إسرائيل لإعادة الحق للعرب كما قرّضت القرارات الدولية على صدام حسين حتى عاد الحق إلى أهل الكويت .



مصادر الكتاب

الوثائق

أولاً - غير المنشورة:

أ - وثائق عربية:

١ - وثائق السودان - ١، ٢/٢/٤.

ب - الوثائق الأمريكية:

Foreign Relations. 1942-1946.

ج - الوثائق البريطانية: F.O. 403, 8, 26, 87, 88, 90, 116, 123, 125, 126, 131, 221.: 1875-1890

Further Correspondance respecting the Red Sea and Somali Coast, 18.

ثانياً - المنشورة:

١ - جامعة الدول العربية: مقال للبروفيسور أرنولد توينبي - القاهرة د. ت.

٢ - جامعة الدول العربية: الهجرة اليهودية إلى فلسطين (قسنين) القاهرة د. ت.

٣ - تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في مصر والسودان سنة ١٩٠٣م رفعه الإيبرل كرومر قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسي في مصر إلى جناب المركز لندون ناظر خارجيتها.

٤ - وزارة الخارجية السعودية مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات، جدة ١٩٥٦م.

في بحوث المؤتمرات

- ١- د. محمد أنيس: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٦٩ م.
- ٢- د. عبد الله الصالح العثيمين: عوامل نجاح الملك عبد العزيز في توحيد البلاد، مؤتمر تاريخ الملك عبد العزيز - الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٣- د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، مؤتمر تاريخ الملك عبد العزيز - الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٤- د. عبد الله بن يوسف الشبل: صفحة من تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، مؤتمر العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبد العزيز - الزقازيق ١٩٨٧ م.
- ٥- د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السعودية المصرية - مؤتمر العلاقات المصرية السعودية - الزقازيق ١٩٨٧ م.
- ٦- عصام رفعت: الملك عبد العزيز آل سعود على ضفاف النيل، دراسة في العلاقات المصرية السعودية في إطار المناخ العربي والدولي - مؤتمر العلاقات المصرية السعودية - الزقازيق ١٩٨٧ م.

المصادر العربية

- ١- إبراهيم فوزى: السودان بين يدى غردون وكشتنر- جزءان القاهرة ١٩٠١م.
- ٢- د. السيد رجب حراز: التوسع الإيطالى فى شرق أفريقيا- القاهرة ١٩٦٠م.
- ٣- د. السيد رجب حراز: أرتيريا الحديثة- القاهرة ١٩٧٤م.
- ٤- د. السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث- القاهرة ١٩٧٠م.
- ٥- ألبان ج ويدجرى ترجمة عبد العزيز جاويد: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى- القاهرة ١٩٧٢م.
- ٦- د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات فى النهضة العربية الحديثة- القاهرة ١٩٧٢م.
- ٧- د. أحمد أبو حاكم: تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة- القاهرة ١٩٦٨م.
- ٨- أحمد شفيق بك: مذكراتى فى نصف قرن- جزءان- القاهرة ١٩٣٤-١٩٣٦م.
- ٩- أحمد عس: معجزة فوق الرمال، الطبعة الثانية- بيروت ١٩٦٦م.
- ١٠- د. أحمد صبحى: فى فلسفة التاريخ- الإسكندرية د.ت.
- ١١- الحسن بن أحمد الهمداني: تحقيق محمد بن على الأكوخ الحوالى: صفة جزيرة العرب- القاهرة د.ت.
- ١٢- أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية- جزءان- بيروت ١٩٦٤م.
- ١٣- الشيخ محمد منظور نعمانى ترجمة د. سمير عبد الحميد: الثورة الإيرانية فى ميزان الإسلام- القاهرة ١٩٨٤م.

- ١٤- بنو إميلشان ترجمة عبد الفتاح ياسين: عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة - بيروت ١٩٦٥ م.
- ١٥- ك.م. بانيكار ترجمة عبد العزيز جاويد: آسيا والسيطرة الغربية - القاهرة ١٩٦٢ م.
- ١٦- د. جلال يحيى: التنافس الدولى فى شرق أفريقيا - القاهرة ١٩٥٩ م.
- ١٧- د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربى - دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥، القاهرة ١٩٦٧ م.
- ١٨- جورج كيرك ترجمة عمر الإسكندرى: موجز تاريخ الشرق الأوسط. القاهرة ١٩٥٧ م.
- ١٩- جون هاتش ترجمة عبد العليم منسى: تاريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية - القاهرة ١٩٦٩ م.
- ٢٠- حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م.
- ٢١- د. حسن صبرى الخولى: سياسة الإستعمار والصهيونية - جزآن - القاهرة ١٩٧٠ م.
- ٢٢- د. حسين فوزى النجار: الشرق العربى بين حربين - القاهرة د.ت.
- ٢٣- حمزة لقمان: تاريخ الجزر اليمنية - بيروت ١٩٧٢ م.
- ٢٤- خليفة المنتصر: ليبيا قبل المحنة وبعدها - طرابلس ١٩٦٠ م.
- ٢٥- خير الدين الزركلى: الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز - الطبعة الرابعة - بيروت ١٩٨٧ م.
- ٢٦- دونالد هولى ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحى: عمان ونهضتها الحديثة - مسقط ١٩٧٩ م.
- ٢٧- د. رأفت غنيمى الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث - طبعة أولى - القاهرة ١٩٧٥ م.
- ٢٨- د. رأفت غنيمى الشيخ: تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة - طرابلس ١٩٧٢ م.

- ٢٩- د. رأفت غنيمى الشيخ: أفريقيا في العلاقات الدولية - القاهرة ١٩٧٥ م.
- ٣٠- د. رأفت غنيمى الشيخ: في تاريخ العرب الحديث - القاهرة ١٩٨٩ م.
- ٣١- د. رأفت غنيمى الشيخ: أمريكا والعلاقات الدولية - القاهرة ١٩٧٩ م.
- ٣٢- د. رأفت غنيمى الشيخ: العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٨٣ م.
- ٣٣- د. زاهر رياض: شمال أفريقيا في العصر الحديث - القاهرة ١٩٦٧ م.
- ٣٤- زعيمة البارونى: صفحات خالدة من الجهاد للمجاهد الليلى سليمان البارونى - القاهرة ١٩٦٠ م.
- ٣٥- د. صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربى - القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٣٦- د. صلاح العقاد: تطور السياسة الفرنسية في الجزائر - القاهرة ١٩٥٩ م.
- ٣٧- د. صلاح العقاد: المغرب العربى - القاهرة ١٩٦٩ م.
- ٣٨- د. صلاح العقاد: المشرق العربى المعاصر - القاهرة ١٩٧٩ م.
- ٣٩- ضرار صالح: تاريخ السودان الحديث - الخرطوم د. ت.
- ٤٠- عبده مباشر: الحرب العراقية الإيرانية - كتاب اليوم العدد ٢٦٣ ديسمبر - القاهرة ١٩٨٦ م.
- ٤١- د. عبد المنعم النمر: الشيعة، المهدي، الدروز، تاريخ ووثائق - القاهرة ١٩٨٧ م.
- ٤٢- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة - بيروت ١٩٧٨ م.
- ٤٣- د. عبد الشافى غنيم ود. رأفت الشيخ: قضايا إسلامية معاصرة - القاهرة ١٩٨٠ م.
- ٤٤- د. عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها - ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٨٠ م.

- ٤٥- د. عبد العظيم رمضان: الجيش المصطفى في السياسة - القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٤٦- عبد الحميد المواقى: مصر في جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٨٣ م.
- ٤٧- عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية - (مترجم) ١٩٦٩ م.
- ٤٨- عبد الواسع بن يحيى الواسع اليماني: تاريخ اليمن المسمى فرجة المسموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٤٧ م.
- ٤٩- عبد الله العلى المتصور الزامل: أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود - بيروت ١٩٧٢ م.
- ٥٠- فتحي رضوان: مصطفى كامل - سلسلة أقرأ - القاهرة ١٩٨١ م.
- ٥١- فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية - الرياض ١٩٦٨ م.
- ٥٢- عيد مسعود الجهني: فيصل بن عبدالعزيز قائد أمة ورائد جيل - الرياض د. ت.
- ٥٣- د. على إبراهيم عبده: المنافسة الدولية في أعالي النيل - القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٥٤- د. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي - القاهرة ١٩٤٦ م.
- ٥٥- د. محمد أنيس ود. السيد رجب حراز: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٦٧ م.
- ٥٦- د. محمد عبد الرؤوف سليم: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧-١٩١٨ م - جزآن - القاهرة ١٩٧٤ م.
- ٥٧- محمد رفعت: تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة - القاهرة ١٩٢٧ م.
- ٥٨- د. محمد مصطفى صفوت: الاحتلال الإنجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه - القاهرة ١٩٥٢ م.

- ٥٠- د. محمد مصطفى صفوت: مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره في البلاد العربية - القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٦٠- محمد المانع ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين: توحيد المملكة العربية السعودية - الرياض ١٩٨٧ م.
- ٦١- د. محمد صبرى: الإمبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر - القاهرة ١٩٤٨ م.
- ٦٢- د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسيادة على السودان، الوضع التاريخي للمسألة - القاهرة ١٩٤٦ م.
- ٦٣- د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسة في القرن التاسع عشر - القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٦٤- د. محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة - القاهرة ١٩٤٨ م.
- ٦٥- محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربى - بيروت ١٩٦٢ م.
- ٦٦- د. محمد صفى الدين: أفريقيا بين الدول الأوروبية - القاهرة ١٩٧٥ م.
- ٦٧- د. محمد رياض وآخرون: دراسات لقومات القارة - بيروت ١٩٧٣ م.
- ٦٨- محى الدين القابسى: فهد في صور - الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٦٩- مكى شببكة: السودان عبر القرون - القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٧٠- مكى شببكة: السودان في قرن ١٨١٩ - ١٩١٩ م - القاهرة ١٩٤٧ م.
- ٧١- نجيب صدقة: قضية فلسطين - بيروت ١٩٤٦ م.
- ٧٢- نور الدين السالمى: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان - جزآن - الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م.
- ٧٣- نقولا زيادة: ليبيا من الإحتلال الإيطالى إلى الإستقلال - القاهرة ١٩٦٤ م.

الدوريات

- ١- مجلة السياسة الدولية العدد ٦٥ يوليو ١٩٨١م مقال السيد زهرة بعنوان واقع الثورة الإيرانية وسيناريوهات المستقبل.
- ٢- مجلة السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١م.
- ٣- Time Magazine, October 1980.
- ٤- جريدة الأهرام عدد ١٥ أبريل ١٩٧٧م.
- ٥- جريدة الثورة اليمنية العدد ٢٩١١ - ٣ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ / ٢٣ مارس ١٩٧٧م.
- ٦- جريدة الثورة اليمنية العدد ٢٩١٢ - ٤ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ / ٢٤ مارس ١٩٧٧م.
- ٧- د. ريتشارد ستيفنس: استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٢٣ - ١٨٥٦م) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - الكويت.
- ٨- د. محمد محمود السروجي: الموقف الدولي والإحتلال الإيطالي لطرابلس. مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية - العدد ٢٢ عام ١٩٦٨م.

المصادر الأجنبية

- 1- Dr. M. Anis : England and the Suez-Route in 18th Century Cairo, 1954.
- 2- Chirol, V.: The Egyptian Problem, London 1920.
- 3- Holt, P.M.: Egypt and the Fertile Crescent, 1516-1922, U.S. 1969.
- 4- Shebeika, M.: British Policy in the Sudan, 1882-1902. London 1952.
- 5- Cromer : Modern Egypt, 2 Vols. 3rd edition, London 1911.
- 6- Langer : The diplomacy of Imperialism, 1890-1902, New York, 1951.
- 7- Holt, P.M. : A Modern History of the Sudan, London.
- 8- Coupland, E.: Exploitation of East Africa (1856-1890) London 1939.
- 9- Hamilton, Ch.U. : Americans and oil in the Middle East, 1962. U.S.
- 10- The American Assembly, Columbia University : The United states and the Middle East. U.S. 1964.
- 11- De Nova, G.A.: American interests and Policies in the Middle East, 1900-1939, U.S. 1968.
- 12- Plok, W.R. : The U.S. and the Arab World, U.S. 1965.
- 13- Lenczowski, G. : The Middle East in the World Affairs, 1971 U.S.
- 14- Kirkwood, K. : Britain and Africa, London, 1965.
- 15- Langer, : European Alliances, London.

❦ فهرست ❦

مقدمة	٧
الباب الاول : الامة العربية الاسلامية.....	٩ - ٤٣
- الفصل الاول - العصر الاسلامى المبكر :.....	١١
- الفصل الثانى - العصر العثمانى	٢٩
الباب الثانى : عصر الاستقلال	٤٥ - ١٢٦
- الفصل الثالث : استقلال الاقطار العربية - حسن الاستعمار البريطانى	٤٩
(مصر والسودان - العراق - اقطار الخليج والجنوب العربى - الاردن)	
- الفصل الرابع : استقلال الاقطار العربية - حسن الاستعمار الفرنسى.	٨٥
(اقطار شمال افريقيا - سورية ولبنان) .	
- الفصل الخامس : استقلال الاقطاع العربية - حسن الاستعمار الايطالى (ليبيا -	١١١
الموئال) .	
الباب الثالث : الاقطار العربية والاسلامية المعاصرة	١٢٧ - ٢٠٤
- الفصل السادس : المملكة العربية السعودية -	١٣١
(عبد العزيز بن عبد الرحمن - ابناء عبد العزيز بن عبد الرحمن)	
- الفصل السابع : موضوعات فى تاريخ اليمن -	١٧٥
(المراع الاستعمارى حول الجـزر اليمنية فى القرن التاسع عشر - امن البحر الاحمر بين ميثاق جدة عام ١٩٥٦ ومؤتمر تعز عام ١٩٧٧) .	

(تابع) الفهرست

- ٢١٣ - الفصل الثامن : سلطنة عمان (جغرافية
عمان - تاريخ عمان- عمان
والعالم: السيد سعيد بن سلطان -
سعيد بن تيمور - السلطان
قابوس بن سعيد) .
- ٢٥١ - الفصل التاسع : الكويت والعراق (الحـسـب
(العراقية الايرانية- ادعاء
الصهيونية بحق اليهود التاريخي
في فلسطين - ادعاء نظام الحكم
في العراق بالحق التاريخي في
الكويت) .
- مصادر الكتاب
٣٠٥
٣٠٥
٣٠٦
٣٠٧
٣١٤
٣١٦-٣١٥
.....

رقم الايداع ١٩٩١/٩٩٧٩

I.S.B.N

977-5796-77-7



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

